صفاء النجار: الكاتب ينبغى أن يكون ابن زمنه

عمرو عبدالحميد: بدأت الكتابة بـ«مجلة حائط»

سليمان عبدالمالك: الرجل بطل «إمبراطورية ميم» والمسلسل غير الفيلم

حرف

الدستور الثقافى

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

العدد 8

رئيس مجلسى الإدارة والتحرير محمد الباز

الأربعاء
28 فبراير 2024
18 شعبان 1445
20 أمشير 1740

شهادة بقرن غزال

نبوءة محمود مرسى.. كيف قتل الغزالى فرج فودة؟

انفراد.. مذكرات خالد منتصر

الصفحة الأولى

خلاصة هانى شنودة فى تكريم مصر مبدعيها الكبار

حسنًا تفعل بعض الدول العربية عندما تقيم احتفاليات كبرى لتكريم المبدعين المصريين، تحتفى بهم الاحتفاء الذى يليق بهم وبتاريخهم وعطاءاتهم المتميزة فى الفن والثقافة وفنون الإبداع المختلفة، تمنحهم ما يستحقون، فقد أسهموا لعقود طويلة فى تشكيل عقل ووجدان الأمة العربية.

آخر ما جرى فى هذا السياق كان تكريم أربعة من المبدعين المصريين الكبار، هم الناقد الكبير حسين حمودة، والكاتب محمد حسن عبدالله، والمترجمة سحر توفيق، والناقد والروائى سيد الوكيل، حيث كرمهم ملتقى الشارقة للتكريم الثقافى فى مقر المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، ضمن مبادرة للملتقى لتكريم الشخصيات التى أسهمت فى خدمة الثقافة العربية المعاصرة، والاحتفاء بإنجازاتها الفكرية والأدبية بالتعاون مع الوزارات والهيئات الثقافية الرسمية ببلدانها.

تملك مصر كُتابًا ومثقفين وفنانين وفلاسفة ومبدعين يسدون عين الشمس، كما يقولون، ولو وضعنا جدولًا لتكريم كل الأسماء المصرية داخل مصر وخارجها لظللنا نقيم احتفالات حتى يوم القيامة دون أن ينفد رصيدنا ممن يستحقون التكريم والاحتفاء.

ما تفعله بعض الدوائر العربية جهد مشكور، وتأكيد على أنهم يعرفون مصر جيدًا، يسارعون لرد جميل لا ينكره أحد، وقد جاء الوقت ليعبروا عن شكرهم لمن أسعدوهم وأصبحوا جزءًا أساسيًا من ذكرياتهم وتاريخهم، فهم فى الحقيقة لا يقومون بتكريم المبدعين المصريين بقدر ما يحيون ذكرياتهم معهم.

لقد حاول البعض إفساد حالة التكريم هذه بصناعة ما يُشبه الفتنة، حاولوا تخريج ما يحدث على جناح تخريجات مصنوعة من عدم فهم حقيقى لماهية ما يحدث، وبدأوا يسألون: كيف يتم تكريم كل هؤلاء المبدعين خارج مصر أو حتى داخلها عن طريق الآخرين، ولا تقوم مصر بهذا التكريم وهى به أولى؟

وهنا نقف أمام مغالطة كبيرة فى صياغة هذا الحديث، فمن يقومون بذلك ليسوا آخرين، لا يجب أن نتعامل معهم كغرباء، فهم فى النهاية أبناء الثقافة المصرية، تعلموا فى مدارسها وجامعاتها، قرأوا كتب وروايات ودواوين كتابها ومبدعيها، تابعوا مسلسلاتها الدرامية وجلسوا أمام شاشات السينما ليستمتعوا بالإبداع المصرى السينمائى، حتى أصبحت الثقافة المصرية مكونًا من مكونات شخصياتهم، فهم جميعًا منا ونحن منهم.

أما السؤال الذى يبدو مريبًا ومراوغًا فى آن واحد وهو لماذا لا تكرم مصر مثقفيها ومبدعيها؟ تأسيسًا على أنها الأولى بهم- فهو سؤال يعانى خللًا كبيرًا فى بنائه، ويفتقد إلى منهجية السؤال الذى يجب أن يستند إلى الواقع ويستمد منه منطقيته.

فمن قال إن مصر لم تكرم مثقفيها وكتابها ومبدعيها؟

لفت انتباهى ما قاله الموسيقار الكبير هانى شنودة عندما تم تكريمه خارج مصر، سأل كثيرون السؤال نفسه عن عدم تكريمه داخل مصر أولًا، قال الموسيقار الرائد إن مصر كرمته بالفعل، فهى التى منحته الفرصة كاملة لأن يكون ما أصبح عليه، ولو لم يكن ما هو عليه لما تم الالتفات إليه، أو التفكير فى تكريمه من الأساس.

هذه هى الحقيقة التى يجب أن ينتبه إليها الجميع، فمصر بما تمنحه لمبدعيها تجعلهم قبلة دائمة للآخرين، أى أنهم حصلوا على تكريم مسبق وكافٍ، وهو ما يجعل كل ما يقال عن عدم تكريمهم فى مصر أمرًا يفارق الواقع، بل هو نوع من جلد الذات الذى يستمتع به أصحابه دون أن يكون هناك أى داع لذلك.

أعتقد أن جرّنا لمناقشة هذا الأمر ليس إلا تضييعًا للوقت واستنزاف الطاقة، فستظل مصر مصدرًا للفكر والإبداع والفن والثقافة، وسيظل مبدعوها قبلة للجميع، يحبونهم ويحتفون بهم ويكرمونهم، وهو التكريم اللاحق للتكريم الذى يحصل عليه أى مبدع لكونه مصريًا.

ما يجب أن يشغلنا وبشكل حقيقى هو أن نواصل عملنا وإبداعنا، أن نحافظ على الشعلة فى أيدينا حتى لا تنطفئ، وأعتقد أن هذه مهمتنا التى يجب ألا يتخلى عنها أحد.

الباز

تهافت السينما

الفرص الضائعة فى أفلام الزعماء الخمسة

المرشحون لانتخابات اتحاد الناشرين يتحدثون

مجرد فقاقيع.. ما الذى يجمع كنزى مدبولى وعلاء الأسوانى؟

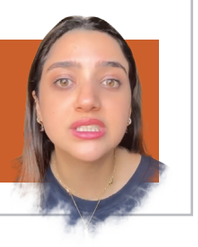

استمتعت كثيرًا بقراءة كتاب الصديق العزيز أيمن الحكيم «صبرى موسى.. ساحر الكتابة»، الذى صدر قبل أسابيع عن دار «ريشة للنشر والتوزيع»، كما استمتعت بالصفحات الخاصة التى نشرت بالعدد السابع من جريدة «حرف» الرقمية، عن الكتاب احتفالًا بالأستاذ، لكننى تحفظت على أحد العناوين الواردة بالعدد على لسان مؤلف الكتاب، وعلى بعض تفاصيل القصة التى جاء ذلك العنوان منها، سواء ما ورد منها بالكتاب، أو ما تم تفصيله فى الحوار..

عبدالوهاب داود

مبالغات «جلطة» صبرى موسى

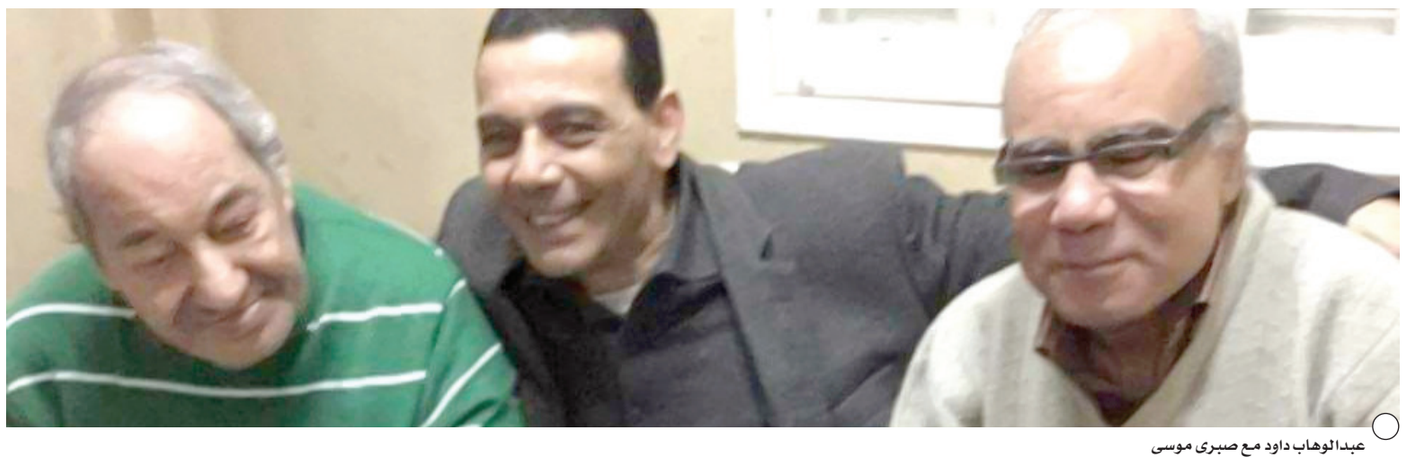

عبدالوهاب داود مع صبرى موسى

صاحب مدرسة «لا تؤجل غضب اليوم إلى الغد» و«لا تحمل زعل العمل إلى البيت» لن تصيبه جلطة لاشتباك اثنين ولو كانت «خناقة شوارع»

والحقيقة إن أسباب متعتى بذلك الكتاب القيم كثيرة ومتعددة. منها ما هو شخصى يخص علاقتى بالأستاذ صبرى موسى، رحمة الله عليه، والتى استمرت لسنوات طويلة، وكانت بمثابة البوابة التى دخلت منها إلى عالم الصحافة والأدب ومحبة الحياة، إذ كان هو أول من استقبلنى فى بلاط صاحبة الجلالة، وكنت قبلها مفتونًا بأعماله الروائية والقصصية، وسيناريوهات الأفلام، فتتلمذت على يديه، وعشت بالقرب منه سنوات المهنة الأولى والأهم فى حياتى، تعلمت منه خلالها الكثير والكثير، وامتد أثره معى إلى كل تفاصيل حياتى، الشخصية والعملية.

ومنها ما هو عام، يخص كتابات الأستاذ، ورحلته مع التجريب الأدبى فى اتجاهاته كلها، فى القصة القصيرة، والرواية، والسيناريو والمقال، وغيرها من حكايات تخص إبداعه المتنوع والفريد، وحضوره الذى يستعصى على النسيان، وإن كنت بحكم القرب شاهدًا على جزء كبير منها، وبحكم المحبة مطلعًا على كثير من المواقف والحكايات التى كان يأتمننى عليها، ويخصنى بها.

أما العنوان الذى أثار حفيظتى، فنصه كما جاء بالعدد «خناقة سلوى بكر وإبراهيم فتحى أصابت صبرى موسى بجلطة أودت بحياته»، وهو العنوان الوارد فى حوار الحكيم مع الزميل بيجاد سلامة فى مقدمة ملف «حرف» عن الأستاذ، حيث يقول ردًا على سؤال «كيف كانت نهاية صبرى موسى؟» ما نصه: «الحقيقة من الأشياء التى توقفت عندها، الجلطة التى حدثت لسبب عبثى، تكلمت عنها فى الكتاب، ولكن دون تفاصيل، إذ كان مقرر لجنة القصة فى المجلس الأعلى للثقافة، وكان هناك اثنان من أعضاء اللجنة، الأديبة الكبيرة سلوى بكر، والناقد الكبير الراحل إبراهيم فتحى، قد تشاجرا أمامه، وتبادلا بعض الألفاظ، وهو لم يتصور أن اثنين من المبدعين يمكن أن يصل بينهما الخلاف لهذا المستوى، فعاد إلى بيته فى نفس اليوم، ولم يتحمل هذا المستوى، فأصيب بجلطة فى المخ»، ويضيف: «أظن أن الأستاذة سلوى بكر، ربنا يديها الصحة، مدينة باعتذار لصبرى موسى.. وأتمنى أن تسدد هذا الدين».

وهى الحكاية التى وردت فى صفحة ٢٣٨ من كتاب «ساحر الكتابة»، حيث يقول أيمن ما نصه: «لا تتعجب عندما تعرف أنه أصيب بجلطة غيرت حياته، ودمرتها، طيلة ١٥ سنة مريرة مع المرض، لأنه لم يتحمل مشادة فى حضرته بين أديبة معروفة وناقد كبير، تطورت إلى «خناقة شوارع»، تعالت فيها الأصوات والألفاظ النابية، فلم يستوعب ما يجرى أمامه، وانفجر عقله»!

ويضيف: «حدث ذلك فى العام ٢٠٠٣، حين كان صبرى موسى يرأس اجتماع لجنة القصة بالمجلس الأعلى للثقافة باعتباره مقررها، وفوجئ بالاشتباك بين الروائية والناقد، فحاول أن يفضه بحكمة، ولكنهما تماديا، فأخرجهما من الاجتماع، ولما سمح لهما بالرجوع عادا إلى الاشتباك، بل ووصل التلاسن إلى «ردح» كان وقعه صادمًا على رجل مثله تؤذيه حتى الأصوات العالية العادية.. ولما وصل إلى البيت كانت علامات الإعياء بادية عليه، ثم سقط على الأرض فاقدًا الوعى، فنقلته أسرته إلى أقرب مستشفى لبيته وقتها فى «المبتديان»، وهو مستشفى «الحكمة»، وأمام تدهور الحالة نقلوه إلى مستشفى قصر العينى «الفرنساوى»، حيث اكتشف الأطباء إصابته بجلطة فى المخ.. أدت إلى شلل نصفى بالجانب الأيمن لتبدأ سنوات المحنة، استقبلها صبرى موسى بصبر ورضا وكبرياء وتحدٍ، ومع جلسات العلاج الطبيعى المستمرة بدأت حالته فى التحسن، واستعاد المشى بمساعدة عكاز».

والحقيقة أننى أظن أن تلك الواقعة التى وردت فى الكتاب بدون ذكر أسماء أطرافها، وتم تفصيلها فى الحوار وتحديد تلك الأطراف، طالها الكثير من المبالغات، إن لم يكن الخيال الصحفى قد لعب دورًا فى نسج بعض خيوطها، حتى أن أيمن نفسه يقول عن الواقعة فى الحوار أنها «عبثية»، أو أنه تعجب منها ومن إصابته بالجلطة بسببها، باعتباره «سببًا عبثيًا»، وهو كذلك بالفعل، فبحسب رواية الكتاب قد أخرجهما الأستاذ من الاجتماع عندما بدأ الاشتباك بينهما، وهو أمر يتسق تمامًا مع شخصيته التى عرفتها عن قرب، فهو، كما رأيته وعرفته، لا يؤجل غضب اليوم إلى الغد، ولا يتردد فى الكشف عن امتعاضه أو رفضه لأى فعل خارج أو عمل أو حديث دون المستوى، وانتهاج السلوك المناسب للرد عليه فى التو واللحظة، لا يتحرك وفى قلبه «زعل»، أو «ضغينة»، بل إن عبارته التى كررها لى مرات ومرات «لا تأخذ زعل الشغل معك إلى البيت»، ما زالت تتردد فى رأسى بنص كلماته، كلما حدث معى أى أمر من أمور العمل التى تستوجب الزعل، وهو لم يقلها كما ذكرتها نصًا بالطبع «لأننا لا نتحدث الفصحى فى حياتنا العادية».. فمن أين جاء تصور أن تلك المشادة كانت سببًا فى إصابته بالجلطة ليلتها؟! هو بالتأكيد «تصور عبثى»، وكيف كانت الجلطة التى أصابته فى ٢٠٠٣، سببًا فى نهاية حياته بعدها بنحو خمسة عشر عامًا؟! لا أعتقد أن ذلك من الحقيقة فى شىء، وأغلب الظن أنه مجرد تصور، أو اجتهاد، لا أساس له، فلا يوجد فيما عرفته وراقبته إلى حد «المذاكرة» من سيرة الأستاذ، وحياته، وطريقة تعامله مع طوارئ الأمور، ما يوحى بهذا السبب «العبثى»، والاستنتاج «الخيالى».

ما أعرفه، من خلال معرفتى الشخصية بالأستاذ والتصاقى به لسنوات طويلة، أنه لم يكن ليؤجل رد فعله، ولا يقبل أن يتطاول أحدهم على أى شخص فى حضرته، فما بالك باثنين من كبار المثقفين والكتاب؟

ما أعرفه أن الأستاذ صبرى موسى كان دائمًا حاضر البديهة بصورة مذهلة، لا يعجزه «إفيه»، ولا يجد أفضل من السخرية اللاذعة ردًا على أى حماقة تصادفه، أيًا كان مرتكبها.. حدث ذلك قدام عينى مرات ومرات، بل إننى شهدت مع الأستاذ ما هو أشد وقعًا، وربما إيلامًا لنفسه.. مؤامرة حزبية لفصله من الجريدة التى عمل بها محبة لصديق، واجهها بالسخرية والتجاهل والإشفاق على أطرافها، فقد كنت شاهدًا على تفاصيل مؤامرة كانت تحاك ضده خلال فترة عمله بجريدة «العربى» الناصرية، وكان يعلم بتفاصيلها كلها، وبأطرافها أيضًا، وبعضهم كان من صغار الصحفيين، يقودهم أفراد من كوادر «الحزب» المالك للصحيفة، ورغم أنه وافق على العمل بالجريدة مجاملة لصديقه الراحل الكبير محمود المراغى، رئيس تحرير العدد الأسبوعى وقتها، لكنه لم ينفعل عندما علم بالأمر، ولم يبلغ به الانفعال أى مبلغ.. ربما لم ينس الأمر، ولم يتسامح مع بعض التفاصيل، لكنه لم ينفعل بها بتلك الطريقة العاطفية أو الانفعالية.

ربما آلمته حملة الهجوم تلك التى شنها ضده بعض من محررى الجريدة، منتصف العام ١٩٩٤، واتهامهم له بالتطبيع، أو بمساندة المطبعين، لمجرد أنه لم يستل قلمه، أو لم يمرر مقالات لهم، ولم يسهم فى حملة قتل الكاتب المسرحى الراحل على سالم، بعد زيارته الأولى لإسرائيل، وربما آلمه لجوؤهم إلى جمع التوقيعات لتقديمها إلى المؤتمر العام للحزب، والمطالبة بإبعاده عن «العربى»، لكنه رغم فشل الحملة، واتضاح تفاصيلها كاملة أمام الجميع، لم يزد فى التعليق على الأمر عن وصفه بحالة طيش وتمرد لشباب غاضب، لا تستدعى التنكيل بهم، أو حتى استبعادهم من القسم، رغم أنهم كانوا يرون فى أنفسهم مُلاكًا للصحيفة، وعليه أن ينشر ما تجود به قريحتهم، حتى ولو لم تكن له أى صلة بالمهنة التى يريدون الالتحاق بنقابة العاملين بها، ولم يكن هو ممن يستجيبون لأى ضغوط، أو وساطات.. إن جاءوا بأخبار أو تقارير، أو حتى حوارات، فأهلًا وسهلًا، أما ما كانوا يلقون به من مقالات، فلم يكن لها مكان فى الصفحات التى يشرف عليها، حتى بدأوا فى شن حرب ضروس ضده، بحجة الاختلاف فى الرؤية.. وقتها اخترت الانحياز لمن أعرف من هو، وما قيمته.

وقتها حدثت واقعة طريفة، ربما سبق أن حكيت طرفًا منها، فبدون مقدمات بدأ أفراد فريق «الاختلاف فى الرؤية» يرتدون النظارات، بمعدلات لافتة للنظر، فلم يبق من فريق القسم ممن لا يرتدون النظارات سوى وعدد من المحظوظين بالقرب منه، وفى ليلة كنا نعد فيها لرسم صفحتى الفن والثقافة، وكنت أنا وهو وحدنا، عندما جاء أحدهم يسأل إذا ما كنا قد أخذنا مقاله أم لا، وكان يعدل نظارته بمعدلات متسارعة، وهو يحكى عن رؤيته العرض المسرحى الذى كتب عنه، ورؤية المخرج، والمؤلف، والتى يجب أن نساندها باعتبارها متسقة مع رؤية الحزب، وإذا بالأستاذ يسألنى، فى إحدى مرات السخرية التى كانت سلاحه فى مواجهة كوميديا الحياة: «إيه حكاية النظارات دى؟! ما تجيب لك واحدة يا عبدالوهاب، أحسن تكون دى نضارات الرؤية».

أخيرًا.. ربما كانت رواية الصديق الكاتب الصحفى أيمن الحكيم صحيحة، من حيث إن الأستاذ أصيب بجلطة عند عودته للمنزل فى ذات اليوم الذى شهد مشادة الكاتبة الكبيرة سلوى بكر، مع الراحل الكبير إبراهيم فتحى، لكننى أشك، لدرجة اليقين، فى استنتاج أن سببها كان هو تلك المشادة، وإن وصلت «لخناقة شوارع».

أتفق معه فى أنه كانت تحركه أسباب إنسانية وأخلاقية فى ردود أفعاله، كلها، وكان رقيقًا مهذبًا فى التعامل مع الجميع، لكنه أيضًا، كان صلبًا، عنيدًا، خبر الحياة فى أسوأ تجلياتها، ومر بصعوباتها على اختلاف درجاتها، وواجه مشاكل أكبر من ذلك الحدث بكثير.

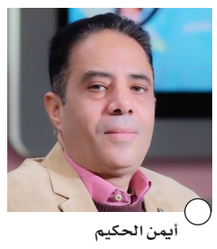

أيمن الحكيم

أشك أن مشادة سلوى بكر وإبراهيم فتحى وراء إصابة صبرى بـ«جلطة»

شهدت مع الأستاذ ما هو أشد وقعًا.. مؤامرة حزبية لفصله من الجريدة التى عمل بها محبة لصديق واجهها بالسخرية والتجاهل

إبراهيم عبدالفتاح

آخر قصيدة

آخر قصايدك إيه
يمكن تفتح وردة ع الأسفلت
أو يطلعوا قمرين لحظة ما تشرق شمس
أشبك عينيا فى أبجديتها
عرفت ديتها
حاكتبها وارفع كفنى ع الكفين
و ف نن عين الأبرة حاشبك عين
وارفى حواية صدرها

فى الحلم
كانت واقفة بنت بتشبهك
خطفت قميصى ولوحت بالورد
كشفت عن النهدين
و ف نن عين الأبرة شبكت عين
ياريتنى كنت شبكتها

عديت من الهاء اللى نايمة
وحدها ع السطر
ولعت صف من الشموع
صفين
تلاتة
أربعة
مدى
«الجملة دى مترددة حاكتبها تانى»
ولعت صف من الشموع
وخلعت بدنى من الهدوم
كانت عنيكى خليج نبيت
عديت/ غرقت
لمحت مركب من ورق
ركبت
ورقصت لما اتورموا القدمين
و ف رجلى

عين السمكة كانت عين
ياريتنى كنت حرقتها

آخر قصيدة كتبتها
ماكتبتهاش
ماشى بالملم ضلها
يمكن تسرسب ضيها بين عتمتين
أو تبتسملى فى آخر الفنجان
يمكن عجوزة بتفرك النسيان
أو شاى برد على زهرة البستان
أو بكر عانس نايمة بالفستان
واحدة وحيدة زى خيمة ف صحرا
دقيت بيبان العرافين والسحرا
فى كل مرة تمر مرة الإجابة
آخر قصايدك إيه؟

شابت فى ضل البيوت
باشت فى بال السكوت
واتدحرجت م القلعة سكنت تابوت
كان اسمه بيت فى الإمام
مزعت كفنى وهمت فى الشارع
القهوجى خالى
والقهوة صدر أمى
وانتى البريئة براءة النعناع
وقريبة قرب الضى للننى

ابقى اكتبى عنى
سطرين فى صفحة معطرة بروحك
وابقى ابدرى ورودك على بدنى
ماتسبليش عينى

وما تزرعيش صبار على قبرى
ابقى ازرعى صوتك يونسنى
وفوتيلى ضلك ع الطريق
وحطى شالك ع الشجر
لحظة ما يكمل فى السما قمر
و ف كل حين للملح زورينى
وابقى ارسمى عنيكى بعصير التوت
وباسمك اتحنى
وغنى
قد ماتقدرى غنى
وابقى اكتبى عنى:
ماكانتش خطوة قدمى اللى
بتنخر فى السكوت
للدم صوت
وأنا صوتى دمى
أوله اسمك
ونهايته موت.

أهلى وجيرانى

عماد أبو غازى

مؤمن المحمدى

كان عندى ١٩ سنة، وكان هو أستاذ قد الدنيا فى الجامعة، وطلبت أقابله علشان أناقشه فى موضوع، كنت لسه ساذج والدنيا واخدانى، ومش فاهم أبعاد الحياة، والحماس ضارب فى العروق، وكنت غضبان منه جدًا، لـ درجة إنى قررت أتصل بيه وأطلب اللقاء.

الغريبة إنه رحب تمامًا، ودعانى لـ بيته، وسمعنى بـ كل اهتمام وتركيز، كنت ساعتها مؤمن بـ «القومية العربية»، كـ أى شاب تحت العشرين محب لـ الشعر العربى وتاريخ الإسلام، وكان هو بـ يحرر صفحة فى «الدستور» بـ يطرح فيها أفكار «القومية المصرية» إن جاز التعبير، ومهتم بـ تراث مصر المهمل والمنسى والمجهول عمدًا لـ صالح تكريس الثقافة العربية، ف أنا كنت شايف دا ....، شايف دا ....، مش عارف كنت شايفه إيه، بس هو مش عاجبنى وخلاص.

سمعنى، والواقع إنى بعدين لقيت دا مدهش، الدكتور عماد أبوغازى شخصيًا، بـ يسمع شاب صغير محدش يعرفه نوهائى نوهائى، اللى هو المعيد فى الجامعة وقتها كان ممكن ما يستعناش تكلمه خمس دقايق فضلًا عن إنك بـ تنقده، لكن فاكر إنى اتكلمت كتير بـ اندفاع فى نقد ما يطرحه، دون أى تحفظ، أو تذويق.

رده بقى كان مفاجأة كبيرة بـ النسبة لى، قال لى: أفكارك مرتبة وجيدة، إيه رأيك نحول النقاش من شفوى لـ تحريرى؟ ما فهمتش، وما توقعتش إنه ممكن يطرح حاجة زى دى، لكنه قال: إنت هـ تكتب رأيك دا، وأنا هـ أنشره فى الصفحة اللى بـ أحررها، وأرد عليه، إيه رأيك؟

الواقع إنى اعتبرته بـ يهزر، محدش بـ يعمل كدا، محدش خالص يعنى، لكنه وعدنى بـ نشر أى حاجة أكتبها كما هى دون أدنى تغيير، ودون تخفيف لـ النبرة، وهو هـ يناقش الكلام دا مناقشة موضوعية. وقد كان.

دا أقدر أعتبره أول مقال كتبته فى حياتى، ونشره فعلًا كما هو، ورد بـ كلام شديد الموضوعية والتهذيب، وكانت معركة صحفية مشهورة وقتها، فضل صداها شهور، وناس كتير كتبت ترد على ما كتبته أو ترد على رد الدكتور عماد، ثم عدت واتنسيت زى كل حاجة ما بـ تتنسى، لكن فضل مأثر فى تعامله مع الموضوع.

لا أدعى صداقة الدكتور عماد، لكن فى كل مرة أتقاطع معاه كان بـ يتزايد الاندهاش من ذلك الرجل «المحترم»، أساسًا كلمة «محترم» دى من الكلمات المزفلطة اللى بـ يقولوها على أى حد دون معايير، إنما محترم بـ النسبة لى يعنى تبقى زى عماد أبو غازى.

محترم يعنى تكون كل حاجة بـ النسبة لك لها قيمة معينة، وتحافظ على القيمة اللى إنت قررتها فى السر والعلن، فى المجال العام والمجال الخاص، وهو كان مؤمن على الأقل بـ قيمتين واضحتين: العلم والوطن «مصر» وطول الوقت كان جادًا فى تكريس القيمتين دول دون حسابات اعتاد الكثيرون على اعتبارها.

أذكر مرة كنا فى مكتبه، عدد قليل جدًا من الناس اللى عارفين بعض، ودخل كاتب لا داعى لـ ذكر اسمه، المفروض إنه كاتب كبير ومعروف، ثم إنه طلع تليفونه، وفرجنا على فيديو فيه سخرية من النشيد الوطنى، وفاكر إنه دكتور عماد انزعج فعلًا، اللى هو ما ينفعش النشيد الوطنى، اللى عمله سيد درويش، يبقى محل سخرية، ومن كاتب بـ هذا الحجم.

كانت جلسة خاصة، مش قدام الكاميرا ولا الميكروفون، محدش يعنى هـ يهتم ولا يركز، لكنها كانت من المرات القليلة اللى شفته فيها غاضب، وقعد يفكرنا بـ تاريخ النشيد وأهميته وقيمته، وقيمة الحفاظ عليه، ولو النشيد بقى «مسخرة»، مش هـ يكون فيه حاجة تانية نحافظ عليها.

مش النشيد هو سبب اندهاشى، لـ إن دا موضوع قابل لـ النقاش، أقصد حدود السخرية وقبولها، إنما المدهش هو الدكتور عماد، اللى لما بـ يصدق حاجة بـ يعتنى بيها، ودا نادر.

فى كل مرة أتقاطع معاه كان بـ يتزايد الاندهاش من ذلك الرجل «المحترم»

كنزى مدبولى

علاء الأسوانى

كنزى مدبولى وعلاء الأسوانى.. من عشوائيات السياسة إلى عشوائيات السوشيال ميديا

محمد الباز

مجرد فقاعات أدبية يا صديقى

كنت أستعد لدخول القاعة التى تُعقد فيها ندوة كتابى «إمام التفكير.. زيارة جديدة لنصر حامد أبوزيد»، عندما سمعت ضجة وصراخًا وأقدامًا تتسارع بحركة مريبة، لم ألتفت لما يجرى، كانت لدينا مناقشة تمنيت أن تكون ساخنة، وهو ما جرى، فقد كان المناقش هو الدكتور محمد سالم أبوعاصى، أستاذ التفسير وعميد كلية الدراسات العليا السابق بجامعة الأزهر، ومدير الندوة هو الصديق العزيز الإذاعى اللامع محمد عبدالعزيز.

انتهت الندوة التى كنت راضيًا عنها تمامًا، فالقاعة احتفت بنصر، الاحتفاء الذى يليق به، والمناقش كان على قدر الكاتب، وعلى قدر نصر، وكم سعدت ببعض من تحدثوا، وقالوا إنهم غيّروا وجهة نظرهم تمامًا فى أبوزيد بعد قراءة الكتاب، اعتبرت ما قيل شهادة على أن الكتابة لا تزال تؤتى ثمارها.

قادنى فضولى الصحفى للسؤال عن الضجة التى اعترضت طريقى قبل دخول القاعة، فسمعت اسمًا واحدًا فقط هو «كنزى مدبولى».

بحثت فوجدت أنها كانت توقع روايتها الأولى «فرصة من ذهب»، وأن قراءها تزاحموا عليها، للدرجة التى دفعت إدارة المعرض لإنهاء حفل التوقيع، وتفريق الجموع المحتشدة التى كانت تطارد الأخت كنزى، حتى تحصل على توقيعها، ثم عرفت بعد ذلك أن طبعات الرواية توالت خلال أيام حتى وصلت إلى ١٧ طبعة «!!!!».. وعلامات التعجب من عندى بالطبع.

يبالغ البعض فى تصوير ما حدث، سمعت أحد النقاد الكبار يقول فى أسى وأسف: يبدو أننا نعيش زمن كنزى مدبولى.

لم يصل الأمر إلى هذه الدرجة بالطبع، فكنزى مدبولى ليست إلا فقاعة، ولا يمكن وصفها بأنها فقاعة أدبية، لأن ما تفعله لا علاقة له بالأدب لا من قريب أو بعيد، فالفتاة الصغيرة المولودة فى العام ١٩٩٩، وجدت نفسها فجأة فى دائرة الشهرة، يسعى خلفها آلاف المعجبين والمعجبات، لا لشىء إلا لأنها أصبحت «بلوجر» تقدم محتوى خاصًا عبر السوشيال ميديا.

حتى العام ٢٠١٧ لم يكن لكنزى أى ذكر، مجرد فتاة بدأت دراستها فى كلية الإعلام بالأكاديمية العربية للنقل والتكنولوجيا الحديثة، بدأت تقدم فيديوهات تخاطب بها بنات جيلها بطريقتهن، ولما ارتبطت بفراس مهيب، بدأت تقدم فيديوهات عن مشاكل المرتبطين بطريقة درامية رأى البعض أنها كوميدية ودمها خفيف ولا أكثر من ذلك.

لا يعرف أحد لكنزى مدبولى أى اهتمامات أدبية، ولا يعرف أحد عنها حبها للقراءة، وليس بعيدًا أن تكون كتبت روايتها الأولى دون أن تكون قرأت قبلها أى كتاب أو رواية أو معرفة بالأدب المصرى وكتابه، هذا فضلًا عن نقاده بالطبع، اللهم أسماء نبيل فاروق وأحمد خالد توفيق ويمكن أحمد مراد بفعل الشهرة وليس بتأثير الكتابة.. هذا إذا كانت تعرفهم من الأساس.

السؤال هو: ما الذى يدفع فتاة صغيرة مثل كنزى لأن تكتب رواية؟ أو ما الذى يجعلها تملك الجرأة لتصف ما كتبته بأنه رواية؟

دعونا نتفق على أنها ليست رواية، فهى مجرد حكاية كتبتها بنت صغيرة استلهمت فيها حياتها، فهى تحكى عن فتاة شابة أطلقت عليها اسم نور، تملك حلمًا كبيرًا فى أن تصبح كاتبة ناجحة ومشهورة، لكنها تواجه تحديات كثيرة تحول بينها وبين تحقيق حلمها، فالأهل والأصدقاء والمجتمع يقفون فى وجهها- لم تحدد أسبابًا مقنعة لذلك- هذا غير عدم ثقتها فى نفسها، لكنها تتحدى الجميع، لا تستسلم وتستمر فى سعيها لتحقيق حلمها، وعندما تلتقى بشاب فى نفس سنها اسمه فارس «لاحظ اقتراب اسمه من اسم خطيبها»، يدعمها فى تحقيق حلمها ويقف إلى جوارها لتذليل كل الصعاب حتى تصل إلى ما تريد.

لقد رأت كنزى- وأمرها هنا لا يهمنى فهى مجرد نموذج لما يجرى على الأرض- أنها حققت جماهيرية كبيرة حصدت من ورائها مكاسب هائلة لمجرد أنها تقدم محتوى سطحيًا ساذجًا لا عمق فيه، فمن أين تأتى بالعمق وهى بلا تجربة ولا قراءات ولا تعليم جيد، فما المانع فى أن تنزل إلى السوق بحكاية لا تقل سذاجة ولا سطحية عن فيديوهاتها، فهى تضمن أن جمهورها سيخطف الرواية، وهو ما حدث بالفعل.

لا يمكن أن أتعالى على التجربة، فما دامت الحكاية التى كتبتها كنزى وجدت من يشتريها، فهى حتمًا تلبى لديهم احتياجًا ما، ثم إن كنزى سرعان ما ستتلاشى، كما تلاشى قبلها آخرون ساروا على طريقها، فما جرى معها جرى قبل ذلك مع زاب ثروت وعلى غزلان- رغم احترامى لتجربة على- فقد أحدثوا ضجة هائلة فى المعرض عندما كانوا يوقعون كتبهم التى ذابت فى الفراغ كما ذابوا.

ما يشغلنى حقًا هو صناعة الفقاعات الأدبية التى تترك أثرًا سلبيًا بدرجة كبيرة فى مجالنا العام.

قبل سنوات وعندما صدرت رواية «عمارة يعقوبيان» لعلاء الأسوانى، جرت عملية تصنيع لكاتب متوسط القيمة، لم تلاقِ أعماله السابقة أى نجاح يذكر.

لقد دخل علاء الأسوانى إلى عالم الأدب من عيادة الأسنان التى كان يملكها فى جاردن سيتى، كان الأديب الكبير جمال الغيطانى واحدًا من زبائنه، وجلسة فى الثانية قدم علاء لجمال بعض أعماله، ويبدو أن جمال جامله حتى يكون رفيقًا به وهو على كرسى العيادة، فنشر له بعض أعماله، ومن باب المجاملة أيضًا أثنى عليه.

كانت «عمارة يعقوبيان» مجرد رواية تجارية، لا تزيد على أعمال خليل حنا تادرس، حشد علاء فيها كل التوابل التجارية، ودفع بها إلى السوق، ولم يكن يتوقع أن تحدث الرواية كل هذه الضجة، لكن الهوى السياسى تلقفها وأعاد إنتاجها مرة أخرى.

صدرت الرواية فى طبعتها الأولى عن دار ميريت، فلم يلتفت لها أحد، لكن عندما صدرت طبعة منها عن دار الشروق بدأت مرحلة جديدة فى حياتها وحياة كاتبها.

كان الجو السياسى مشحونًا ضد نظام مبارك بدرجة كبيرة، وكان علاء قد جسد فى روايته شخصية تتشابه إلى حد كبير مع شخصية القطب السياسى الراحل كمال الشاذلى، وهو ما نبه له يحيى الجمل فى مقال له بالأهرام، فبدأ الجميع فى الانتباه إليها والكتابة عنها وإجراء الحوارات مع صاحبها، ولم يكن ذلك لعبقرية علاء أو عبقرية الرواية ولكن كيدًا فى مبارك ونظامه، ولما التفت وحيد حامد إلى الرواية وحولها إلى فيلم سينمائى ربح علاء ما لم يربحه أديب غيره.

بعد عرض الفيلم كنت أحاور علاء فى عيادته، ويومها شكا لى من وحيد حامد، وأنه لم يعطه حقه، فرغم كل المكاسب التى حققها الفيلم فإنه لم يحصل على أكثر من عشرة آلاف جنيه، ولما كلم وحيد رفض أن يمنحه مليمًا زيادة لأنه سبق وحصل على حقوقه، وأن عماد أديب الذى أنتج الفيلم تدخل وعرض تعويض علاء، وهو ما لم يحدث.

ألمحت إلى ما قاله علاء دون تصريح، ففهم وحيد، حدثنى فالتقيت به فى مقره الدائم على مائدة فندق «جراند حياة» وبالصدفة كلمه علاء وأنا جالس معه، فتح وحيد سماعة التليفون لأسمع علاء وهو ينفى تمامًا أن يكون قال شيئًا، وأننى أريد الإيقاع بينهما، فقطع وحيد عليه الطريق، ووقتها كان الإخوان قد بدأوا فى مطاردة وحيد بسبب الفيلم، فقال له: جرى إيه يا علاء.. جرى إيه؟ هو أنا هواجه الحنش اللى عايز ياكلنى، ولا هابص للفار اللى عايز يلاعبنى؟.. عيب.. عيب كده يا علاء.

توقعت أن يرد علاء الإهانة، فوحيد حامد يصفه بالفأر، لكن المفاجأة أن علاء ابتلع الإهانة وصمت، وختم المكالمة بتذلل شديد، قال لوحيد: أنا بس كنت عايز أوضح موقفى يا أستاذ.

بعد عمارة يعقوبيان أصدر علاء روايته «شيكاغو» التى حشد فيها كمًا هائلًا من مشاهد الجنس، فهو لا يملك بضاعة أخرى يأتى بجمهوره إليه غيرها، ثم أصدر روايته «نادى السيارات»، فمرت مرورًا عابرًا دون أن يلتفت إليها أو إليه أحد، ولما أعاد أعماله القصيصة الأولى طمعًا فى الانتشار تعامل معها الجمهور تعاملًا عاديًا.

بعد الثورة تحول علاء الأسوانى إلى زعيم سياسى، وكان مشهد خناقته مع أحمد شفيق المرتب بعناية على قناة «أون تى فى» سببًا إضافيًا فى منحه رصيدًا فى شارع سياسى يعانى من العشوائية الشديدة، فلا ثوابت ولا معايير.

بعد ثورة ٣٠ يونيو وبعد أن وصف الرئيس السيسى بأنه «شارل ديجول» مصر، انقلب على عقبيه، ولما أصدر روايته «جمهورية كأن» سقطت سقوطًا يوازى سقوطه، فما قدمه لم يكن إلا منشورًا سياسيًا من كاتب موتور، اعتقد أنه سيكون فيلسوف الدولة ومُنظرها، فتم تجاهله لأنه لم يملك شيئًا يقدمه.

كان النقاد الكبار يعرفون قدر علاء جيدًا، لكنهم استسلموا لضجة السوق التى أحاطت به، فشاركوا فى الزفة، ودفعت دار النشر كتابها الكبار ليثنوا على علاء، ففعلوا دون أن يناقشوا، وكنت أتعجب من كاتب كبير مثل جلال أمين، كيف له أن يثنى على هذا الغثاء الذى يقدمه علاء، رغم أنه يخالف كل ما يقدمه ويدعو له.

الأدباء الكبار سكتوا عن ظاهرة علاء الأسوانى، قرروا أن يستفيدوا منه، فحالة القراءة التى صنعها بروايته الشعبية جعلت الجمهور يتجه إلى الروايات، ولا أنسى ما قاله لى الأديب الكبير إبراهيم عبدالمجيد ونحن نجلس سويًا على مقهى زهرة البستان، قال: شوف علاء الأسوانى بالنسبة لنا عامل زى حصان طروادة اللى دخلنا من خلاله إلى القراء مرة أخرى، سيبك من أنه أديب متواضع القيمة، وبعد سنوات لن يذكره أحد، لكن خلينا فى اللى قدرنا ناخده منه.

لم يكن علاء الأسوانى أكثر من إفراز لواقع نتن، كان مناسبًا لأن يتصدر الصورة تمامًا، ففى أوقات التردى يطفو على السطح أشباه الكتاب وأشباه الأدباء وأشباه البشر أيضًا.

توقع كثيرون أن تنزوى ظاهرة علاء الأسوانى الأدبية، وأكدوا أنه بمجرد موته لن يتذكره أحد، نجح توقع النقاد إلا قليلًا، فقد تراجعت ظاهرته وهو لا يزال على قيد الحياة، فلا يذكر أحد الآن علاء الأسوانى الأديب، وكل ما يقفون أمامه منه هو بذاءاته وطول لسانه وغرضه ومرضه الذى يمارسه من منفاه الاختيارى، فقد حصل على الجنسية الأمريكية، ويقيم هناك فى انتظار أن يرضى عنه سيده الأمريكى.

عندما أقارن بين ظاهرة كنزى مدبولى وظاهرة علاء الأسوانى لا أجد فارقًا كبيرًا بينهما، فكل منهما نتاج لحالة عشوائية دخلها المجتمع المصرى، الأولى ترجمة حرفية لعشوائيات السوشيال ميديا، والثانى ابن مخلص لعشوائيات السياسة التى غرقنا فيها مع نهايات عصر مبارك.

يبقى فقط أن كنزى مدبولى ظاهرة صادقة لأنها تترجم الواقع الذى وصلنا إليه، تترجم عصر التفاهة الذى يسبح فيه الجميع، فتاة بلا قدرات ولا تعليم جيد ولا خيال ولا تجربة تستطيع أن تجر خلفها مئات الآلاف من الفتيات اللائى يملكن حلمًا كبيرًا يردن تحقيقه بلا تعب ولا مجهود ولا مشقة، ولذلك يلتفون حول كنزى، ليس لأنها تعبر عنهن فقط، ولكن لأنهن يرين فيها نموذجًا يمكن إعادة إنتاجه مرة أخرى، وما دامت الفتاة الصغيرة حققت كل ذلك، مالًا وشهرة، فما الذى يمنع الفتيات الصغيرات من الوصول إلى ما وصلت إليه؟

أما علاء الأسوانى فكان ترجمة مشوهة لواقع مشوه، وبالمناسبة لم يضع الأدب فى خدمة السياسة، بل الأدق أنه جعل الأدب والسياسة فى خدمة نفسه، فهو من الأشخاص الذين يعتقدون أن الله اختارهم ليغيروا الكون، رغم أنه فعليًا يستطيع بالكاد أن يغير ملابسه الداخلية.

كنزى مدبولى فى النهاية لا تمثل خطرًا على المجتمع، هى فى النهاية ليست أكثر من جملة اعتراضية سرعان ما تنتهى، لتظهر فى حياتنا جملة اعتراضية أخرى، نتحدث عنها ونحلل أسباب ظهورها ودوافع جمهورها، ثم ينتهى الأمر، لكن الخطر الحقيقى يأتى من ظواهر مثل ظاهرة علاء الأسوانى، الذى يقدم نفسه كأديب يعتقد أنه يطاول الكبار لا لشىء إلا لأن الجمهور التف من حوله فى ظرف سياسى بعينه، دون أن يعرف أنه ابن ظرف طارئ يزول بزواله.

كنت أحدثكم عن خيانة النقاد، وكيف منحوا مَن لا يستحق من الكتاب والأدباء قيمة ليست لهم، وأعتقد أن ما تم مع علاء الأسوانى يتحمل النقاد جزءًا كبيرًا منه عندما تعاملوا معه على أنه شىء له قيمة، رغم أن ظاهرة مثل كنزى مدبولى أولى بالكتابة عنها من علاء، فهى ليست ظاهرة أدبية، بقدر ما هى ظاهرة اجتماعية تعبر عن خلل كبير ضرب حياتنا، وما أدعو إليه ليس الكلام عنها ولا عن حكايتها الطفولية الساذجة، ولكن الحديث عن السياق الذى أنتجها، وجعلها تنفجر فى وجوهنا بهذا الشكل.

نحتاج بالفعل إلى تنقية ثوب الأدب المصرى من التفاهات، لا أطالب مستقبلًا بالحجر على أمثال كنزى مدبولى وعلاء الأسوانى، فقط نريد أن نضع الأمور فى نصابها، والأشخاص فى حجمهم، فأخطر ما نواجهه طول الوقت هو أن نجعل الهامش متنًا.. وهو ما حدث مع علاء وكنزى.. فهل نفيق من هذه الغيبوبة أم نستسلم لها فننجرف إلى بوابة الخروج من التاريخ؟.. أتمنى بالطبع أن نفيق.

علاء الأسوانى لم يضع الأدب فى خدمة السياسة بل الأدق أنه جعل الأدب والسياسة فى خدمة نفسه

وحيد حامد

عندما أقارن بين ظاهرة كنزى مدبولى وظاهرة علاء الأسوانى لا أجد فارقًا كبيرًا بينهما فكل منهما نتاج لحالة عشوائية

حوارات اتحاد الناشرين

تجرى انتخابات التجديد النصفى لمجلس إدارة اتحاد الناشرين المصريين، غدًا الخميس، والتى يعول الناشرون عليها كثيرًا لتحقيق طموحاتهم وآمالهم فى النهوض بصناعة النشر، باعتبارها من أهم عناصر القوى الناعمة المصرية.

وأعلن اتحاد الناشرين المصريين، قبل أيام، عن قائمة المرشحين لانتخابات التجديد النصفى 2024، والتى تضم مرشحين من غالبية دور النشر أعضاء الجمعية العمومية للاتحاد، . «حرف» حاورت هؤلاء المرشحين حول أبرز ما تتضمنه برامجهم الانتخابية من حلول للمشكلات التى يعانى منها أعضاء الجمعية العمومية، ورؤيتهم لوضع اتحاد الناشرين المصريين فى الوقت الحالى، ولصناعة النشر بصفة عامة... فإلى نص ما قالوه.

إبهار

محمد نبيه: «رقمنة» كل مراحل النشر

الأزمة الحقيقية فى قلة القراء.. ونحتاج إلى حملة كبرى لزيادة الأعداد

قال الناشر والكاتب محمد نبيه عبدالتواب، صاحب دار «إبهار» للنشر والتوزيع، المرشح فى انتخابات التجديد النصفى لاتحاد الناشرين المصريين، إن برنامجه الانتخابى يتضمن عدة محاور، أبرزها العمل الجاد للوقوف على بيانات دقيقة ومعلومات كاملة عن المهنة بكل تفاصيلها، حتى يستطع الناشرون مساعدة أنفسهم بشكل علمى وعملى وواقعى، مشددًا على أن هذا البرنامج يتطلب تضافر جهود كل أعضاء مجلس اتحاد الناشرين.

وأضاف «عبدالتواب»، فى حديثه إلى «حرف»: «الرقمنة، والقرصنة الإلكترونية وتزوير الكتب، والترجمة، والتوزيع والمبيعات والمعارض الدولية، من أبرز ما يتضمنه برنامجى الانتخابى».

وأوضح أنه فيما يتعلق بموضوع «الرقمنة»، أرى أنه من أول استخراج رقم الإيداع والترقيم الدولى، يجب أن يتم هذا عن طريق الموقع الإلكترونى، وليس على الطريقة التقليدية المتبعة هنا، مشيرًا إلى أنه درس ما تنفذه الإمارات والسعودية فى هذا الملف، وإجراءاتهما المتعلقة بصناعة النشر كنماذج عمل رقمية تخضع لآليات عمل فى شكل مؤسسى.

وشرح: «السعودية أطلقت برنامجًا دوليًا، فى ٢٠٢٣، يتضمن إرسال الناشرين إلى العاصمة البريطانية لندن، من أجل الخضوع لدورة مكثفة عن صناعة النشر، يتم خلالها إطلاعهم على التجارب الدولية فى هذا الشأن، وكيفية العمل فى إطار مؤسسى»، معتبرًا أن «مصر بها كل شىء، ما عدا تنظيم أنفسنا من خلال اتحاد الناشرين، خاصة فى ظل كونها رائدة فى صناعة الثقافة والنشر، وامتلاكها القدرة والكفاءات التى تؤهلها لتلك الريادة».

واعتبر أن الأزمة الحقيقية تتمثل فى قلة عدد القراء فى مصر، مشيرًا إلى الإحصائية التى نشرها الجهاز العام للتعبئة العامة والإحصاء، بمناسبة «اليوم العالمى للقراءة»، فى أبريل ٢٠٢٣، التى جاء فيها أن عدد القراء فى مصر لا يتجاوز ٣,٩ مليون قارئ، وهو رقم قليل للغاية، خاصة أن المترددين منهم على المكتبات الخاصة، التى توزع كتب الناشرين، لا يتجاوز نصف مليون قارئ.

ورأى صاحب دار «إبهار» للنشر والتوزيع أن هذا يتطلب إطلاق حملة كبرى تتكاتف فيها كل الجهود، بهدف زيادة عدد القراء، وحث الشباب الناشئ على أن يمسك بالكتاب ويقرأ، متابعًا: «زيادة عدد القراء تحل أغلب مشكلات صناعة النشر فى مصر».

وعن النشر الرقمى ودوره فى حل هذه المشكلة، قال «عبدالتواب»: «الاتجاه الحالى نحو النشر الرقمى، ما يتطلب من الناشرين الاستعداد جيدًا لهذا التطور الكبير، وهو ما فعلناه فى دار (إبهار) بالفعل، عبر التعاقد مع بعض المنصات الإلكترونية والقراءة الصوتية».

وأضاف: «الفكرة الأهم هى حماية حقوق الناشر والمؤلف، وكذلك المنصات الرقمية التى تدر دخل للناشرين المتعاقدين معها، وهو أمر إيجابى وأفضل كثيرًا من القرصنة الإلكترونية التى كانت منتشرة بشكل كبير فى الماضى»، مشيرًا إلى أنه «فى الوقت نفسه، لا غنى عن الكتاب الورقى المطبوع، ولا توجد مشكلة أن نسير بالتوازى بين الكتابين الورقى والرقمى، فى إطار مواكبة المستجدات».

وكشف عن أن برنامجه يتناول مسألة التحول الرقمى هذه، ومن غير المعقول أن يحارب «رقمنة المحتوى» بأى صورة، بل يرى أنه من الضرورى السعى نحو التعاقدات بين الناشرين والمنصات الرقمية، طالما تحافظ على حقوق الناشر وتدر دخل عليه، خاصة فى ظل ارتفاع سعر الورق، الذى خلق لدى القراء تخوفًا من شراء الكتاب المطبوع، وإمكانية أن يكون محتواه ضعيفًا، فاتجهوا إلى تفضيل قراءته على المنصة الرقمية فى البداية، قبل شرائه حال اقتنعوا بمضمونه.

ورأى أن التحديات الأخرى التى نحتاج إلى مجابهتها تتمثل فى ارتفاع سعر الورق والأحبار والطباعة، الذى جعل صناعة النشر مكلفة للغاية، إلى جانب ملف تزوير الكتب والقرصنة الإلكترونية، الذى يضر باقتصاد الدولة والناشر المصرى بشكل كبير، مشيرًا إلى أن اتحاد الناشرين العرب، ورئيسه محمد رشاد، تطرق إلى هذا الموضوع مرارًا وتكرارًا، الذى يستوجب تفعيل القانون لمحاربته، خاصة أنه تشريع حاسم، لكن ينقصنا تنفيذه بحسم.

وفيما يتعلق برؤيته حول العمل الداخلى فى اتحاد الناشرين، قال «عبدالتواب»: «المستوى التنظيمى داخل الاتحاد يسير على نحو جيد، وأعضاء المجلس السابقون لم يدخروا جهدًا على هذا المستوى، لكن ما يتوجب علينا فعله خلال الفترة المقبلة، هو تفعيل اللجان النوعية داخل الاتحاد، مثل اللجنتين الإعلامية والاجتماعية، فى ظل أن الاهتمام كله منصب على لجنة المعارض»، مشددًا على أن الناشرين أنفسهم مطالبون بالاهتمام بمثل هذه اللجان والاشتراك بها.

الشروق

أحمد بدير: تغليظ عقوبة تزوير الكتب إلى الحبس

ذكر أحمد بدير، المدير العام لدار «الشروق» للنشر والتوزيع، المرشح فى انتخابات التجديد النصفى لاتحاد الناشرين المصريين، أن الهدف الأساسى من ترشحه يرجع إلى رغبته فى الوصول إلى حلول جذرية لما يعانيه الناشرون المصريون، والخروج من الأزمات التى تواجه صناعة النشر.

وأضاف «بدير»، فى تصريحاته لـ«حرف»: «من أبرز ملامح البرنامج الانتخابى الذى تعمل عليه القائمة، هو التعامل مع الملفات الأكبر والأخطر التى تهدد صناعة النشر، وذلك بما نمتلكه من خبرات كبيرة تُمكننا من التعامل مع هموم ومشكلات الناشرين المصريين».

وأوضح أن أبرز المشكلات التى تواجه الناشرين تتمثل فى قانونين، أولهما قانون اتحاد الناشرين، الذى مر عليه ما يزيد على ٦٠ عامًا، وثانيهما قانون الملكية الفكرية، الذى تم إصداره فى عام ٢٠٠٢، وكلاهما يحتاج إلى تغيير، وذلك بسبب عدم مواكبتهما تطورات اللحظة الراهنة التى تشهدها صناعة النشر، سواء كان ورقيًا أم إلكترونيًا.

وأفاد المدير العام لدار «الشروق» للنشر والتوزيع بأن العقوبات الواردة فى قانون الملكية الفكرية لا تتجاوز الغرامة المالية، والتى لا تزيد على ٥ آلاف جنيه، وبالتالى فإنها غرامة ضئيلة تفتح الباب أمام التزييف والتزوير، مضيفًا: «لذا سنسعى إلى تغليظ العقوبة، وتضمين وجوب الحبس على كل من يرتكب جريمة التزييف والتزوير للكتب».

وواصل «بدير»: «لدينا العديد من الأفكار والرؤى، على رأسها توسيع قاعدة المشاركة للناشرين المصريين، بحيث تكون لجان الاتحاد أكثر فاعلية وقربًا من أعضاء الجمعية العمومية».

ورأى أنه «لدينا أزمة حقيقية حتى اللحظة الراهنة، وهو عدم الاعتراف بصناعة النشر، بالرغم من أنها تقدم أهم وأبرز منتج ثقافى من حيث الإنتاج، وهو ما يتطلب منا العمل على تحويل اتحاد الناشرين إلى نقابة عامة للناشرين المصريين».

واختتم «بدير» بقوله: «أحد أبرز ملامح البرنامج الانتخابى للقائمة، والتى يأتى على رأسها فريد زهران كممثل لدار نشر (المحروسة)، هو التمثيل المحلى والإقليمى والدولى المشرف لمصر، لتأكيد مكانتها ودورها الثقافى».

الرسم بالكلمات

محمد المصرى: وضع قاعدة بيانات للقراء والمؤثرين ومنافذ البيع

رأى محمد المصرى، مدير دار «الرسم بالكلمات»، المرشح فى انتخابات اتحاد الناشرين المصريين، أن الوصف الأدق لأداء الاتحاد خلال الفترة الماضية هو «انعدام الرؤية»، و«قلة الحيلة»، مشيرًا إلى أن «غياب الكفاءات» هو ما دفعه للترشح فى الانتخابات.

وقال «المصرى»، فى حديثه إلى «حرف»: «السبب الأساسى فى تقدمى للترشح هو غياب الكفاءات والكوادر القادرة على إدارة دفة النشر، فى ظل وضع اقتصادى صعب، لذا حاولت أن أقوم بما يمليه علىه ضميرى تجاه مهنة نعتز بإمتهانها، ومحاولة تصحيح مسارها من موقع مجلس الإدارة، بعد أن فشلت فى تنفيذ أفكارى وإيصال صوتى كعضو فى اللجان المختلفة».

وأفاد بتحديده ملفات معينة للعمل عليها، وخدمة المهنة من خلالها، مع استقراره على تولى مسئولية لجنة «التسويق»، رغم عمله الطويل فى لجنة «الملكية الفكرية»، مرجعًا هذا إلى أسباب عدة، أولها أن أزمة الناشرين الحقيقية الآن اقتصادية بحتة، سواء كان فى تسويق إصداراتهم، أو ما يتعلق بمشاركات المعارض الداخلية والخارجية غير المبنية على معلومات وبيانات حقيقية، ما ينعكس على الناشر بالخسارة.

وأضاف: «هناك أيضًا أزمات تمويل ورعاية، ومشاكل تسعير ناتجة عن تحرك دائم لأسعار الخامات، مع عدم توافرها فى بعض الاحيان، علاوة على أزمة اقتصادية للاتحاد نفسه، فلا الاتحاد يمتلك راعيًا كباقى الاتحادات النوعية، ولا يمتلك حتى علامة تجارية مسجلة، وهو ما ناديت به كثيرًا منذ سنوات، فلا يعقل أن تكون كل مصادر دخل الاتحاد قائمة على تحصيل الاشتراكات، ونسبة من شركات الشحن التى تشحن كتب الناشرين إلى المعارض».

وشدد على ضرورة أن يمتلك اتحاد الناشرين المصريين، بالتعاون بين لجنتى «التسويق» و«التطوير المهنى»، قاعدة بيانات لكل من: القراء وتوجهاتهم، والمؤثرين فى مجتمعات القراء، ومنافذ البيع المختلفة العامة والخاصة «المكتبات وغيرها»، وأعداد المترددين عليها، والقوة الشرائية للمعارض المختلفة داخليًا وخارجيًا، والموردين، وجهات التوريد الحكومية والأهلية كمكتبات وزارة التربية والتعليم وقصور الثقافة والجامعات، فى الداخل والخارج، وبعد جمع كل هذه البيانات تُعالج وتُتاح للناشرين.

ونبه إلى أهمية تسجيل العلامة التجارية لاتحاد الناشرين، والبحث عن رعاة له، سواء رعاية مباشرة أو مؤقتة للفعاليات المختلفة، مثل المعارض والجوائز وغيرها، فضلًا عن إنشاء «شُعب» مختلفة فى الاتحاد لقطاعات مهمة، مثل النشر الصوتى، والنشر الإلكترونى، والوسائل التعليمية، والمكتبات، مع فصل لجنة «التسويق» و«العلاقات العامة»، وضم الأخيرة إلى «الإعلام»، لأن التسويق مختلف عن العلاقات العامة.

وأتم بقوله: «الأفكار كثيرة والرؤية موجودة، والقادرون على تنفيذها كثر، لكن التحدى الأكبر والأول الآن هو أن يستعيد الاتحاد قدرته على جذب الكوادر، حتى تعود ثقة الجمعية العمومية فيه، وتتحقق رؤيتنا للنشر، وهى الريادة، كما اعتادت مصر طوال تاريخها».

دفتر زين

محمود عبد النبى: إقامة معرض فى كل محافظة

أكد محمود عبدالنبى، صاحب دار «دفتر زين» للنشر والتوزيع، المرشح فى انتخابات اتحاد الناشرين المصريين، أن الاتحاد هو العمود الفقرى لمهنة النشر فى مصر، والأساس المتين لتنظيم هذه المهنة بين أعضائه، وخلق فرص واعدة لازدهار تلك المهنة المهمة فى صناعة الوعى الثقافى المصرى، والرافد الأهم فى صناعة القوى الناعمة المصرية. وأضاف «عبدالنبى»: «لذلك، كل المُرشحين فى هذه الانتخابات، أعلم تمام العلم، أن لديهم الرغبة فى العمل الجاد لمواجهة التحديات الكبيرة التى تكاد تعصف بهذه المهنة، وأنا واحد من هذه المجموعة المهمومة بمشاكل النشر فى مصر».

وواصل: «التحديات كبيرة ومتعددة، ويأتى على رأس الأولويات لمواجهتها، إتاحة المزيد من فرص البيع، بإقامة عدة معارض، فمصر لديها ٢٧ محافظة، وبإمكانات بسيطة، يستطيع اتحاد الناشرين، بالتعاون مع كثير ممن يأملون فى ازدهار صناعة النشر، إقامة معرض فى كل محافظة، إلى جانب إتاحة المزيد من أماكن توزيع الكتاب».

وأكمل: «هناك ملفات أخرى لابد من وضع حلول لها، من بينها المشاكل المتعلقة بأرقام الإيداع، وتأخر استخراج تجديد السجلات التجارية للناشرين، مع الحاجة للتفكير خارج الصندوق فى مشاكل الصناعة، مثل ارتفاع أسعار الورق والأحبار ومعظم مدخلات صناعة الكتب». ورأى أن كثيرًا من هذه المشكلات حلوله سهلة وبسيطة، كما أن المشكلات الكبيرة التى تواجه الناشر المصرى، يمكن حلها بالتضامن والتوافق على تكوين مجلس إدارة متجانس، ينأى عن المهاترات والصراعات، ولا ينظر إلى المصالح الضيقة.

واختتم صاحب دار «دفتر زين» للنشر والتوزيع قائلًا: «مصر لديها أكبر عدد ناشرين فى الوطن العربى، فقد تخطى عدد المقيدين أكثر من ١٥٠٠ ناشر، لذلك فهى تستحق اتحاد ناشرين يمثلها أفضل تمثيل، اتحاد مهنى يشرفها فى أى محفل».

منشورات الربيع

أحمد سعيد عبدالمنعم: خطة عمل من 10 نقاط لتحويل المهنة إلى صناعة

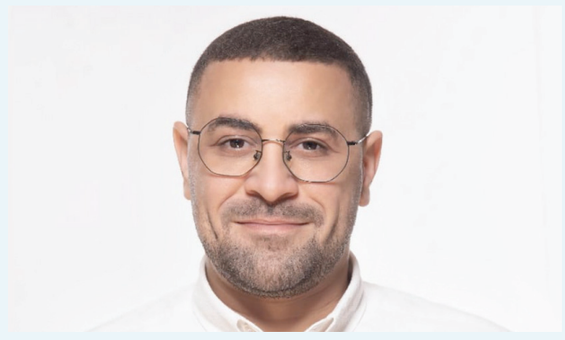

أكد أحمد سعيد عبدالمنعم، المدير العام لدار «منشورات الربيع»، المرشح فى انتخابات اتحاد الناشرين المصريين، أن الهدف الأساسى وراء ترشحه هو تنفيذ خطة لتطوير المهنة، وتقديم مفهوم جديد لعلاقة الناشرين باتحادهم المهنى.

ورأى «عبدالمنعم» أن دور الاتحاد فى السنوات الأخيرة، اقتصر على متابعة اشتراك الناشرين فى المعارض الداخلية والخارجية، وتوفير بعض الخدمات الاجتماعية، وغير ذلك من أمور لا تتضمن التأهيل المهنى للناشرين الجدد، ولا معاونة الناشرين القدامى على خلق بيئة متكاملة ومناخ مناسب لنمو استثماراتهم فى مهنة النشر.

وأضاف: «يتحدث كثيرون عن مهنة النشر باعتبارها صناعة، ونرى أنه ليتحقق هذا الوصف على تلك المهنة التقليدية فقد وجب علينا توفير عدد من الأساسيات التى نفتقد إليها، رغم كل سنين تلك المهنة على هذه الأرض».

وأوضح أن برنامجه يرتكز على ١٠ نقاط، يمكن الانطلاق منها إلى مزيد من النشاطات التى يسعى إلى أن تعيد للناشرين الثقة فى جدية الاتحاد بشأن العمل من أجل رفع كفاءة جميع العاملين فى هذه المهنة ودعمهم مهنيًا، وتحفيزهم على التفاعل والمشاركة، بما يحقق للسوق كلها الاستفادة.

ورأى أن هذا النقاط تجعل المهنة مؤهلة لأن تكون بالفعل صناعة تفيد وتدعم اقتصادنا الوطنى وقوتنا الناعمة، التى أسهم الناشرون فى بنائها على مدار فترة طويلة، بما نشروه من إبداع وفكر وإنتاج علمى، أدخل الكتب المصرية إلى كل بيت فى الإقليم، بل إلى كل بيت يقرأ العربية فى كل العالم.

أولى هذه النقاط، والحديث لا يزال لـ«عبدالمنعم»، هى تقديم كامل الدعم للناشرين الجدد، وتعريفهم بأدبيات المهنة وأصولها، ومتابعة خطواتهم ودعمهم لوجيستيًا، للوصول بهم إلى الاحترافية التى يستحقها مشهد النشر المصرى. ويتضمن برنامج مدير «منشورت الربيع» أيضًا عقد شراكات مع كليات الفنون، لإقامة مسابقات دورية وتدريب فى دور النشر، لتغذية السوق بأعداد سنوية من الرسامين والخطاطين والمصممين والمخرجين الفنيين، الماهرين والمدربين على صناعة الكتب وكل مستلزمات الناشرين.

ويشتمل كذلك على دعوة كليات اللغة العربية واللغات للإشراف على تدريب المدققين اللغويين والمحررين والمترجمين الماهرين، لاعتمادهم ضمن قوائم تحدث سنويًا، وإتاحتها للناشرين، وتعميمها فى جميع وسائل التواصل.

كما يتضمن على عقد شراكات استراتيجية مع شركات تصميم المواقع أو المتاجر الإلكترونية، والبرامج المحاسبية، والتسويق، وشركات التوصيل والتخزين والنقل، لتهيئة البنية التحتية لعمل الناشرين، وتيسير تسويقهم وبيعهم لمنتجاتهم، داخل وخارج مصر.

واقترح «عبدالمنعم» تعميم برامج نشر مشتركة بين الناشر الخاص والهيئات الحكومية، بما يؤمِّن نسبة من الدعم للمؤلفات ذات الأهمية القومية والحضارية والعلمية، التى قد لا تكون ربحية، بما يشجع الناشرين على الاستثمار فيها وتحمُّل أعبائها كل، دون تدخل حكومى داعم.

النقطة السادسة فى البرنامج تختص بتنظيم جلسات عمل شبه دورية مع كبار الموزعين داخل وخارج مصر، للتنسيق بينهم وبين الناشرين، من أجل تجهيز السوق وترتيبه لاستيعاب الكتاب المصرى، بما يليق به وما يستحق من مكانة. أما النقطتين السابعة والثامنة فتهتمان بتعميم دورى لكل المنح والفرص التمويلية والدعم المُقدَّم للترجمة، من كل اللغات إلى العربية والعكس، وتنظيم لقاءات مهنية دورية تُعرِّف الناشرين بمختلف تخصصاتهم على مستحدثات صناعة الكتاب فى العالم والحلول المهنية للمشكلات التى تواجه الناشرين فى كل مكان.

كما يتضمن البرنامج فى آخر تقطتين به، إجراء دراسة سوق ونشرة استرشادية للناشرين، يمكنهم على أساسها اتخاذ القرارات الخاصة بالنشر والتسويق والتوزيع، والمشاركة فى المعارض الداخلية والخارجية، إلى جانب مراجعة دورية لاستجابة الناشرين للبرامج المهنية التى يتم تقديمها، ومدى نجاح ذلك فى دعمهم مهنيًا، وتطوير منتجهم شكلًا وموضوعًا، ومدى انعكاس ذلك على حركة المبيعات ونجاح الخطط التسويقية.

واختتم «عبدالمنعم» بقوله: «يعتمد ذلك كله على الناشر، إن أراد أن يثق فى قدرة العمل الجماعى تحت مظلة الاتحاد، واعتمد التطوير والتجويد أساسًا لعمله، حينها قد نصل جميعًا بمهنتنا إلى مرحلة الاحترافية، التى تؤسس لما يُدعى بصناعة النشر».

همسة

فتحى عبدالمقصود: تحويل الاتحاد لنقابة.. وإنشاء سوق للكتاب

وعد فتحى عبدالمقصود حسن، مدير دار «همسة» للنشر، بالعمل على حل المشاكل التى تواجه الناشرين بدى الحصول على أرقام الإيداع، قائلًا: «سأعمل على حل مشاكل أرقام الإيداع، التى نعانى منها جميعًا، سواء فيما يتعلق بالتقديم، أو بالنسبة للمعاملة غير الجيدة من القائمين على الأمر».

وأضاف «عبدالمقصود»: «هذه ليست مشكلة هينة، بل استفحلت وتعاظمت جراء إهمالها، حتى أصبحت مشكلة مزمنة يعانى منها كل الناشرين بلا استثناء، خاصة ناشرى الأقاليم الذين يجدون تعنتًا كبيرًا فى الحصول على هذه الأرقام، وهذا ما يمكن أن يحدث من خلال الرقمنة، التى سبقتنا إليها دول كثيرة».

وواصل: «سأعمل على إقناع الهيئة العامة للكتاب برقمنة كل شىء، بدءًا من طلبات أرقام الإيداع عبر البريد الإلكترونى، وكذلك بالنسبة لرقم الإيداع، علاوة على حل أزمة الـPDF والاسطوانة، التى عفا عنها الزمن وباتت تشكل صداعًا لدى كل الناشرين».

ووعد مدير دار «همسة» بالعمل على أن تكون موارد النقابة لخدمة الأعضاء دون تعقيد، معتبرًا أنه كلما تم تخفيض المصروفات، كانت الخدمات المقدمة إلى الأعضاء أفضل، إلى جانب سرعة الاستجابة وعدم تعطيل صرف المساعدات لهم، فى حالة المرض أو الوفاة، متابعًا: «ينبغى تحويل الاتحاد إلى نقابة ترعى مصالح الناشر وأسرته فى حالة العجز والوفاة، وليس كما يحدث الآن من تركيز على الناشر فقط».

وواصل: «مقر اتحاد الناشرين يجب ألا يكون حكرًا على اجتماعات مجلس الإدارة فقط، بل لكل عضو، طالما مسدد لاشتراكاته بانتظام، الحق فى إقامة أمسية توقيع من دون مصروفات، ولو مرة كل شهر، لأن المقر ملك للجميع، وإقامة الأمسيات ستثرى المكان، وتشعر الناشر بأنه فى بيته، وليس مستأجرًا»، مشيرًا إلى أنه «يمكن دعوة كبار نجوم الأدب لحضور أمسية شهرية فى المقر، يتم فيها إلقاء الضوء على مسيرتهم».

وتضمنت وعود المرشح، أيضًا، تفعيل دور لجنة «الإعلام»، واصفًا وضعها الحالى بأنها «خاملة وبلا أى دور نهائى»، وذلك عبر توليها مهمة إصدار نشرة دورية كل شهر، يُنشر فيها كل ما يخص الناشر وسوق النشر، بما فيها الطباعة والورق والأحبار.

واشتملت الوعود، كذلك، على تكليف محامى الاتحاد بإقامة دعوى قضائية، تطالب بإعفاء الناشرين من تطبيق «الفاتورة الإلكترونية»، أسوة بما فعلته نقابة الصيادلة،

خاصة «أننا نقدم رسالة، ولن تتقدم صناعة النشر فى ظل وضع المعوقات».

وتابع «عبدالمقصود»: «ينبغى العمل على حل مشاكل الشحن والاشتراك فى المعارض الخارجية، والتى يعانى منها الكثير من الناشرين، فضلًا عن العمل مع مجلس الإدارة على وضع آلية لمشاركة الدولة فى النهوض بالمهنة، فى ظل ارتفاع أسعار الورق والطباعة، ما يؤثر سلبًا على استمرار تلك الصناعة المهمة».

وأتم المرشح: «هذا هو الشق العاجل من برنامجى للنهوض بمهنة وصناعة النشر، وهناك شق آخر يتطلب وقتًا، ويتضمن إنشاء سوق دائمة للكتاب والمكتبات فى مصر، ويحصل الناشر من خلالها على تسهيلات محددة، على أن يتم اختيار مكان حيوى لها».

واختتم بقوله: «يساعدنى فى تحقيق هذه الأهداف خبرتى الواسعة كصاحب مهرجان ثقافى عربى كبير، امتد إلى ١٢ عامًا، وكصحفى فى الكثير من المجلات الفنية اللبنانية، ومؤسس لمجلة (همسة ومسيرة)، وذلك لأكثر من ٣٠ سنة».

رفع دعوى قضائية تطالب بإعفاء الناشرين من «الفاتورة الإلكترونية»

مكتبة الدار العربية

أحمد رشاد: صناعة النشر تمر بأزمات كبيرة

قال الناشر أحمد رشاد، الرئيس التنفيذى للمصرية اللبنانية، والمرشح فى انتخابات التجديد النصفى لاتحاد الناشرين المصريين، المقرر إقامتها خلال الفترة المقبلة، إن هدفه الأساسى من الترشح مساعد الناشرين المصريين للخروج من الأزمة التى تمر بها صناعة النشر من خلال نقله الخبرات لهم التى اكتسبها من عضويته فى اتحاد الناشرين الدوليين.

وأضاف أن ترشحه فى انتخابات التجديد النصفى لاتحاد الناشرين المصريين إعمالًا بمبدأ التغيير وضخ دماء جديدة، خاصة أن صناعة النشر تمر بتحديات كبيرة، على مدار السنوات الماضية، وبالتحديد منذ فترة كورونا، وهو ما يحتاج إلى أفكار جديدة خارج الصندوق لحماية صناعة النشر فى مصر وتطويرها لتواكب ما يحدث حولها فى العالم.

وأكد «رشاد» أن عدد الناشرين فى مصر يزداد بشكل مستمر، وهو ما يحتاج إلى تطوير للصناعة، مع تطوير فى القوانين، سواء على مستوى قانون الاتحاد أو الملكية الفكرية، فضلًا عن تعديل فى آليات الاشتراك فى معارض الكتب المحلية والدولية، للتسهيل على الناشرين وأعضاء الاتحاد الاشتراك فيها بشكل مستمر.

وأشار إلى أن الناشرين المصريين يواجههم العديد من المشاكل المختلفة، سواء الناشرين القدامى أو الجداد، وتلك المشكلات سيتم العمل عليها لحلها، خاصة مع وجود دماء جديدة وأصحاب خبرات فى صناعة النشر، مؤكدًا أنه قادر على عمل ذلك من خلال الخبرات التى اكتسبها فى الاتحاد الدولى للناشرين، واطلاعه على أحدث تطورات صناعة النشر على المستوى العالمى.

وأوضح أن كل عضو من أعضاء مجلس إدارة اتحاد الناشرين المصريين خلال السنوات الماضية قام بدوره، ولا بد من تقديم دماء جديدة للمساهمة فى تطوير صناعة النشر.

رؤية

رضا عوض: خفض الضرائب عن مستلزمات الطباعة والنشر

كشف رضا عوض، مدير دار «رؤية» للنشر، المرشح فى انتخابات اتحاد الناشرين المصريين، عن أبرز ملامح برنامجه الانتخابى، التى يأتى على رأسها تحقيق أهداف الاتحاد الموجودة فى لائحته الداخلية، وأهداف الناشرين أعضاء الجمعية العمومية، التى يحلمون ويأملون فى تنفيذها على أرض الواقع.

وأوضح «عوض» أن من بين هذه الأهداف: الحفاظ على حقوق الناشرين لدى كل الجهات التى يتعاملون معها، والحفاظ على مكانة الناشرين والقيمة الإنسانية والحضارية للمهنة، من حيث الارتباطات والتعاملات مع المؤسسات المعنية بالنشر والناشرين، والعمل على تسهيل التعامل مع هيئة المصنفات الفنية، بطريقة تليق بقيمة وأهمية دور الناشر فى بناء المجتمع المعاصر، والمساواة بين الناشرين من حيث التوزيع العادل لمبادرات الدعم والمنح المقدمة للكتب والناشر. وأضاف فى حديثه إلى «حرف»: «يجب أن يتكاتف جميع الناشرين وأعضاء الجمعية العمومية، ويكون لديهم حرص على المشاركة فى كل لجان الاتحاد، للعمل بشكل جماعى ومنظم، وبرؤية واضحة يشترك فيها أعضاء كل لجنة على حدة، وذلك للوصول إلى أفضل السبل للنهوض بصناعه النشر والكتاب». وعن رؤيته لحل مشكلات الناشرين، قال مدير دار «رؤية» للنشر: «فيما يخص مشكلات الشحن، يمكن حلها من خلال مراجعة جميع العقود الخاصة بشحن كتب الناشرين للمشاركة فى المعارض الخارجية، ما يحافظ على حقوق الناشرين، إلى جانب محاصرة مافيا تزوير الكتب، وغلق منافذ التسويق الخارجية أمامها، حتى تتوقف عن التزوير، إلى جانب طرق أخرى يمكن أن ينتهجها الاتحاد للقضاء على المزورين».

أما المشكلات المتعلقة بـ«أرقام الإيداع»، فرأى «عوض» أنه يمكن حلها من خلال التنسيق مع دار الكتب، لتسهيل عملية استخراج أرقام الإيداع، مع حث الناشرين على تسليم كل النسخ الخاصة بالدار، وذلك بأرقام الإيداع المتفق عليها، وهى ٥ نسخ من كل كتاب، بالإضافة إلى «CD»، وملفات «PDF» من الكتب، للحفاظ على ذاكرة الوطن.

وردًا على تذمر أغلبية الناشرين من إلزامهم بهذه الإجراءات للحصول على رقم الإيداع، قال مدير دار «رؤية» للنشر: «تسليم وملفات PDF من الكتب مسألة تفرضها قوانين دولية، لذا يجب احترامها من قبل الناشرين»، مشيرًا فى الوقت ذاته إلى أهمية تدخل وزارة المالية لرفع الضرائب عن مستلزمات الطباعة والنشر من أحبار وورق.

وفيما يتعلق بالشكوى الدائمة من قبل الناشرين بشأن ارتفاع أسعار الأجنحة فى المعارض المحلية التى يشاركون بها، ومن بينها معرض القاهرة الدولى للكتاب، قال: «معرض القاهرة للكتاب يعد من أبرز معالم مصر، ويظل الرئة التى يتنفس بها المثقف العربى، وأرى ضرورة أن يكون اتحاد الناشرين شريكًا أساسيًا مع وزارة الثقافة، للعمل على جلب رعاة، لتخفيف الأعباء عن الناشرين، والحفاظ على مكانة مصر الثقافية، حتى يكون معرض القاهرة مزارًا سياحيًا وثقافيًا للعالم كله».

تبارك

محمود خلف: حل أزمة أسعار الشحن.. ومكافحة التزوير

رأى محمود خلف، مدير دار «تبارك» للنشر والتوزيع، المرشح فى انتخابات اتحاد الناشرين المصريين، أن الاتحاد عانى من مشاكل كبيرة جدًا، خلال الفترة الماضية، سواء مشاكل تواجه الناشرين، أو أخرى تواجه قوامه المتشابك.

وأضاف «خلف»: «اتحاد الناشرين موجود فى الأساس كى يجعل دورة عمل الناشر السنوية داخليًا وخارجيًا أكثر سلاسة، لكن للأسف الاتحاد لم يتصد لكثير من المشاكل، وترك أمورًا كثيرة تخص الناشرين وتعرقل دورة عملهم من دون توضيح، فتعددت وتعقَّدت بطبيعة الحال».

وواصل: «لم يؤد اتحاد الناشرين دوره بشكل فعال وإيجابى، ولم يضع الناشر أمام صورة حقيقية لواقع عمله، بل على العكس تمامًا صدّر الغموض والريبة فى تحركاته وقراراته، لذلك انسحبت منه فى فترة ما، عندما كنت رئيسًا للجنة المعارض، ولم يكن هذا سوى نتاج رؤية لما سيحدث، وبكل أسف حدث ما كنت أخشاه كناشر عضو جمعية عمومية، وهو الانهيار الكبير لبعض لجان الاتحاد، وعدم أداء العمل المهنى المطلوب منها».

وانتقد مدير دار «تبارك» للنشر والتوزيع غياب دور اتحاد الناشرين فى تنظيم الدورة الأخيرة لمعرض القاهرة الدولى للكتاب، وعدم وجوده بشكل فعلى على أرض الوقع فى هذا «العرس الثقافى»، مضيفًا: «كل هذه الأسباب تحسم وتوضح تقييمى لعمل اتحاد الناشرين، وهى نفسها، إلى جانب رغبة السادة الناشرين، ما دعتنى للترشح».

وأكمل: «أسعى للعودة إلى مجلس إدارة الاتحاد مرة أخرى، لتقديم الخدمات المهنية واللوجستية النشطة التى فقدها هذا الكيان المهم خلال الفترة الماضية، أعود وأنا محمل باستكمال الخدمات والواجب المهنى لهذه الصناعة العظيمة، ورغبة فى عودة اتحاد الناشرين المصريين إلى مكانته الطبيعية».

وعن تفاصيل خطته لتحقيق هذه الأهداف والرغبات، والملفات التى سيركز عليها حال نجاحه، قال محمود خلف: «أولًا يجب أن ندرك تمامًا أننا فى مرحلة هامة ومفصلية فى تاريخ هذه الصناعة التاريخية، فعلى المستوى المادى، حدثت زيادة فى جميع أسعار المشاركات بالمعارض الداخلية والخارجية، وهذه الأسعار المبالغ فيها تجعل الناشر مهمومًا بتعويضها، أكثر من همه بتقديم إنتاج قوى، وهو ما يجب مناقشته والوقوف على أسبابه، وفتح سبل دعم لصناعة النشر».

وأضاف «خلف»: «من المهم إعادة الروح لاتحاد الناشرين المصريين، عن طريق عودة ثقة الناشرين فيه، والتى تأتى عن طريق حل مشكلاتهم بمنهجية ونظام، يمثل بناءً لكل أجيال الصناعة القادمين، ولذلك اخترت قائمة (إعادة البناء)، للتعبير عن هدفنا الرئيسى، وهو إعادة بناء الاتحاد من جديد، وهى قائمة بها تكامل محترم، وأرى أنها قادرة على النهوض بالاتحاد داخليًا وخارجيًا، لما تتمتع به من تجانس كبير».

وواصل: «سأعمل على مساعدة الناشرين بشكل حقيقى للخروج من التحديات والأزمات المتلاحقة، من خلال تيسير مشاركتهم فى المعارض الداخلية والدولية، وعودة إقامة المعارض الداخلية بقوة فى كل ربوع الجمهورية، وإعادة اتحاد الناشرين المصريين إلى المحافل الدولية، ليلعب دورًا رئيسيًا فى كل محفل دولى».

وتعهد «خلف» بالعمل على مكافحة التزوير، والنظر فى أسعار الشحن وتقديم حلول لأزمة ارتفاعها، من خلال عقد مناقصات حقيقية لشركات الشحن، تخلو من الريبة والغموض فى الأسعار، وتجلب أفضل سعر، فلا شركة شحن أكبر من الاتحاد ونظامه.

ورأى ضرورة أن يكون اتحاد الناشرين المصريين مقرًا لـ«خدمات تعليمية» كثيفة يقدمها لكل الناشرين وموظَّفى دور النشر، كتنظيم ورش عمل قصيرة المدى كثيفة المحتوى عن كل مراحل نشر الكتاب، وتكون من أمثلة موضوعاتها: «كيف تقرأ وتختار كتابًا؟- دور التحرير الأدبى فى عملية نشر الكتاب- الإخراج الخارجى والداخلى للكتاب ودوره الفنى والتسويقى- عملية التسويق للكتاب داخل وخارج مصر- مهارات يجب توافرها فى بائع الكتب».

واختتم مدير دار «تبارك» حديثه بالكشف عن توقعاته لمستقبل صناعة النشر فى مصر، قائلًا: «رغم الصعوبات التى تواجهها صناعة النشر فى مصر خلال الفترة الأخيرة، أرى أن وسائل وتطبيقات القراءة عوَّضت جزءًا ولو صغيرًا من عملية التلقى والبيع والانتشار، فبالرغم من أن هذه الوسائل لم تُطبق حتى الآن بنظم معقولة ومناسبة ومُجزية للناشر، إلا أنها بشكل ما تُمثِّل حلًا يمكننا أن نبدأ منه لمستقبل رقمى- لا محالة- وورقى، وهذا هو جوهر التحدى، العودة إلى المعادلة الصعبة حاليًا، أن يكون اقتناء الكتاب ورقيًا فى سهولة قراءته على أى تطبيق من تطبيقات القراءة».

بدأ العالم الروائى للدكتور عمرو عبدالحميد بكتابة روايتين قصيرتين، كانتا بطلب من صديق يُعد «مجلة حائط»، ورغم أن هذا الصديق لم ينشر القصتين، كانتا خير معين لـ«عبدالحميد» على كتابة روايته الأشهر «أرض زيكولا».
لم يحالف الرواية الحظ فى البداية، وظلت طى النسيان من 2011 إلى 2014، حتى أنه فكر فى هذه الفترة أن يترك الكتابة للأبد، لكنه نشرها إلكترونيًا فوجدت رواجًا كبيرًا، قبل أن تلتقطها دار نشر «عصير الكتب» وتطرحها للجمهور فى 2016، لتحقق نجاحًا ساحقًا، وينتشر اسم عمرو عبدالحميد، وتصبح أعماله فى قوائم «الأعلى مبيعًا» بكل معارض الكتب اللاحقة.
ما بين الكتابة لـ«مجلة الحائط»، والوصول إلى قوائم «الأعلى مبيعًا»، مر مشوار مؤلف «أرض زيكولا» بالعديد من المحطات، يستعرض تفاصيلها فى الحوار التالى مع «حرف».

إيهاب مصطفى

عمرو عبدالحميد: بدأت الكتابة بـ«مجلة حائط»

ساحر أرض زيكولا

عمرو عبدالحميد مع عدد من قرائه

■ **كيف بدأت عالمك الروائى؟**

– بدأت الكتابة بسبب حاجة أحد أصدقائى لإكمال «مجلة حائط»، كان يحتاج قصتين وطلب منى كتابتهما، فكرت فى قصتين وكتبتهما بالفعل، ثم رجعت إلى صديقى فقال لى إنه وجد قصتين بالفعل، ولم يعد فى حاجة لقصتىَ، فحفظت القصتين فى الدرج لعام أو عامين، حتى قررت نشرهما على «منتديات الإنترنت» لرؤية ردود الأفعال حولهما، والحقيقة أن ردود الفعل أعجبتنى، حتى قررت كتابة قصة مسلسل، فى عام ٢٠٠٨.

■ **كيف إذن تمكنت من الإمساك بزمام أحداث «أرض زيكولا» وخلق عالم روائى متكامل؟**

– بالنسبة لربط الأحداث فى «أرض زيكولا»، كنت قد تعلمت قبلها ذلك فى روايتين مسلسلتين نشرتهما على «المنتديات»، وكانت ردود الأفعال حولهما جيدة ومبشرة. كنت أكتب الرواية فصلًا فصلًا، على مدار ٧ أشهر، حتى أكملتها فى يوليو من عام ٢٠١٠.

كانت الأحداث فى الرواية مترابطة وقوية، ولا يوجد ضعف فى حبكتها، ووجدت الناشر فى دار «صرح» للنشر والتوزيع يطلب نشرها، وبالفعل نشرتها، وكنت أتوقع أنها ستحقق نجاحًا كبيرًا، لكنها لم تُوفق فى هذا الوقت لعدة عوامل، من بينها وجود قصور من دار النشر فى تسويقها، إضافة إلى بيعها بسعر غالٍ، وكان غلافها ضعيفًا يوحى بالرعب، كما ظهرت الأحداث السياسية فى عام ٢٠١١، ما أثر على كل شىء.

وفى عام ٢٠١٤، انتشرت الرواية كنسخة إلكترونية، وحققت نجاحًا كبيرًا، كأنها خرجت من تحت الرماد، وكلمنى كثيرون عنها، لكن فى الحقيقة فكرت جديًا فى هذه الفترة أن أترك الكتابة بالكامل، وأتجه لممارسة تخصصى فى الطب، قبل أن أتفق مع دار «عصير الكتب» على إصدار الجزء الأول مع الجزء الثانى الذى حمل عنوان «أماريتا»، وذلك فى أواخر ٢٠١٥، لتصدر الرواية فى معرض الكتاب لعام ٢٠١٦.

■ **كيف جاءت لك فكرة «أرض زيكولا»؟**

– نشرت قبل «أرض زيكولا» روايتين قصيرتين، إلى جانب بعض القصص القصيرة، لكننى كنت أحتاج إلى فكرة جديدة غير مطروقة، خاصة أن ما كتبته فى الروايتين كان عاديًا جدًا، وكانت إحداها رومانسية والأخرى بوليسية، لذا تمنيت التوصل لفكرة جديدة كى أكتبها.

كنت فى هذا الوقت فى الفرقة الخامسة بكلية الطب، والحقيقة أنها سنة مرهقة جدًا، كانت سنة ثقيلة بكل ما فى الكلمة من معنى، وكنت مشاركًا فيما يسمى بـ«مشروع الأفكار»، بل وأرأس اللجنة الخاصة به، لكننى خرجت من الامتحانات مجهدًا جدًا، حتى أنهم حين سألونى عن الأفكار قلت لهم: «لو استطعت شراء الأفكار لاشتريتها».

رُحت أُفكر فى الجملة التى ذكرتها، «شراء الأفكار»، وهنا علقت الفكرة فى ذهنى، وحولتها إلى «شراء الذكاء» عن طريق وحدات خاصة تسمى «وحدات الذكاء»، لكن الفكرة لم تكتمل بعد أيضًا، فرُحت أفكر فى تطويرها، حتى جاءتنى فكرة السرداب من بلدتنا، فقد ولدت فى بلدة بها سرداب غريب، وكان الجميع يتحدثون حوله، ويروون العديد من الحكايات عنه، فرحت أربط ما بين السرداب و«وحدات الذكاء»، وكبرت الفكرة فى ذهنى، ودمجت هذين العنصرين سويًا وبدأت فى كتابة الرواية، لأنتهى منها بعد ٧ أشهر بالتمام والكمال.

■ **وماذا عن الجزء الثانى «أماريتا»؟**

– فكرة تقديم جزأين ثان وثالث كانت فى ذهنى بالفعل، خاصة أن لدى رصيدًا كبيرًا من التفكير فى الجزء الأول، فوضعت فى «أماريتا» نهاية لرواية «أرض زيكولا»، بالشكل المناسب الذى ارتضيته، لكنها كانت رواية مختلفة تمامًا عما كتبته بعد ذلك.

وكما قلت، لم تحقق «أرض زيكولا» النجاح فى البداية، فابتعدت واهتممت بالطب، لكن حين نشرتها مرة أخرى وحققت هذا الصدى الكبير، تحمست بقوة لتقديم جزء ثانٍ، خاصة أننى جاءتنى فكرة جديدة للعمل عليها، لأبدأ فعلًا فى كتابة الجزء الجديد، الذى أكملته فى فترة كبيرة نسبيًا، فقد استغرق ١٦ شهرًا بالتمام والكمال.

أما الجزء الثالث فلم يكن فى بالى، والقراء كانوا يسألوننى فأقول لهم إنها «ثنائية» فقط، حتى استهوانى تقديم جزء ثالث وقررت كتابته، وكنت أخشى أن يؤثر على الجزأين الأول والثانى، لكننى استشرت محمد شوقى، مدير دار «عصير الكتب»، الذى تحمس لها بشدة، فكتبتها وأصدرناها لتحقق نجاحًا أكثر مما كنت أتخيل.

■ **هل ترى أن ثبات أعمالك فى قوائم «الأعلى مبيعًا» يعبر عن تشوق جمهور القراء لنوعية «الروايات الفانتازية» أم لأسباب أخرى؟**

– أرى أن ثبات الأعمال فى «الأعلى مبيعًا» هو أولًا وأخيرًا توفيق من الله، هناك أعمال أقوى من كتاباتى ١٠٠٠ مرة، هناك عدة عوامل أخرى أسهمت فى نجاحها، مثل سهولة اللغة التى أكتب بها، ومناسبتها لكل قارئ.

كما أنها من نوعية الكتابة المشوقة، التى تجعل القارئ يجرى خلف الرواية محاولًا الوصول لنهاية الأحداث بسرعة، إلى جانب عامل مهم جدًا، وهو التسويق الذى تقوم به دار «عصير الكتب» للرواية، وكلها عوامل أسهمت فى بقاء أعمالى ضمن قائمة «الأعلى مبيعًا» منذ سنوات، ولم تخرج منها حتى الآن.

■ **استفدت كثيرًا من دراستك الطب، و هو ما ظهر فى شخصية الطبيبة «أسيل».. كيف وظفت هذا؟**

– هذا حقيقى، لكن قبل الاستفادة على مستوى الشخصيات، أنا استفدت من الطب فى التوصل إلى الفكرة الأولى لـ«أرض زيكولا»، من «مشروع الأفكار» الخاص بالسنة الخامسة فى الكلية، كما سبق أن ذكرت، ثم استفدت منه فى رسم الشخصيات، ومن بينها «الدكتورة أسيل» فى «أرض زيكولا»، كما أوردت العديد من المواقف الطبية التى درستها، فى الجزأين الثانى والثالث.

كما أن هناك شخصية طبيب فى رواية «قواعد جارتين»، وحتى روايتى المنفصلة «فتاة الياقة الزرقاء» تقوم على فكرة طبية فى الأساس، لذلك أنا أقول إننى استفدت كثيرًا من دراستى الطب فى كتابة الأعمال الأدبية، وأعتقد أن الاستفادة لم تتوقف إلى الآن.

■ **تمنيت سابقًا أن تتحول الرواية إلى فيلم أمريكى.. هل هذه الأمنية ما زالت قائمة؟**

– هذا حقيقى، كنت قد تمنيت أن تتحول الرواية إلى فيلم أمريكى وليس مصريًا، خاصة أن هذه الأعمال «الفانتازية» تناسب السينما الأمريكية أكثر، كما أن الأفلام الأمريكية هى الأكثر انتشارًا فى العالم.

لكن صدقنى بعد كل ما عاصرناه فى السينما والدراما من تطور، انتهت هذه الفكرة تمامًا، والآن أتمنى تحويلها إلى فيلم مصرى أو أمريكى، الأمران سيان، خاصة بعد القفزة التى شهدتها الدراما والسينما المصرية خلال الفترة الأخيرة.

■ **رأى البعض أن نجاح «أرض زيكولا» يعود إلى أفكارها الغريبة، من بينها الحرص على عدم الكسل أو الغباء، وإلا فسيكون المقابل هو الموت.. كيف ترى هذا؟**

– نجاح «أرض زيكولا» توفيق من الله وحب من الناس، ولو سنتحدث عن أحداث الرواية، فكما قلت بالفعل، على الرغم من حرص سكان «زيكولا» على «وحدات الذكاء» الخاصة بهم، جعلهم هذا يعملون خوفًا على حياتهم، وبالتالى كان هناك الكثير من الإنتاج، وأصبح لـ«زيكولا» اكتفاء ذاتى من كل شىء، فلم تكن فى حاجة إلى بلد أخرى، استمدت قوتها من اكتفائها الذاتى، سوى أن هذا التعامل جعلهم بخلاء فيما بينهم، لأنهم كانوا يكنزون هذه «الوحدات».

القصد من وراء هذا أن أى بلد لا يحقق اكتفاءه الذاتى عرضة للاعتماد على موارد أخرى، وبالتالى هذا لن يؤدى إلا لضعفه، أما تحقيق أى دولة لاكتفاء ذاتى فيضمن لها القوة وعدم الاحتياج للآخرين، فقوتك تكمن فى اعتمادك على نفسك، وليس فى اعتمادك على الآخرين.

■ **أصدرت «ثلاثية روائية» جديدة بدأت بـ«قواعد جارتين» و«دقات الشامو» ثم «أمواج أكما».. هل التفكير فى «الثلاثيات الروائية» نابع من نجاح التجربة فى «أرض زيكولا»؟**

– صدقنى لو قلت لك إن هذا لم يكن مقصودا أبدًا، كل ما فى الأمر أننى كتبت الجزء الأول «قواعد جارتين»، وكنت أفكر فيها كرواية واحدة، لكن الأحداث كانت كثيرة جدًا ومتتالية، ومن هنا فكرت فى جزء آخر، لأن حجم الرواية كان سيكبر جدًا، وبالفعل كتبت الجزء الثانى، فوجدت الأحداث ما زالت كبيرة، وتستحق أن توضع فى رواية منفصلة، فكتبت الثالث، وكل هذا لم يكن مقصودًا، لكن الرواية كانت تحرك وتكتب نفسها بالكامل.

■ **بعد ثلاثيتين.. ما خطة عمرو عبدالحميد المقبلة؟**

– أحب أن أكتب رواية منفصلة، لأن «الثلاثيات» والروايات تعتمد على أجزاء مرهقة جدًا، وهى حمل كبير على الكاتب، لذلك سيكون العمل المقبل رواية واحدة، وستكون «فانتازيا» أيضًا، سأعمل عليها خلال الفترة المقبلة، لتصدر إن شاء الله فى معرض الكتاب المقبل.

> عندما طُرحت الرواية أول مرة فشلت جدًا لدرجة أننى فكرت فى ترك الكتابة للأبد

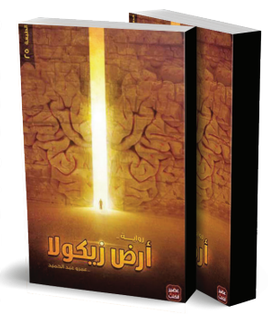

> الفكرة مستمدة من «أفكار كلية الطب» وسرداب غريب موجود فى قريتنا

> هناك أعمال أقوى من كتاباتى 1000 مرة.. و«الأعلى مبيعًا» توفيق من الله

> أتمنى تحويل الرواية إلى فيلم أمريكى أو مصرى بعد التطور الكبير فى السينما المحلية

> استغرقت 7 أشهر كاملة لكتابة الرواية والجزء الثانى أخذ منى 16 شهرًا

تستغرق وقتًا طويلًا فى الكتابة بسبب حرصها على التكثيف، وتحرص على أن «تؤدى كل كلمة معنى، وأن تؤدى كل عبارة إلى ما بعدها، فى انسيابية تامة دون عوائق»، ترى أن الحوار المطول «يمسرح الرواية»، وتحب القصة القصيرة جدًا، وتفضل الكتابة المشهدية التى تتسم بلغة سينمائية ووصفية.
ما سبق يلخص منهج الكتابة الذى تتبعه الدكتورة صفاء النجار، وفق ما قالته فى حوارها التالى مع «حرف»، والذى يكشف أننا أمام روائية بقدرات إبداعية خاصة، وصاحبة مشروع قائم على أسس كتابة واضحة، وهو ما تجلى فى رواية «مقامات الغضب»، الصادرة عن الدار المصرية اللبنانية.
ومن خلال 4 مقامات قُسمت إليها الرواية، وهى «مقام المغامرة»، و«مقام الحيرة»، و«مقام الترقب»، و«مقام الترحال»، تشرح د. «صفاء» ما حدث فى مصر، قبل 25 يناير 2011، ثم ما بعدها، وتركز كثيرًا على حالة الانقسام التى تحول إليها المجتمع، وكان من أحد أهم أسبابها جماعة «الإخوان» الإرهابية، بغبائها وفكرها الإقصائى، وفق ما ذكرته فى الحوار.
عن «مقامات الغضب»، وظروف وأسلوب كتابتها، وتعبيرها عما حدث للمصريين فى واحدة من أهم فترات تاريخ وطنهم، يدور الحوار التالى مع د. صفاء النجار.

إيهاب مصطفى

صاحبة المقامات

صفاء النجار: الكاتب ينبغى أن يكون ابن زمنه

■ رواية بكل هذه التفاصيل بالتأكيد وراءها بواعث عدة.. ما الذى دفعك لكتابة «مقامات الغضب»؟

– الرواية كانت فكرة بدأت خلاف ما انتهت إليه، كنت أريد عائلة أحكى من خلالها تفاصيل ما حدث فى مصر، التحولات التى حدثت فى ملامح هذا الوطن، لهذا ستجد أن الرواية تناقش الإصلاح الزراعى، وتأثيره على عائلة «شهاب الدين»، وأصل العائلة المنحدر من شبه الجزيرة العربية، فى عهد الخديو إسماعيل، وهى الفترة التى وفد على مصر فيها الكثير.

حدثت لتلك العائلة عدة تطورات، بداية من قبل الاستقرار، ثم بعد «الإقطاعيات» التى حصلوا عليها استقروا فى المنيا، ثم جاءت قوانين الإصلاح الزراعى، وبالتالى هناك مراحل تعاون مع السلطة، وأخرى فى مواجهة السلطة، بأشكال تناسب كل فترة، أى فترة صعود وهبوط العائلات، وفقًا لقربها من السلطة.

والتمرد أو الغضب ضد السلطة المجتمعية أو السياسية كان ملائمًا لتلك الفترات، لكن حين كتبت الرواية أصبح هامشًا وليس متنًا، وإن بقيت ظلاله موجودة، وبمرور الوقت وجدت أننى أعبر عن لحظتنا الراهنة، من خلال صوت السارد الشاهد.

الرواية كانت فى رأسى، تدور أحداثها مع الأم والجد، ولكننى منحت كل شخصية صوتها الخاص، وإن كنت قد منحت «أروى» المساحة الأكبر، لأنها شاهد على ما يحدث فى الفترة الأخيرة، كما ناقشت من خلالها ما بعد «٢٥ يناير»، وما يقوله البعض حول أنها «أظهرت أسوأ ما فينا»، والحقيقة أنها أحدثت «خلخلة» فى بنية قيم المجتمع المصرى، وجعلت هناك تجاوزات للحدود.

■ هل تقصدين بتلك «الخلخلة» الفجاجة فى التعبير عن الأفكار والنقد وغيرها؟

– نعم، فعلى كل المستويات كانت العملية النقدية بها خطوط حمراء يتم التماس معها، لكن ليس بفجاجة ما يحدث حاليًا على منصات التواصل الاجتماعى، كان هناك احترام متبادل بين السلطة والمعارضة، وكانت هناك لغة أرقى مما هى عليه الآن، الخلاف كان وطنيًا، و«يناير» أدت إلى خلط كل الأوراق، فلا تعرف المعارض من غير المعارض.

أحزاب عهد «مبارك» – على سبيل المثال– كانت وطنية، الهدف منها الحفاظ على مصر، والقضاء على الفساد، لكن بعدها أصبحت مصادر التمويل غير معروفة، وتجد الكثير من الأمور المخجلة، وأى بيان حكومى يُقابل باستهزاء وسخرية، وأصبح هناك ترصد وتآمر وفرحة وشماتة فى حالة وجود مشاكل، أو تسفيه حال كانت الأوضاع جيدة.

من الطبيعى أن تكون هناك انتقادات، لكن داخل إطار موضوعى، وملتزم بالأعراف السياسية والأخلاقية، وليس كما يحدث الآن. ودائمًا ما أرى أن «الإخوان»، من خلال ممارساتهم السياسية، كانوا سببًا فى التراجع السياسى وقتل الحريات فى الدولة، لأنهم بفكرهم الإقصائى وغبائهم، أرجعونا إلى «النقطة صفر».

■ رغم انقسامات شخوص الرواية ذاتيًا.. لكن هناك رؤية جمعية حكمتهم تتمثل فى الحس الوطنى.. هل قصدتِ ذلك؟

– نعم بالطبع، وحتى «أروى» اشتركت فى شراء «أسهم قناة السويس»، وغضبت من سرقة «الإخوان» للثورة، ومن تصدرهم للمشهد، وهو ما أدركته حين رأت الدفوف عالية مقابل الترانيم والأغانى الوطنية، فشعرت بأن الثورة تم اختطافها، وأن الإعلام والمنظمات الحقوقية والوكالات الدولية تريد دعم فكرة معينة، لذا كان لديها غضب داخلى، الجيل كله كان لديه غضب.

■ ماذا عن حرص «اللواء يسرى صالح» على حفظ أوراق «أمن الدولة» ضمن أحداث الرواية.. هل كان دافعه حسه الوطنى ومعرفته المسبقة بـ«الإخوان»؟

– نعم، لذا أصر على أن يحفظ المستندات والأوراق المهمة بعيدًا عنهم، وأظهر كيف كانت الدولة تساعدهم وتمنحهم معاشات، هو يعرف كذبهم، مع وجود إشارة لقضية «الضباط الملتحين»، وكيف وقف أمامهم وزير الداخلية آنذاك، محمد إبراهيم.

هناك نظام يحكم، لذا حتى «سلوى» كانت ترفض بشدة عبارة وهتاف «يسقط النظام»، وترى أننا نغير النظام ولا نسقطه، فهناك نظام أبوى وعلاقات أسرية وقيم لا يصح معها كلمة «يسقط النظام»، هناك تغيير نظام بدلًا من نظام، لكن كيف يسقط النظام نفسه؟ كيف نسمح بذلك، رغم أنه فى لحظة الفراغ، لا تعرف من يتحين الفرصة ويقفز على السلطة، كما حدث من جماعة «الإخوان».

■ وبالنسبة لوجود الكثير من «التناص» وفكرة المتشردين ودفن الكلاب والموازنة بين اللحظة والإسقاط على البشر؟

– غضب الناس المسافرين من الأرياف إلى قصر العينى كان حقيقيًا، لأنهم فوجئوا هناك بأنهم لا يجدون احتياجاتهم الأساسية، وبالتالى أصبحوا ناقمين على المجتمع بحاله، وكانت هناك صورة ذهنية منطبعة فى عقولهم، أن كل من يركب سيارة مثلًا هو فاسد، واعتبروا أن هذا ظلم اجتماعى، وأن كل من هو مُرفّه ويملك النقود، هو شريك فى الجريمة، وبالتالى انتقل الفساد إلى الشوارع، فى فترة ما بعد «يناير»، والحقيقة أن هذا كله، كان وراءه «الإخوان».

«الإخوان» هم من زرعوا الفسيلة الأولى للشقاق ووقوف الأخ أمام أخيه، ومن يعرف أدبيات الجماعة يُدرك جيدًا أنهم يدفعون نسبة من دخلهم لاستقطاب الأفراد، ويتلقون الكثير من الدعم، ولا يتزوجون إلا فيما بينهم، وهذا ما ظهر بعد توليهم الحكم، حين أصروا على مبدأ «الأهل والعشيرة».

■ من ضمن إفرازات هذه الفترة استخدام الدين كبضاعة رائجة ومنح المجتمع ما يحتاجه وليس ما ينبغى منحه إياه من الناحية الدينية.. كيف ترين ذلك؟

– نعم هذا صحيح، فالدعاة الجدد معظمهم ليسوا خريجى أزهر، ويتحدثون بما يريد الناس سماعه، لتجد نفسك مكبلًا ومقيدًا، وكأنك لا تستطيع أن تتصرف فى حياتك إلا بفتوى، وهذا عبء على دار الإفتاء، مع أن الله منحنا العقل، ويحاسبنا بناءً على هذا العقل، لذا لو غاب العقل غاب التكليف.

هناك أمور كثيرة كانت موجودة سلفًا، والأفكار القديمة كانت متسقة مع العالم وقتها، لكن المجتمعات تطورت بشدة، ونحن جزء من هذه المجتمعات، لكن ما زالت هناك الأسئلة المكررة من نوعية: هل أفطر إذا سافرت بالطائرة؟ هل أدخل الخلاء بقدمى اليسرى أم اليمنى؟ وغيرها من الأسئلة المشابهة.

أقصد أن الجميع يكبلون أنفسهم بمثل هذه الأمور، رغم أن الإسلام لا يوجد به كهنوت، وهناك حرية تفكير وتعبير، لكن حرية التفكير تأتى أولًا، ومن بعدها حرية التعبير، وحرية تعبير بدون تفكير لن تؤدى إلا لحالة سباب وخواء ومهاترات، وهى التى نحن فيها الآن، فالجميع يملكون منصاتهم التعبيرية، وبعضهم لا يوجد لديه منتج وتفكير عميق، فلا يقدم إلا المهاترات، لا يوجد لديهم عقل أو فكر، فيضيع وقته ونقوده وينظر لغيره.

الله يقول فيما معناه: «لا تسبوا آلهتهم فيسبوا آلهتكم بغير علم»، لذا التعامل هنا لا يجب أن يكون بالسباب، بل بمنطق التجنب والتحاشى، لو قلت رأيًا غريبًا فلن أنتقدك وأسبك، بل أتجنبك، وليس المطلوب منك رد السباب.

حرية التفكير تنبع من المدرسة والتربية، وتحتاج إلى سنوات لكى يتم غرسها فى النفوس، ومعناها أن كل شىء قابل للنقد والفحص، تنتقد نفسك، وتسأل هل كل الحقائق ثابتة أم احتمالات؟ أن تكون لديك رؤية نقدية.

وبعد حرية التفكير تأتى حرية التعبير، وليس معناها السباب والتطاول، لأن الحاصل الآن هو فوضى، وليس منظومة قيمية وغيرها، الله يقول: «ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك»، لذا هناك قيم أخلاقية ينبغى مراعاتها، وليس كل ما نراه على «السوشيال ميديا» الآن.

أوردتِ 4 مقامات فى الرواية وكان لكل حالة مقام لتكمل فى النهاية جزءًا من الرحلة.. ما تعقيبك؟

– أعتبر أن هذه الرواية تعكس هذه اللحظة، لذا فى ترويجى لها أقول إنها «رواية اللحظة الراهنة»، أنت من الممكن أن تجد نفسك فى جزء منها، وفى موقف آخر مع شخصية أخرى، ليس بها مواربة أو لجوء إلى التاريخ، إلا لتوضيح خلفيات الأشخاص، وأنا أحب هذا، أن يكون الكاتب ابن زمنه ويُعبر عنه، يعبر عن كل ما فيه من تغيرات ومستجدات سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، وما لا أستطيع التعبير عنه لا أكتبه، المعارضة هى الإصلاح وليس الهروب، ولا يوجد عاقل يطالب بإسقاط الدولة.

د. صفاء النجار تتحدث إلى الزميل إيهاب مصطفى

■ ما قبل «يناير» كانت هناك خطوط واضحة، وما بعدها أصبح هناك تجاوزات.. هل هذا السبب فى انقسامات شخوص رواية «مقامات الغضب»؟

نعم بالطبع، وهذا ما يتجلى بوضوح فى الرواية لدى الجيل الجديد، وليس جيل الجد والأب، لأنه حتى اغتيال الأب «يسرى صالح» فى الرواية، يتماس مع قيمة التسامح، لأن آخر ما فعله هو مشهد زيارته إلى الكنيسة، إلى جانب مشهد السيدة التى استحت أن تأخذ نقود هدية «تعميد» ابنها.

هناك إطار معين يحكم هذه المجتمعات، الجميع يعرفونه، هو أنهم «أكابر» لهم وزنهم وقيمتهم، و«الأكابر» ليس تعنى حيازتهم الأطيان والأموال، لكنهم «أكابر» بالمسئولية، والكبير وجوده مهم فى كل المناسبات، وفقًا للمنظومة الاجتماعية، لذا حين طلب «يسرى صالح» حقوق الشهداء فى المنيل، قالوا له: «أنت كبيرنا»، وهذا ليس نابعًا من سلطة او منصب، وإنما من واقع خدمة الجميع.

و«يسرى صالح» يعبر عن هذا الشخص المتزن، الذى كان يعمل فى جهاز «أمن الدولة»، وانتقل ليعمل فى منظمة حقوقية، وكان يعرف «الإخوان» من أوراقهم وأدبياتهم، وبعد «٣٠ يونيو» ساهم فى بناء جهاز «الأمن الوطنى».

وأريد أن أقول هنا: بدون «الداخلية» و«الأمن الوطنى» ستكون هناك فوضى، لكن بدون تعسف بالطبع، والحقيقة أنا مع شعار «الشرطة فى خدمة الشعب»، وليس شعار «الشرطة والشعب فى خدمة القانون»، لأن القانون هو الذى فى خدمة الشعب، هو الميزان، وتطبيقه من علامات الدولة المدنية، وكل شخص يحمل لقب «مواطن» هو سواء أمام القانون، وهذا القانون متغير، وحين نوافق كلنا على قانون ويتم إقراره، نكون كلنا سواء أمامه، لذا أنا ضد تغيير الشعار، لأن القانون يجب أن يخدم مصالح الشعب، والشعب هو مصدر القوانين والسلطات.

■ ماذا عن طبيعة «فادى» وتركه المسيحية.. هل يمكن اعتبار ذلك تطبيقًا لمبدأ «الغاية تبرر الوسيلة»؟

– «فادى» شخص نبيل، ويؤمن بأن الأديان كلها من عند الله، مصدرها واحد والاختلافات فى الطقوس فحسب، يؤمن بأن الله مع الجميع وللجميع، وهو يعبر عن الشخص المتسامح المحب، الذى يدافع عن زوجته، ويعتبر أنه مسئول عن حمايتها، حتى من نفسها ونزقها.

وتغيير «فادى» لدينه ليس بسبب رفضه المسيحية، ولكن لقناعته بأن كل الأديان غايتها واحدة، والمختلف فقط هو الطقوس، كما سبق أن ذكرت. أما زوجته فتتسم بشخصية غير متزنة، على عكسه تمامًا، فقد انسحقت لأسباب نفسية، مثلها مثل شخصية الأم، التى حُكم عليها بالبعد عن أبنائها، وكلها أمور تقول فى النهاية إن هناك أساسا خاطئا، لذا ما بُنى عليه أصبح خاطئًا.

الرواية تشرح كيف يمكن أن يُكبلك الخوف، الشخص الذى لا يرى إلا نفسه، وكيف يمكن أن يضرها، ونموذج شخصية «سامر» وكل ارتباطاته عبارة عن مجموعة من الإخفاقات، كل إخفاق يؤدى إلى آخر. وشخصية «الداعية على قنديل» تحمل عدة أسئلة، لكنه ليس مضطربًا، أسئلة من عينة علاقتنا بالله، وكيف يدعو الداعية إلى الزهد وهو يتمتع بالثراء الفاحش؟ أين الزهد فى الزواج من أربعة على سبيل المثال؟

■ هناك تماس مع أحداث حقيقية وردت فى الرواية، مثل حريق القطار فى «محطة مصر»، الذى تم دمجه مع الخيال.. لماذا هذا النهج؟

– الحريق كشف شخصية «أروى»، كيف أنها هشة ليس لها أى دور، وبالتالى هربت من المواجهة، ولم تقدر على التفاعل مع البشر الحقيقيين، وهو ما ظهر عندما صرخت فيها «الممرضة»، وقالت لها إنها تعطل الجميع عن أشغالهم، هنا كان لا بد على «أروى» أن تجلس لترى حالها وتراجع أمورها.

■ كل شخصية فى الرواية تملك صوتها الخاص.. كيف فصلتِ بين كل منهم ومنحته درجة التعبير عن نفسه بلغته؟

– الرواية رواية أصوات فعلًا، وكل شخصية لها زاويتها ومنظور رؤيتها، ستجد أن لغة «فادى» حالمة وفيها جزء من «الكهنوتية»، ولديه لغة متصوفة وفيها رقى، حتى إنه يكتب لزوجته خطابات فيها شاعرية تتناسب معه.

فى شخصية «أروى» هناك سخط وغضب، وهو ما تعبر عنه بالفعل، حتى إن بنت البواب حين تقول لها: «يا طنط» تغضب منها وترد قائلة: «أنا مش طنط»، كما تعبر عن غطرسة المال أمام غطرسة المعرفة، كما حدث فى المشهد بينها وبين السائق، حين احتكت بسيارته.

كل صوت يعبر عن منطقته، بما فيها شخصية «سلوى»، المستكينة التى تحكى عن البيت، وهمومها الشخصية من السمنة والانغلاق، لم تتحدث عن العالم الخارجى، هو لا يهمها بشكل كبير.. أنا كنت «أروى» و«فادى» و«سلوى» و«يسرى صالح»، كلهم منحتهم التعبير عن أنفسهم، كل منهم حكى همه وتعبه وأرقه من العالم، وفقًا لرؤيته وتعليمه وقدرته. وحتى شخصية «الداعية على قنديل»، أرى أنه فقير فقر المعرفة وليس الفقر المادى، لم يترب على سينما أو مشاهدات، وكل هذا تسبب فى معاناته من «فقر روحى»، لكن أن تتجاوز هذا وتفتح آفاقًا لنفسك وتعرف وتقرأ، فأنت تقضى على هذا، هو ليس الملاك أو الشرير، هو غير راض عن رؤيته، وكيف يقدم صورة الله التى يريدها الجمهور، لذا بمجرد كتابته مقولة لكاتب، عبر حسابه فى «فيسبوك»، سبه الكثير من الناس، كما كتب أحدهم على فتوى لدار الافتاء: «إنتوا هتفتوا؟!».

■ هل قصدتِ إظهار النموذج الأنثوى الذى يتمتع بقوة حقيقية؟

– نعم، هناك مشهد «أم فادى» حين قتلت الثعبان بالحذاء، ورفض الفتاة المشولة أن تكون لقمة سائغة، و«هند» التى تولت مقاليد الأرض والتصرف فيها، باعتبارها الوريثة القادرة والمدير لكل شىء، لذا يمكن القول إن الشخصية النسائية فى الرواية بالفعل قوية، من خلال نماذج مختلفة، ليست موجودة بكثرة، لكنها تظل موجودة، حتى فى الصعيد.

■ ما سر استخدامك للغة مكثفة جدًا.. هل يمكن اعتبار ذلك تأثرا بالقصة القصيرة؟

– الحذف بلاغة، وأنا لا أحب الحوار فى الرواية، ووجوده يكون فقط للتعبير عن مقولة أو جملة لا يقدر السرد على قولها، وأعتقد أن الحوار المطول فى النص الروائى «يمسرح الرواية»، لذا فإن السرد فى «مقامات الغضب» مكثف وبه حركة، صحيح أن به تأملات، ويمكن ألا يتم التفاعل معها سريعًا، لكنها تستوفى رؤية العالم، من منظور كل شخصية فى الرواية. والكتابة تأخذ معى وقتا بسبب هذا التكثيف، كل كلمة تؤدى معنى، وكل عبارة تؤدى إلى ما بعدها، لتكون هناك انسيابية من دون أى عوائق، مع تجنب وجود فواصل أيضًا، وأنا أحذف الكثير فى دماغى، وحين أكتب أكتب بهدوء وروية، والتعديلات عبارة عن حذف لتكرار.

الرواية أخذت وقتًا طويلًا فى كتابتها، وسميتها «مقامات الغضب» لأننى وجدت بها الكثير من الغضب، وحين تنتهى منها ستستشعر هذا، أن هناك الكثير من الغضب، لا يوجد استقرار، بل الكثير من التغير، حالة من اللهاث.. وفى النهاية أنا أحب القصة القصيرة جدًا، وكتابتى مشهدية بها لغة سينما ووصف، ويؤكد هذا مشهد الجد وجلسته على الرصيف، وكيف ترى من خلاله الناس.

«مقامات الغضب» تحكى التحولات التى حدثت فى مصر وأعتبرها «رواية اللحظة الراهنة»

أستغرق وقتًا طويلًا فى الكتابة بسبب التكثيف وأرى أن الحوار المطول «يمسرح الرواية»

أحرص على أن تؤدى كل كلمة معنى.. وأن تؤدى كل عبارة إلى ما بعدها فى انسيابية تامة

أحب القصة القصيرة جدًا.. وكتابتى مشهدية بها لغة سينما ووصف

ظلت منطقة أهرامات الجيزة «نقطة سوداء» فى مخيلة السائح، وربما فى مخيلتنا نحن أيضًا؛ فمَن منا لم يستفزه أحد البائعين الجائلين أو أصحاب الجِمال والأحصنة، ومَن منا لم تزعجه مظاهر الإهمال والتجاوز التى غرقت فيها المنطقة التاريخية الأهم فى مصر، ولن أبالغ عندما أقول فى العالم، على مدار سنوات.

وهذه المشكلة لم تغب عن المسئولين بالطبع.. لكن ما الحل؟.. هل نقوم بطرد جميع الباعة و«الخيالة» من المنطقة؟

الإجابة: «مستحيل».. فهم أهلنا.. وهذا العمل (أكل عيشهم)، كما أنهم سيتزاحمون على البوابات وأمام محال الهدايا المحيطة بالمنطقة، وربما يخرج الوضع عن السيطرة حينها».

ثم إن الأمر لا يقتصر على هذا «المظهر السلبى»، بل يمتد إلى عدم الاستفادة من قدرات هذه المنطقة على النحو الأمثل، حتى لا يقتصر الأمر على مجرد «زيارة سريعة لرؤية الأهرامات وأبوالهول ثم المغادرة، بل تحويل الزيارة إلى «رحلة» بكل معنى الكلمة.

فى السطور التالية سنتعرف معًا على مسار تصحيح وضع منطقة أهرامات الجيزة، بداية من عام 2008، وحتى عامنا الحالى الذى يبدو أنه سيشهد حل المشكلة الأزلية للمنطقة، بعد توجيهات الرئيس عبدالفتاح السيسى فى هذا الشأن وتولى القوات المسلحة تنفيذ مشروع التطوير، بالتعاون مع وزارة السياحة والآثار والجهات ذات الصلة، وإتاحة المجال للقطاع الخاص للمشاركة فى إدارة وتشغيل خدمات الزائرين.

مها صلاح

إعادة إحياء الهرم

حرف يكشف ما جرى فى المنطقة الأثرية الأهم قبل الافتتاح

1 تفاصيل المشروع الأعظم

بدأ التفكير فى مشروع تطوير منطقة الأهرامات فى الجيزة نهايات عام ٢٠٠٨، عندما رصدت وزارة الآثار ٣٥٠ مليون جنيه من أجل إعادة تخطيط المنطقة ومحيطها، وكان من المقرر أن ينتهى المشروع عام ٢٠١٣، غير أن الأزمات المالية التى واجهتها مصر بعد أحداث ٢٥ يناير تسببت فى توقف التمويل المطلوب، ما أخل بالجدول الزمنى لتنفيذ المشروع الذى توقف بشكل كامل لعدة سنوات.

لكن يبدو أننا أصبحنا قريبين من حضور زيارة استثنائية للمنطقة الأثرية، بعد التخلص من معوقات الزيارة ومشاكلها، التى تبدأ بالتنقل العشوائى بالمنطقة، مما يسمح بالتعرض لمضايقات الباعة الجائلين، وحتى عدم وجود دورات مياه وأماكن خدمات داخل المنطقة.. باختصار كل هذا سيصبح ماضيًا فى المستقبل القريب.

يأتى ذلك بعد أن اهتمت الدولة المصرية بالملف الأثرى والمشروعات المتوقفة وأبرزها مشروع إنشاء المتحف المصرى الكبير، ومشروع تطوير منطقة الأهرامات الأثرية، الذى يتم العمل عليه تحت إشراف جهاز مشروعات الخدمة الوطنية بالقوات المسلحة، وجهات حكومية، على رأسها وزارتا السياحة والآثار والداخلية، وهيئة التخطيط العمرانى، بالإضافة إلى محافظة الجيزة.

المرحلة الأولى من المشروع تضمنت إقامة سور يحيط بالمنطقة الأثرية لمنع التعديات على الحرم الأثرى، بطول ١٨ كيلومترًا، ويحيط بالمنطقة الأثرية فقط، مزودًا بـ١٩٤ كاميرا مراقبة، تعمل بنظام المراقبة الليلية، إلى جانب إنشاء دورات مياه إضافية، وطرق مرصوفة بدلًا من الطرق الترابية القديمة.

أما المرحلة الثانية، فتتضمن تغيير مداخل منطقة الأهرامات، على أن يجرى تطوير المدخل الحالى وتخصيصه لكبار الزوار، وإضافة مدخل جديد وربطه بشبكة الطرق المحيطة، وتدشين مهبط للطائرات الهليكوبتر يسمح باستقبال طائرات الرؤساء والشخصيات المهمة الراغبة فى زيارة المنطقة، مع تدشين مبنى إدارى للعاملين بالمنطقة.

بالإضافة إلى ذلك، تشمل هذه المرحلة تدشين مركز خاص لاستقبال الزوار والسائحين، يتكون من مبنى مقام على مساحة ٤ آلاف متر، فضلًا عن مكاتب استعلامات ومنافذ بيع تذاكر الدخول، وقاعات عرض متحفى، وسينمائى، ومنافذ بيع التذكارات الأثرية، ومكاتب أمنية، وعيادة طبية، ودورات للمياه.

كما سيجرى تخصيص جزء من مركز الاستقبال ليكون مدخلًا خاصًا لطلبة المدارس، ويقع على مساحة ١٢٥٠ مترًا، ويتكون من منطقة استقبال، وقاعات محاضرات، وعرض سينمائى، وصالة لمشاهدة بانوراما الأهرامات، وورش عمل، ومكاتب إدارية وخدمية، ومنطقة تدريب على أعمال الحفائر، بالإضافة إلى دور منفصل تقع به كافيتريا ومطعم مخصصان للزائرين.

وقد تم تجهيز كل المداخل الجديدة ببوابات إلكترونية للتأمين، بالإضافة إلى تخصيص ساحات خاصة لانتظار السيارات ووسائل النقل المختلفة، وتدشين مبان خاصة للإسعاف والحماية المدنية، وشرطة السياحة والآثار، ومكاتب الأثريين، مع إنارة المنطقة الأثرية، وظهيرها الصحراوى بشكل متطور.

2 خطوة على تحقيق الحلم

مع توافر معلومات عن درجة جاهزية المشروع بنسبة تقترب من الـ٩٥٪، تواصلنا مع العميد مهندس هشام سمير، مساعد وزير السياحة والآثار لمشروعات الآثار والمتاحف المشرف العام على قطاع المشروعات بالمجلس الأعلى للآثار، الذى أوضح أن المشروع شارف على الانتهاء بالفعل، و«بمجرد تحديد موعد الافتتاح سنكون جاهزين إن شاء الله لبداية عهد جديد لهذه المنطقة الأثرية المهمة».

وأشار العميد هشام إلى تزويد المنطقة، خلال مراحل المشروع، بأحدث التقنيات والخدمات التى ستجعل الزيارة تجربة ممتعة يشيد بها زوار المنطقة من المصريين والأجانب، موضحًا أنه «سيتم إعادة تشكيل المنطقة بعد تحويل المداخل الحالية سواء (مدخل مينا هاوس) أو (ابو الهول) إلى مدخل حديث وحضارى بطريق الفيوم، بعيدًا عن الأماكن المزدحمة والمأهولة بالسكان، مع تزويد المداخل الجديدة بخدمات عديدة، سواء أثرية أو ترفيهية أو تأمينية».

وقال: «بدلًا من التكدس أمام شباك التذاكر أصبح لدينا الآن مبنى زوار على أعلى مستوى، ويستوعب ما يقارب ٥ آلاف زائر، مع وجود شبابيك حجز تذاكر مخصصة لكبار السن وذوى الهمم، وزيادة عدد الشبابيك الخاصة بالزوار، سواء المصريون أو الأجانب».

كما يحتوى مركز الزوار على كل ما يضمن للزائر تجربة مريحة وشيقة، فهناك خزائن الأمانات للحفاظ على متعلقات الزائر لحين خروجه، ودورات مياه، منها ما تم تخصيصه لذوى الهمم وتزويده بكل الوسائل المساعدة، بالإضافة لسينما، وكافيتريات، كما سيتم تزويد المركز بمقتنيات أثرية ذات صلة بالمنطقة لإبهار الزائر من لحظة وصوله لمركز الزوار وربطه ذهنيًا برحلته داخل المنطقة.

ومن ضمن عمليات التطوير التى تمت داخل المنطقة الأثرية، استبدال الطرق الأسفلتية والترابية بمسارات محددة ومخصصة للأتوبيسات الكهربائية الصديقة للبيئة، ويتوفر منها أتوبيسات بسعة ركابية كبيرة، وأخرى متوسطة، كما تتواجد سيارات الجولف للأعداد الصغيرة، لتوصيل الزائر لـ٧ محطات رئيسية تتكون منها الزيارة.

وتشمل كل محطة العديد من الخدمات، دورات مياه، مطاعم، كافيتريات، ماكينات ATM، لتوفير كل ما يحتاج إليه الزائر فى كل محطة، بالإضافة للوحات الإرشادية الموجودة بجميع المحطات وعلى طول مسار الزيارة، مما يسهل الزيارة وينظمها بشكل أفضل.

وفيما يتعلق بتنظيم العمل داخل المنطقة، فهناك شركات خاصة مسئولة عن ذلك الجانب، فلدينا شركات النظافة التى ستضمن ظهور المنطقة بأفضل شكل، بالإضافة لشركات الأمن التى سيقوم أفرادها بتنظيم الزيارة ومساعدة الزائرين على التمتع بزيارة هادئة وسلسة، وهناك بالطبع شرطة السياحة والآثار التى تحافظ على الأمن والأمان بالمنطقة، وكل ذلك ليتم تلافى جميع السلبيات التى يواجهها الزائر حاليًا.

كما تم تركيب إضاءات ليلية بطول مسار الزيارة، لتكون المنطقة مجهزة لتشغيلها ليلًا فى المستقبل، إذا توافق ذلك مع الخطط المستقبلية لتشغيل المنطقة.

وعند سؤال مساعد وزير السياحة والآثار عن وضع الباعة الجائلين وأصحاب الجِمال والأحصنة بعد التطوير، قال: «جميع العاملين بهذه المهن هم أهلنا فى النهاية، ونحن حريصون على أن يظهروا فى أفضل شكل، مع ضمان الحفاظ على تنظيم عملهم لتجنب أى تجاوزات قد تصدر من البعض، لذا تم تخصيص ساحة كبيرة يمر عليها السائح بشكل أساسى (منطقة التريض)، مع تنظيم العمل بهذه الساحة، مما يضمن استفادة قصوى للجميع».

> مدخل جديد على أعلى مستوى بـ«طريق الفيوم» ومنطقة للخيالة وأصحاب الجِمال لا يخرجون منها

> عدد هائل من «شبابيك حجز التذاكر» وتسهيلات لـ«ذوى الهمم» وكبار السن

3 منطقة تاريخية بأحدث التقنيات

مع تشغيل المشروع سيتم الدخول من طريق الفيوم بدلًا من مدخل مينا هاوس الحالى، والمدخل الجديد مزود بساحة كبيرة تسمح بدخول السيارات والأتوبيسات، حتى ينزل الركاب أمام بوابات الدخول مباشرة، على أن تتوجه السيارات بعدها لساحتى انتظار، تسع أولاهما ٣٠٠ أتوبيس، والأخرى لـ٦٠٠ سيارة خاصة، بالإضافة إلى مناطق محددة لاستقبال أتوبيسات نقل طلاب المدارس والجامعات.

وبعد انتهاء قطع التذاكر والتفتيش الأمنى، سيمر الزائر إلى قاعة مجهزة بـ٣ خرائط ضخمة، إحداها لمصر، والثانية للمنطقة ومبانيها، والثالثة تفصيلية للأهرامات والآثار، لذا سيتمكن الزائر من مشاهدة المنطقة بشكل كامل قبل أن يبدأ الزيارة.

بخلاف الخرائط، سيجد الزائر ماكيت مجسمًا للمنطقة، ما سيساعد المرشدين على شرح جميع المعالم للسياح، بالإضافة إلى ما ستزودهم به المواد الفيلمية المعروضة فى قاعة السينما، وستتضمن الأفلام معلومات كاملة عن تاريخ منطقة الأهرامات، وشرحًا لأهم معالمها، ورسومًا متحركة لتسهيل الشرح وجذب انتباه الأطفال، بالإضافة إلى إمكانية العرض بأكثر من لغة.

وعن آلية الزيارة نفسها، فالفكرة الأساسية كانت تيسير رؤية جميع المعالم، فى ظل وجود مسافات كبيرة بين الأهرامات، والتى تجهد الزائرين إن حاولوا الوصول إليها سيرًا على الأقدام، لذا، بعد خروج الزائر من منطقة الاستقبال، سيجد فى انتظاره أتوبيسات كهربائية كبيرة، لتنقل الزائر فى رحلة من ٧ محطات، تبدأ بمحطة البانوراما، ثم هرم منكاورع، ثم خفرع، ثم خوفو، ثم الجبانة الغربية، التى تسمح بزيارة المقابر الأثرية المتاحة للزيارة، ثم محطة منطقة التريض.

والفكرة الرئيسية من المسار، هى تيسير التنقل أولًا، كما أن التحرك بهذه الكيفية يمنح الزائر قدرًا كبيرًا من التشويق، خاصة أن الأهرامات يتوالى ظهورها بشكل تدريجى، على طول المسار بين المحطات، على ألا تظهر بشكل كامل إلا فى النهاية.

أما عن «منطقة التريض» والتى تم تخصيص مساحة كبيرة لها، مما يسمح بامتطاء الخيول والجمال، والتمتع بها فى نطاق محدود، لا يسمح بالخروج من حرم المنطقة الأثرية، ما يعنى التخلص من جميع الظواهر السلبية التى تعلقت بسلوك البائعين وأصحاب الخيول، ومن ثم الوصول إلى محطة مركز الزيارة من جديد بعد انتهاء الزيارة.

وفى نهاية الجولة، يمر الزائر على مجموعة من البازارات الصغيرة، ويقدم كل منها مجموعة من الهدايا والتذكارات المتعلقة بالآثار والسياحة فى مصر، وأعدت الساحة المخصصة لهذه البازارات ليتم البيع والشراء بشكل هادئ وحضارى، يختلف عما عهدناه سابقًا فى المنطقة.

ومن الناحية الإدارية سيتيح المشروع وجود مفتشى الآثار، ومسئولى الترميم، والمختصين بالحفاظ على الآثار، بشكل دائم، كما سيزيد من إمكانية إجراء الحفائر واستكمال الكشوف الأثرية فى المنطقة.

عظّم جدودك

«أحمس».. صانع الاستقلال

لم يُخطئ «مانيتون»، المؤرخ المصرى القديم، عندما جعل الملك «أحمس» أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة، على الرغم من أنه نشأ بين ملوك الأسرة السابعة عشرة، لكن فى عهده طُويت صحفة من تاريخ البلاد تميزت بالاستعباد والحروب، لأكثر من قرن ونصف القرن من الزمان، وبدأت مرحلة جديدة تميزت بالاستقلال، وطرد الغزاة الغاصبين من أرض الكنانة.

أحمس الأول، مؤسس الأسرة الثامنة عشرة، وطارد الهكسوس، وواضع حجر الدولة الحديثة- هو ابن الملك سقنن رع، والملكة إياح حتب، وشقيق الملك «كامس» آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة، وبفضل بطولاته، ومن قبله جده ووالده وأخوه، تخلصت مصر من عهد استعباد استمر عشرات السنين.

وكان الملك سقنن رع أول من بدأ مهاجمة الهكسوس، لتحرير مصر من احتلالهم، وقتل أثناء حربه عليهم، ثم جاء الملك كامس ليتسلم مقاليد الحكم والحرب، واستمر على العرش ثلاث سنوات، طهّر خلالها الصعيد من الهكسوس، ولكنه مات فى المعركة قبل أن ينجح فى طردهم بشكل نهائى، ليأتى «أحمس»، ويكمل ما بدأه أسلافه.

نجاح «أحمس» فى الحرب اعتمد فى المرتبة الأولى على ذكائه، فهو أول من استخدم العجلات الحربية، ووضع خططًا استراتيجية للحرب، وانضم إلى الجيش كثير من الشعب المصرى، وذهب هو وجيوشه إلى أواريس، صان الحجر حاليًا، عاصمة الهكسوس، وهزمهم هناك، ثم لاحقهم إلى فلسطين، وحاصرهم فى حصن شاروهين، وفتت شملهم هناك، حتى استسلموا.

ويحدثنا «أحمس» على جدران قلعة «سمنة» بالنوبة عما أحرزه من انتصار فى آسيا، وكيف أنه بعد أن انتصر فى الحرب، وعاد منها موليًا وجهه نحو الحدود الجنوبية، وجد أن السود وفلول الهكسوس قد استغلوا فرصة انشغاله بالحروب فى آسيا، وزحفوا شمالًا نحو البلاد المصرية، فلحق بهم، وانتصر عليهم فى معركة كبيرة.

وبعد انتهائه من معركته الأخيرة، بدأ فى إعادة تنظيم إدارة البلاد، وفتح المحاجر والمناجم وأنشأ طرقًا جديدة للتجارة، ولذا يصفه المؤرخون بواضع حجر الدولة الحديثة.

وعلى الجانب الشخصى، تزوج الملك أحمس من شقيقته «أحمس نفرتارى» التى أصبحت أول زوجة للإله آمون، وأنجبت له ثلاثة أبناء: أحدهم هو وريث العرش الملك أمنحتب الأول، وقد توفى الأول والثانى فى سن صغيرة، وأربع بنات هن: مريت آمون، وسات آمون، وإياح حتب، وست كامس.

واستمر «أحمس» فى حكم مصر حتى مات فى الأربعينات، وتوصل العلماء من شكل مومياته، التى وُجدت بين المومياوات التى عثر عليها فى خبيئة الدير البحرى، إلى أنها لرجل قوى الجسم، عريض المنكبين.

أما عن مقبرته، فيعتقد أن لأحمس مقبرتين، إحداهما فى أبيدوس، وتتكون من معبد منحدر ومقبرة جنائزية وبقايا هرم اكتشفت عام ١٨٩٩، وعُرف أنه هرمه عام ١٩٠٢، والأخرى فى طيبة وقد تعرضت للنهب بواسطة اللصوص، وقد اكتشفت مومياؤه عام ١٨٨١ فى خبيئة الدير البحرى مع مومياوات بعض ملوك الأسر الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والواحدة والعشرين، وتم التعرف على مومياته فى ٩ يونيو عام ١٨٨٦، بواسطة جاستون ماسبيرو.

مغامرة رمضان 2024

عبد المالك: البطل رجل.. والمسلسل غير الفيلم

دائمًا ما يخوض الكاتب والسيناريست محمد سليمان عبدالمالك تحديات جديدة فى تجاربه الدرامية على الشاشة الصغيرة، تجلى ذلك بوضوح فى السباق الرمضانى قبل الماضى، عندما قدم مسلسل «راجعين يا هوى»، المأخوذ عن رواية أسامة نور عكاشة، ليعود من جديد هذا العام بمسلسل «إمبراطورية ميم»، المأخوذ عن المجموعة القصصية «بنت السلطان»، للكاتب والروائى الكبير إحسان عبدالقدوس.

المسلسل الجديد من بطولة خالد النبوى وحلا شيحة، إلى جانب مجموعة كبيرة من الفنانين، بقيادة المخرج أيمن سلامة، والتحدى الذى يحمله هو الشهرة الكبيرة التى حازها الفيلم السينمائى المأخوذ عن نفس المجموعة القصصية للكاتب الكبير الراحل، وقدمته باقتدار سيدة الشاشة العربية فاتن حمامة، قبل أكثر من نصف قرن، تحديدًا فى عام ١٩٧٢.

وقال السيناريست محمد سليمان عبدالمالك إنه قرر العمل على «إمبراطورية ميم»، بعدما شعر بقدرته على تطوير النص، بل الإضافة عليه من وحى خياله، ليضع بصمته الخاصة، بدلًا من نقله كما هو.

وأضاف «عبدالمالك»، فى تصريحات خاصة لـ«حرف»: «أشعر بتوتر شديد يلازمنى، منذ بدء عملى على مشروع (إمبراطورية ميم)، فى ظل أن النص من إبداع كاتب كبير بحجم إحسان عبدالقدوس، فضلًا عن سابقة تقديمه فى السينما، من بطولة نجمة كبيرة هى فاتن حمامة، وإعداد سينمائيًا من قبل أديب نوبل نجيب محفوظ، حتى أصبح من الأعمال الأيقونية فى تاريخ الفن المصرى»، متابعًا: «أعتقد إن مفيش بيت فى مصر مشفهوش».

وواصل: «أدرك جيدًا أننى أعيد عملًا فنيًا.. الجمهور على دراية تامة بتفاصيله، وشارك فيه نجوم كبار، ومن المؤكد أن هذا الجمهور سيكون متحفزًا وعلى أتم الاستعداد، بشكل أو بآخر، أن يهاجم صنّاع وأبطال المسلسل الجديد، حتى قبل العرض».

وأكمل: «لذلك كله، كنت أفكر وقت الكتابة والمعالجة فى كيفية كسر حالة التحفز من الجمهور وجذب انتباههم، بداية من الحلقة الأولى، وهو ما جعل الموضوع بالنسبة لى مؤرقًا، وسيظل كذلك إلى أن ينتهى شهر رمضان».

وكشف «عبدالمالك» عن أن المسلسل سيكون مختلفًا عن الفيلم، ففيه سيرجع إلى النص الأصلى الذى كتبه إحسان عبدالقدوس فى مجموعته القصصية، وكان البطل فيه رجلًا وليس امرأة، وهو ما يعكس التغيير الكبير فى المسلسل عن الفيلم.

وتدور قصة «إمبراطورية ميم» التى كتبها إحسان عبدالقدوس حول موظف ناجح يعيش حياة هادئة مع زوجته، وأولاده الذكور الستة الذين تبدأ أسماؤهم جميعًا بحرف «الميم»، ويُفاجأ بأحدهم يناقشه فى حدود سلطة الأب على أبنائه، ويدعوه لإجراء انتخابات داخل الأسرة لاختيار من يقود زمامها بشكل ديمقراطى.

واختتم «عبدالمالك» حديثه بالإشارة إلى أهمية العمل على الروايات، كما حدث فى «راجعين يا هوى»، وصولًا إلى «إمبراطورية ميم» الآن، لأنه يؤكد أننا لدينا ميراث فنى إبداعى كبير يجب استغلاله، مشيرًا إلى رغبته فى «تطوير نصوص» للكاتبين الراحلين نبيل فاروق وأحمد خالد توفيق.

هاجر رضا

حرف

تنشر «النص الأصلى» من مجموعة إحسان عبد القدوس

أنا رجل ناجح..

بدأت حياتى موظفًا صغيرًا بعد أن نلت بكالوريوس التجارة.. وسرت بخطوات ثابتة منتظمة، إلى أن وصلت إلى منصب مدير عام إحدى المؤسسات «لا داعى لذكر اسم المؤسسة حتى لا تكون القصة واقعية أكثر من اللازم».. ووصل مرتبى إلى ٢٤٠٠ جنيه فى العام، وأقوم ببعض الاستثمارات الخارجية التى تدر علىّ دخلًا يصل إلى ألف جنيه فى العام، وأحيانًا إلى ألف وخمسمائة.. وأنا أذكر هذه الأرقام بصراحة لأنى لم أحاول يومًا أن أخفى شيئًا عن مصلحة الضرائب.

وأنا أيضًا رجل طيب.. طيب بلا افتعال.. ربما لأن الرجل الناجح أقل حاجة إلى الشر.. وإلى إطلاق حقده، من الرجل الفاشل.. وقد نجحت بطيبتى.. الطريق الطويل الذى سرت فيه كان دائمًا طريقًا نظيفًا.. لا أذكر يومًا اضطررت فيه إلى إيذاء أحد.. أو الاشتراك فى دسيسة.. أو اضطررت إلى نفاق رئيسى، أو مداهنة مرءوس.. ولكنى لست حمارًا.. إنى أهوى العمل.. إنى أعمل كأنى أستمع إلى أم كلثوم، أو أرسم لوحة فنية.. وليس لى هواية أخرى.. لا أسكر.. ولا ألعب طاولة.. ولا أمارس الرياضة.. ولا.. ولا.. فقط أعمل..

وليس معنى هذا أنى رجل «مقفول»..

بالعكس..

إنى متحرر فى كل اتجاهاتى، وفى كل تصرفاتى وفى كل آرائى.. وأبدو أكثر تحررًا فى حياتى العائلية..

وأعتقد أنى يجب أن أتحدث بتفصيل أكثر عن عائلتى.. فالقصة ليست قصتى وحدى.. إنها قصتى مع عائلتى..

لقد تزوجت منذ خمسة وعشرين عامًا.. وكنت موفقًا فى اختيار زوجتى.. إنها تمثل الخطوة الأولى والأساسية فى طريق النجاح الذى سرت فيه.. زوجة مثالية.. ذكية.. مدبرة.. مطيعة.. تحبنى.. وتؤمن بى.. لا أذكر طوال الخمسة والعشرين عامًا، أنها أثارت مشكلة، أو أخذت من عقلى ما يشغلنى عن عملى.. ولا أذكر أنى رفضت لها يومًا طلبًا، أو حاسبتها على شىء.. لا مجاملة لها، ولكنى لأنى دائمًا مقتنع بكل ما تطلبه وكل ما تفعله..

وقد أنجبنا ستة أولاد.. كلهم أولاد.. مصطفى، ومجدى، ومدحت، وماهر، ومحمود، ومنير.. وأنا اسمى محمد مرسى.. كل أسمائنا تبدأ بحرف الميم.. من أول أبى حتى آخر أولادى.. إنى أتفاءل بحرف الميم.. ولكن.. بجانب التفاؤل كان هناك إحساس آخر يضطرم فى داخلى.. إحساس يملؤنى زهوًا وغرورًا.. كنت أحس كأنى أقيم إمبراطورية شعارها حرف الميم.. وكنت أفرح كلما زاد عدد أفراد إمبراطوريتى.. ورغم أنى كنت أحس أحيانًا بحاجتى إلى إنجاب بنت، إلا أن اعتزازى بإمبراطوريتى كان يغلبنى.. فأتمنى أن أنجب ولدًا.. وأسرح فى الخيال، وأتصور أولادى الستة وقد تزوج كل منهم وأنجب بدوره ستة أولاد، أطلق على كل منهم حرف الميم.. ويتزوج الأحفاد، ويرفعون الشعار، شعار الميم.. و.. و.. إلى أن تصبح مصر كلها.. ميم.

أحلام كانت تراودنى كلما رفعت رأسى عن عملى.. أحلام ساذجة.. ولكنها جميلة...

وأكبر أولادى.. مصطفى.. فى الثانية والعشرين من عمره الآن طالب متفوق فى كلية الهندسة..

ولكنه ليس ألمع أولادى.

المهم هو ابنى الثانى.. مجدى.. رغم أنه طالب فى كلية الآداب قسم الفلسفة..

إنه دائمًا الشخصية التى تثير الانتباه فى البيت.. وأكثر الأولاد كلامًا.. وأشدهم تأثيرًا على إخوته.. حتى أخوه الأكبر يتأثر به وينقاد له.. وهو صاحب مشاريع عائلية كثيرة.. أدخل فى البيت نظام المكتبة الجماعية، بعد أن أصدرت أمرًا ألا يمس أحد من الأولاد مكتبتى لا بخلًا منى ولكن لأنها مكتبة فنية.. كلها كتب فى الاقتصاد والإحصاء، لا يفهم منها الأولاد شيئًا.. وقد نجح مشروع المكتبة الجماعية.. دفع كل واحد من الأولاد عشرة قروش من مصروفهم، وأقنعوا أمهم بأن تشترك معهم بجنيه.. وأنشأوا نواة المكتبة.. وكانت المناقشة التى دارت بين مجدى وأمه ليقنعها بدفع الجنيه مناقشة عجيبة.. فقد حاول أن يقنعها بأنها يجب أن تدفع جنيهًا- لا عشرة قروش- لأنها لا تقرأ الكتب.. ولا تحاول أن تقرأها.. والذى يقرأ يبذل مجهودًا أكبر من الذى لا يقرأ، ويجب أن تدفع تعويضًا أو غرامة عن هذا المجهود الذى لا تبذله.. وقطعًا لم تقتنع أمه بهذا المنطق، ولكنها دفعت الجنيه مرضاة له.. أما أنا، فلم يعرض على مجدى الاشتراك فى المشروع، ربما لأنه لا يريد أن أتدخل بسلطانى كأب فى إدارته..

ولم يكن مجدى لامعًا فقط فى هذه الناحية.. كان لامعًا أيضا فى علاقته مع.. البنات.. معظم التليفونات التى تدق فى البيت، ينطلق منها أصوات بنات يطلبن مجدى.. وكان هو الوحيد بين أولادى الذى أجهل الكثير عن حياته الخاصة.. فهو- رغم أنه كثير الكلام- إلا أنه لا يتكلم أبدًا عن حياته الخاصة.. لا يتحدث عن أصدقائه، ولا عن البنات، ولا حتى عن حياته الجامعية. ولا أريد أن أقول إن مجدى هو أقرب أولادى إلى قلبى.. فأنا دائمًا حريص على أن أضع أولادى كلهم فى مستوى واحد من قلبى.. وحريص على أن أعاملهم كلهم معاملة واحدة. وربما كان فى معاملتى لهم بعض الضعف.. لا.. ليس ضعفًا.. إنه نوع من التوفيق بين العقل والعاطفة.. وأنا لا أستطيع أن أتصرف بعقلى تصرفًا لا تحتمله عواطفى.. وربما كان هناك من يؤمن بأن من واجب الأب أن يصل فى تهذيب أولاده إلى حد الضرب.. ولكنى لا أطيق أن أضرب واحدًا من أولادى مهما أخطأ.. غاية ما وصلت إليه هو أن أخصم من المخطئ بعض مصروفه الخاص، ثم لا ألبث بعد أيام أن أعيد له ما خصمته منه.. بل إنى فى حالات كثيرة كنت لا أطيق أن أؤنب واحدًا منهم، فأوصى زوجتى بتأنيبه.. وكنت أترك لهم دائمًا حرية التصرف فى الحدود التى وضعتها لهم.. وأترك لهم حرية مناقشتى بكل صراحة ودون تقيد بالهيبة التى يشعر بها بعض الأبناء نحو آبائهم.. كل ما كنت أحرص عليه هو الاحترام المتبادل بيننا.. احترام أساسه الحب لا الخوف والاقتناع لا الاستسلام.

و.. أظن أنى تحدثت بما فيه الكفاية عن عائلتى.. تحدثت بما يكفى التصوير الحادث الكبير الذى وقع لنا..

لقد كان البيت هادئًا.. لم يكن هناك ما ينبئ بأى شىء جديد. وكنت جالسًا فى الصالة على المقعد العريض، وقدماى ممدودتان أمامى وعيناى نصف مغلقتين.. أستريح بعد الغداء.. ولمحت مجدى خارجًا وقد ارتدى أزهى حلله.. البنطلون الأسود، والبلوفر المخطط الذى اشتريته له من ألمانيا عندما كنت هناك فى العام الماضى فى بعض أعمال المؤسسة..

وقلت له فى هدوء ودون أى قصد:

- إلى أين؟

قال: سأخرج.

قلت: إنى أراك خارجًا بالفعل.. ولكن.. إلى أين؟

قال: أليس لى حق أن أخرج وقتما أشاء؟..

قلت: ولى حق عليك أن تطمئنى إلى أين تخرج.

قال: لا.. ليس هذا من حقك.. إن من حقك فقط أن تسألنى.. ومن حقى ألا أجيب..

قلت وقد اتسعت عيناى دهشة لجرأته: أنا أبوك..

قال: ماذا يعنى هذا؟

قلت: يعنى أننى مسئول عنك.. ومن حقى أن أعرف أين تذهب...

قال: معنى هذا أن من حقك أن تمنعنى من الخروج

قلت: نعم..

قال: هذه ديكتاتورية. وعدت أردد فى دهشة:

- ولكنى أبوك..

قال: لا فضل لك فى هذا.. أى إنسان يستطيع أن يكون أبًا.. ونحن لا نناقش إذا كنت أبى أم لا.. ولكننا نناقش سلطة إدارة العائلة، وسلطة إعطاء الأوامر.

قلت وقد بدأت أحتد من الغيظ:

- أنا رب هذه العائلة.. أنا الذى أنفق عليها.. أكد وأشقى لأحصل على المال الذى أنفقته عليها.. و..

وقاطعنى: ليس هذا سببًا كافيًا لتنفرد بإصدار الأوامر.. لو اتبعنا منطق «كل من يصرف يتولى الإدارة» فمعنى هذا أن من حقى أن أبحث عن أب آخر أغنى منك، يصرف علىّ أكثر، ويتولى إدارة حياتى..

قلت وأعصابى ترتعش:

- إذن.. فمن حقى إذا لم أتول إدارة العائلة، ألاّ أصرف عليها..

قال: هذا منطق مغلوط.. إنك لا تنفق علينا بإرادتك.. ولا تستطيع أن تقرر عدم الإنفاق علينا.. القانون والنظام الاجتماعى يحتمان عليك الإنفاق علينا.. وهناك مجتمعات أعفت الآباء من مسئولية الإنفاق على الأولاد، كمجتمع السويد.. ونحن لم نصل إلى ما وصلت إليه السويد.. ولكن الدولة هنا فى مصر تسهم معك فى الإنفاق علينا.. إن مجانية التعليم، وتخفيض الأسعار.. و.. و.. كل ذلك هو مساهمة من الدولة فى الإنفاق على الأولاد.

قلت وأنا أخبط بيدى على مسند المقعد:

- والحب.. إنى لم أشعر بالدولة ولا بالمجتمع، وأنا أشترى لك هذا البلوفر.. كل ما شعرت به هو أنى أحبك..

وأجاب وهو بارد كلوح الثلج:

- هذه عاطفة رأسمالية.. ومنطق الديكتاتورية.. إنك لا تستطيع أن تستبعدنى لأنك تحبنى.. ولا تستطيع أن تتحكم فى حياتى لأنك اشتريت لى بلوفر.. أنا أيضًا أحبك ورغم ذلك لا أطالب بالتحكم فى حياتك..

قلت: إنك لا تحبنى.. إنك تنسى أنى أنا الذى أعمل.. أنا الذى أشقى.. قال محتفظًا ببروده:

- كلنا نعمل.. وحاجة المجتمع إلى عملك، لا تقل عن حاجة المجتمع إلى عملى.. أنت تنجح فى المؤسسة، وأنا أنجح فى الجامعة.. والمجتمع عندما يدفع لك مرتبك يكلفك ضمنًا بأن تدفع لنا مرتباتنا...

قلت: إذن أنتم تستفيدون منى.. وأنا لا أستفيد منكم..

قال دون أن يهتز: ليس المفروض أن يستفيد فرد، المهم أن يستفيد المجتمع.. ثم إنك تستفيد أيضًا.. فإنك بعد أن تحال إلى المعاش، ستدفع لك الدولة معاشًا.. من أين تدفع لك.. من عملك؟ لا.. لأنك تكون قد توقفت عن العمل.. ولكنها تدفع لك من عملنا نحن الجيل الذى يتولى العمل بعدك.. وقبل أن تحال إلى المعاش.. تستفيد أيضًا.. فائدة معنوية كبيرة.. إننا ندخل السعادة والزهو على قلبك.. إنك تتباهى بنا.. وقد اخترت حرف الميم شعارًا لمباهاتك بنا...

وصرخت:

- ماذا تريد.. قل لى ماذا تريد.. سأجن.. واقترب منى وجلس على مقعد بجانبى وقرب وجهه من وجهى وقال وعلى شفتيه ابتسامته التى تفتح قلبى:

- اسمع يا بابا.. الواقع أن الأسرة هى الخلية الأساسية فى المجتمع.. وكل النظم التى تطبق على المجتمع، تطبق بالتالى فى داخل الأسرة.. والأسرة بحكم تكوينها الطبيعى هى خلية اشتراكية. فكل ما تملكه أنت، أو تعتقد أنك تملكه، هو فى الواقع ملك للأسرة كلها.. ودخلك هو دخل الأسرة كلها، وهو يوزع على أفرادها كل عمله.. فأخى الأصغر تعطيه الأسرة أقل منى.. لأنى أعمل بحسب أكثر منه.. وأخى الأكبر يأخذ أكثر منى لأنه يعمل أكثر منى.. وكذلك بقية إخوتى.. وكذلك أنت وأمى.. ولا أقصد المصروف الشخصى لكل منا، ولكنى أقصد حجم الإنفاق على كل منا.. هذا من ناحية الاشتراكية.. تبقى ناحية الديمقراطية.. والاشتراكية تتطلب حتمًا ديمقراطية الإدارة فمن يتولى الإدارة.

قلت بسرعة وبحدة صارمة: أنا..

قال مبتسمًا: لا..

قلت ساخطًا.. أظن أنت؟!

قال: ولا أنا.. القاعدة الشعبية.. أى كل أفراد العائلة...

قلت: أنت مجنون..

قال كأنه لم يسمعنى:

- بالانتخاب.. تنتخب العائلة الشخص الذى تثق فيه ليتولى إدارتها.. ويتجدد انتخابه كل عامين ونضع لائحة لسلطات الإدارة...

ولا مانع من أن نكون مجلس إدارة من ثلاثة مثلا.. و...

قلت صارخًا: هذا كلام.. مجانين الفلسفة لخبطت مخك.. ابعد عنى.. وقمت ثائرًا ودخلت غرفتى ودمائى تغلى..

ولكن مجدى لم ييأس.. لقد جمع إخوته وأخذ يلح عليهم بأفكاره حتى أقنعهم.. بل إنه أقنع زوجتى أيضًا، وفوجئت بها تقول لى قبل أن تنام وهى تلف ذراعها حول كتفى:

- يا أخويا.. طاوع.. الأولاد.. دعهم يفرحوا بشبابهم.

وانقلب البيت...

كلهم يتحدثون عن الاشتراكية والديمقراطية.. حتى ابنى منير الذى لم يتجاوز التاسعة من عمره.. يسير فى البيت وهو يهتف... تحيا الديمقراطية.. لا ديكتاتورية بعد اليوم..

والواقع أن بينى وبين نفسى كنت أشعر بأنى عجزت عن الرد على منطق مجدى.. وكنت فى محاولة لإقناع نفسى بأن أقبل أفكار أولادى..

وأخيرًا...

قبلت...

وبدأ الاستعداد للانتخابات.. انتخاب الأب.. وضعنا كشفًا بأسماء الناخبين.. واشترطنا ألا يقل سن الناخب عن تسع سنوات حتى ندخل معنا منير.

وقررنا فى الوقت نفسه أن تشترك فى الانتخابات خادمتنا سنية «١١ سنة» والخادم شكرى «١٨» سنة...

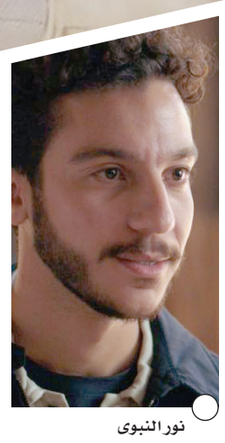
نور النبوى

نشوى مصطفى

هاجر السراج

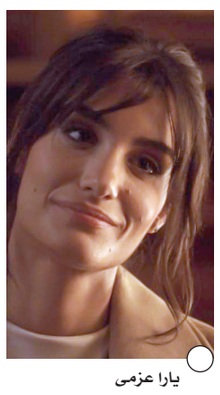
يارا عزمى

آدم وهدان

ثم فتحنا باب الترشيح.

وترددت كثيرًا قبل أن أرشح نفسى خفت أن أبهدل نفسى بين أولادى.. ولكنى خفت أكثر من ألا أرشح نفسى ثم يسير المشروع سيرًا جديًا وأنا بعيد عنه.. بعيد عن أولادى.. وأخيرًا استطعت أن أقنع نفسى بأن المسألة كلها لا تعدو مجرد لهو برىء وأنه من الأفضل أن أشترك مع الأولاد فى لهوهم..

ورشحت نفسى.

ولم يرشح نفسه أمامى إلا مجدى.

وبدأ مجدى يقوم بدعاية انتخابية ضخمة لنفسه. إنه لا يكف عن التحدث مع إخوته عن مشروعاته.. العائلية وملأ جدران البيت باللافتات الانتخابية.. انتخبوا المكافح الاشتراكى.. انتخبوا المجاهد..

فى سبيل مطالبكم.. انتخبوا أخاكم الفالح.. و.. و... أما أنا فقد احتفظت باحترامى لنفسى.. لم أقم بأى دعاية انتخابية.. ولكنى لا أنكر أننى ازددت رقة فى معاملة أولادى.. وكنت أسرع من العادة فى إجابة مطالبهم.. بل إنى ازددت تودداً لزوجتى خوفًا من أن تعطى صوتها لابنها.. نعم.. كنت خائفًا.. خفت من نشاط مجدى الانتخابى وخفت على مركزى كأب.. وكنت أنام وأحلم أنى سقطت فى الانتخابات.. وأنى عدت إلى البيت فى أول الشهر وسلمت مرتبى لمجدى ليتولى إدارته.. وأن أولادى أصبحوا يلجأون إلى مجدى بدلًا عنى فى كل ما يريدونه.. وزوجتى... و.. و...

ورغم ذلك سرنا فى التجربة..

وجاء يوم الانتخابات. وأنا أشد خوفًا..

وكنا قد صنعنا صندوقًا صغيرًا لتلقى أصوات الناخبين.. وكونا لجنة للإشراف على الانتخابات أنا رئيسها بحكم السن. واجتمعت العائلة بما فيها سنية وشكرى وكل فرد يدخل ويكتب اسم مرشحه فى ورقة ويطويها ويلقى بها فى الصندوق.

ثم بدأنا فرز الأصوات..

وقلبى فى قدمى.. وعيناى مخنوقتان

الورقة الأولى.. محمد مرسى.. أنا..

والثانية محمد مرسى.. أنا..

والثالثة والرابعة والخامسة.. والسادسة.. أغلبية الأصوات... كلها محمد مرسى.. أنا.. لقد فزت.. انتخبت.. ودق قلبى.. فرحت.. لم أفرح فى حياتى قدر هذه الفرحة.. والورقة السابعة.. محمد مرسى..... أنا..

والثامنة.. محمد مرسى.... أنا.. والتاسعة.. محمد مرسى.. أنا.. لم تبق إلا ورقة واحدة.

لا بد أنها ورقة مجدى.

وفتحنا الورقة الأخيرة محمد مرسى.. أنا...

واغرورقت عيناى بالدموع.. شكرًا يا رب... كل هذا الحب.. وكل هذا الإيمان.. لقد انتخبونى بالإجماع... حتى مجدى..

وتلقيت مجدى بين ذراعى.. أقبله... واجتمع الأولاد كلهم بين ذراعى.. يقبلوننى.. وزوجتى تضحك فى مرح... وسنية تطلق زغرودة.

وقلت فى صوت جاد وقلبى يخفق بالسعادة: عيب يا أولاد.. ممنوع تقبيل الرئيس.. المهم أن نضع الآن اللائحة...

ووضعنا اللائحة.. لائحة مؤقتة إلى حين تكوين مجلس الإدارة.

وبعد أسبوع.. أجرينا انتخاب عضوين لمجلس الإدارة.

أتدرون من فاز.. زوجتى.. ومصطفى ابنى الأكبر.

لم ننتخب مجدى.

خفنا من تطرفه...

ولكنه لا يزال ألمع إخوته..

و.... وزوجتى تطرز حرف «الميم» على كل شىء فى البيت.. على المفارش والوسائد.. والبيجامات.. و.... و.... لقد أصبحت إمبراطورية «ميم» جمهورية اشتراكية ديمقراطية.

والعمارة كلها تتحدث عن تجربتنا.

إحسان

> إنك لا تستطيع أن تستبعدنى لأنك تحبنى.. ولا تستطيع أن تتحكم فى حياتى لأنك اشتريت لى بلوفر

خلف خطوط الذاكرة

انفراد.. فصل من مذكرات خالد منتصر

يثرى المفكر المستنير د. خالد منتصر المكتبة المصرية والعربية، قريبًا، بنشر مذكراته، عن دار ريشة للنشر، تحت عنوان «خلف حظوظ الذاكرة.. سيرة ذاتية لجيل الآمال المؤجلة»، وهو إصدار يستحق التوقف أمامه، فما يرويه «د. خالد» ليس مجرد «سيرة شخصية» بل «سيرة وطن» من واقع ما عاشه وما شهدته مصر من تحولات تركت أثرها عليه كما أثرت على بلد بأكمله.

وفى المذكرات يتحدث د. خالد بصدق واعتراف واضح، لا يخفى شيئًا ولا يزيد شيئًا، بل يحكى كما رأى وعاش.

«حرف» تنفرد، فى هذا العدد، بنشر فصل من هذه المذكرات القيمة.. فتعالوا معًا لنعرف كيف عاش خالد منتصر.

بعد ظهور نتيجة الثانوية العامة موسم ٧٦-٧٧ دخلت مرحلة لصق الطوابع المكتوب عليها الرغبات، لم يكن هناك كمبيوتر وموقع لكتابة الرغبات، ولكن كانت هناك الطوابع التى تستهلك مخزون اللعاب، حتى ولو كنت الأول على الجمهورية لا بد أن تستنفد كل خانات الرغبات، كنت ما زلت حائرًا تتنازعنى رغبتان ملحتان، كلية الطب وكلية الإعلام، كنت أميل نفسيًا إلى كلية الإعلام، لكنى بمشاعر المراهقة وتماشيًا مع الصحبة والأصدقاء كان الاختيار الأقرب هو كلية الطب، كانت تداعبنى أحلام الصحافة والكتابة ونموذج رئيس التحرير السينمائى الذى يهتز الكون لمقاله المكتوب، وتتلهف المطبعة على كلماته وتنتظر وتؤجل الجريدة حتى ينتهى من الكتابة، وكان هناك على الجانب الآخر حلم السماعة والبالطو الأبيض وقبس النبوة وغموض التأمل ومهابة السلطان التى تغلف أسطورة الطبيب، همس أبى فى أذنى: «لن تتعلم الطب خارج كلية الطب، لكنك من الممكن أن تتعلم الصحافة خارج أروقة كلية الإعلام»، بنزق المراهقة وعنادها ومراوغاتها الساذجة كتبت أول رغبة طب القاهرة وكان مجموعى يضمنها ويتجاوزها بكثير، وكانت ثانى الرغبات إعلام القاهرة، إثبات حضور وتنفيس عن رغبة مدفونة، ويبقى «عملت اللى علىّ» وأرضيت ضميرى، جاءت نتيجة مكتب التنسيق كما توقعت دون مفاجآت، كلية طب القاهرة، لكننى عرفت أن السنة الأولى لن تكون فى قصر العينى، ولكن فى كلية العلوم داخل حرم جامعة القاهرة، هكذا كان النظام، سنة كاملة لا علاقة لك بكلية الطب على الإطلاق، تدرس علم الحيوان والنبات والفيزياء والكيمياء والإحصاء، تشرّح الضفدعة والأرنب، وتدخل معمل الكيمياء وتدرس الكيمياء العضوية وغير العضوية، أما الفيزياء فحدّث ولا حرج؛ كانت بالنسبة لنا ألغازًا وطلاسم، أين المريض؟ أين السماعة والبالطو؟ أين مشية الخيلاء والتباهى وأسئلة المرضى تلاحقك وتوسلاتهم تحسسك بالأهمية وتمنحك الحيثية؟

أين حلم الحكيمباشى الذى ظل الأهل يقنعوننا ويغسلون أدمغتنا بأنه العصا السحرية التى ستجعلك الثرى المليونير صاحب «الخمسة عين»، والكاهن الذى ينوّم أفراد القبيلة مغناطيسيًا، والآمر الناهى الذى يحكم الجميع بلا عرش، هل هذه هى القصة؟ مجرد محاضرات مملة فى مدرج معزول، لا كيان لنا ولا شكل، بضعة طلاب زائدون على الحاجة، لسنا طلابًا فى كلية العلوم، ولا نعرف شكل بوابة كلية الطب أصلًا، زائدة دودية فى قبة جسد جامعة القاهرة المهيبة! أحمل طبقى المعدنى الملىء بالشمع، مستعدًا لتثبيت الضفدعة المسكينة بالدبابيس على سطحه، ومعى كتاب علم الحيوان الذى أحفظ منه خطوات تشريح الضفدعة بحيث أحافظ على جهازها الدورى ومسار الشرايين والأوردة فيها، كانت ميزانيتى المحدودة لا

> كانت تداعبنى أحلام الصحافة والكتابة ونموذج رئيس التحرير السينمائى الذى يهتز الكون لمقاله المكتوب وتتلهف المطبعة على كلماته

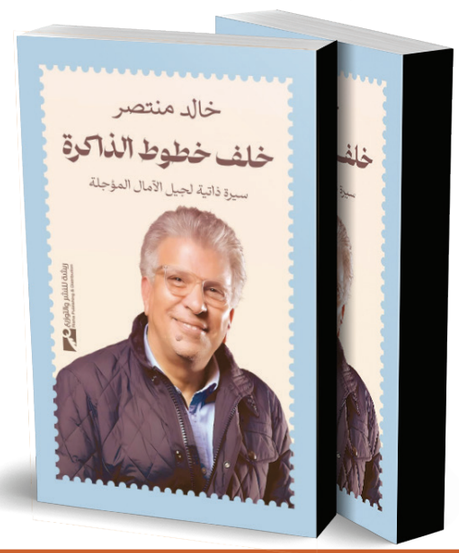

الكتاب
خلف خطوط الذاكرة
المؤلف
د. خالد منتصر
الناشر
دار ريشة

خالد منتصر مع عدد من زملائه

والدته

تسمح لى بالإسراف فى شراء الضفادع من عم محمد الذى يأتى للكلية بالشوال المحشو بالضفادع من إحدى قرى الجيزة، لذلك علّمنى ضيق ذات اليد الحرص على عدم الخطأ فى التشريح حتى لا أضطر للجوء لعم محمد والفصال معه، خاصة أن الأسعار تحدد بناء على حجم الضفدعة ووزنها! ما زالت الذاكرة تحتفظ بأستاذ واحد من تلك المرحلة، د. حسين فوزى، أستاذ علم الحيوان، الذى كان يشبه الأتراك بوجهه الأحمر وشعره الذهبى وحاجبيه الغليظين، لم تكن طريقة شرحه أو محاضراته العلمية، رغم أهميتها، هى التى جذبتنى وجعلتنى أحتفظ بملامحه فى ذاكرتى حتى هذه اللحظة، لكنها جمعية التذوق الموسيقى التى شكّلها فى الكلية، لدرجة أننى تخيلته لفترة د. حسين فوزى السندباد الذى كنت أستمع إليه فى البرنامج الموسيقى، لكن سرعان ما اكتشفت الفرق من اختلاف نبرة الصوت والملامح، عرفت فيما بعد من الأجيال التى سبقتنى أن هذا الرجل كان طيلة عمره راعيًا للفنون بمختلف أنواعها داخل كلية العلوم، وكان صديقًا للإذاعى العبقرى المأمون أبوشوشة، خريج كلية العلوم، بالرغم من فتح تلك النافذة الفنية من خلال د. حسين فوزى، فإنها لم ترو عطشى إلى الفن والأدب والتجول فى دروب الثقافة الأخرى، ما زالت النداهة تنادى، وما زلت ممسكًا بخيوط السراب، المدهش أننى منذ أول يوم فى كلية العلوم قابلت نفس الشخصيات الحائرة التائهة ما بين دراسة الطب والرغبة فى الهروب إلى باحة الفن الرحبة، قبل الدخول إلى مدرج كلية العلوم لحضور أول محاضرة فى علم النبات، وقبل أن يقص علينا أستاذ المادة كيف نصنف النباتات، للمملكة والشعبة والطائفة.. إلخ، لمحت مجلة حائط يمسك بها ثلاثة طلاب، اقتربت أكثر، وجدت العنوان «الرجل والجنس» و«المرأة والجنس» بقلم نوال السعداوى، مصطفى قاسم ومصطفى رجب ومحمد إدريس، منهم من يكتب شعر العامية، ومنهم من يكتب شعر الفصحى، ومنهم المغرم بالفلسفة وعلم النفس، بمجرد المصافحة وصباح الخير صرنا أصدقاء، وبدأ البعض يتجمع حولنا ويستمع إلى حواراتنا، ومنهم طالب رشيق الخطوة اسمه شريف عبدالعليم، سألته عن مدرسته، فقال إنه خريج مدرسة الباليه، اندهشت، توقعت أنها دعابة، فلم أكن أعرف أن هناك مدرسة باليه من الممكن أن تتخرج فيها وتدخل كلية الطب، عرفت فيما بعد أن شريف هو شقيق الفنان ممدوح عبدالعليم الذى كان قد اشتهر بين جيلنا بمسلسل الأطفال «وليد ورندا فى الفضاء»، كان شريف هو أشطرنا فى مادة التشريح لأنه كان قد تعلم مبادئها فى مدرسة الباليه، تحلقنا حول المجلة وكأننا فى مجال مغناطيسى كونى لا فكاك منه، سحر كلمات نوال السعداوى، قوتها، صدمتها وصدامها، وأسئلتها المؤرقة، كسرها للتابوهات، نقاشات الطلبة التى تحولت لخناقات، تراجع البعض وكأن قراءة المجلة نجاسة. وتحمس البعض الآخر وكأنه اكتشف منجمًا للذهب، هذا الجو أيقظ فى داخلى مرة أخرى شرارة البحث عن ثغرة أنفذ منها إلى عالم الأدب والصحافة، قررت التزويغ من المحاضرات وحضور محاضرات كلية الإعلام خاصة محاضرة الشاعر فاروق شوشة الذى كان يدرّس من كتابه «أجمل عشرين قصيدة فى الحب»، وأيضًا كتاب عن لغتنا الجميلة وأسرارها وقُل ولا تقل.. إلخ، كان الشاعر فاروق شوشة من قرية أبى، عرّفته بنفسى، فاستقبلنى بترحاب شديد وذكر أن أبى هو أول المتعلمين فى القرية وأنه شجعه وكان قدوته، وذكر لى أبى بعد أن حكيت له عن تلك المقابلة، أنه يذكر جيدًا أنه فى طابور الصباح عندما كان أبى فى نهاية المرحلة الثانوية، وقف طالب جديد خجول أمام الميكروفون ليلقى قصيدة من كتاب مطبوع، كان هذا الطالب هو فاروق شوشة ابن بلده، وكان من طبع له الكتاب على حسابه مدرس اللغة العربية فى مدرسة دمياط الثانوية الأستاذ طاهر أبوفاشا، الذى أمتعنا فيما بعد بألف ليلة وليلة وغيرها من درر الإذاعة، كانت يدى ترتعش وأنا أقدم مجموعة من القصص القصيرة التى كتبتها، طالبًا منه قراءتها وتقييمها، عندما قابلته فى المحاضرة التالية أبدى إعجابه بالقصص، وحللها لى، أين نقاط القوة وأين نقاط الضعف، وقال فى نهاية حديثه: «كمّل فى كتابة القصة القصيرة.. فيك قبس من يوسف إدريس»، بمنتهى العفوية قبّلته واحتضنته، اندهش الطلبة من هذا التصرف الغريب مع أستاذهم الوقور، قفزت سلالم كلية الإعلام المزدحمة فى ثوانٍ، لم أندم على شىء فى حياتى قدر ندمى على عدم سماع نصيحة فاروق شوشة.

خرجت من باب كلية الإعلام لأجد شابًا يتحلق حوله الطلبة، يقف خطيبًا على ترابيزة الكافتيريا التى تجمع طلبة إعلام وسياسة واقتصاد، والتى كنا نقصدها لتناول الساندوتشات أحيانًا ومراقبة الحسناوات غالبًا، فقد كانت تلك الكافتيريا هى قِبلة كل من يريد تنسم عطر الجمال والشياكة من أبناء كليات الجفاف والنظارات السميكة والبلاطى التى أكلتها الأحماض، كان الشاب نحيل الجسد ممشوق القامة، يطل من خلال نظارته المعدنية على الطلبة المتحلقين حوله، يسمعون خطبته وينظرون إليه رافعين أعناقهم، فقد كان واقفًا على إحدى موائد الكافتيريا، هذا الشاب الذى كان قد تخرج فى كلية السياسة والاقتصاد منذ سنوات، كان نجم الحركة الطلابية آنذاك، وخطيبها المفوه، أحمد عبدالله رزة، تلك الكاريزما التى برغم رحيلها ما زالت تنبض فى المكان والزمان، فيما بعد صار هذا الشاب الذى حورب كثيرًا فى كليته، ولم يستطع استكمال دراساته العليا فى كليته فى مصر، صار أستاذًا فى المعهد الدبلوماسى للملتحقين بوزارة الخارجية، بعد أن حصل على الدكتوراه من قلب إنجلترا، عاصمة الديمقراطية ومهد علوم السياسة، استمعت إليه وانبهرت مأخوذًا بطلاقته فى الخطابة ولغته المنضبطة وإيقاعه المسرحى وثقافته الواسعة، بعد أن أنهى خطابه الذى كان معظمه هجومًا على سياسة الرئيس السادات، ونزل من على المائدة، صافحته وسمعته يتفق مع أصدقائه على لقاء مسائى فى كلية هندسة القاهرة لحضور حفل أحمد فؤاد نجم والشيخ إمام، سيغنيان معًا أمام الطلبة فى ساحة الكلية، ومع عود الشيخ إمام كان هناك رق محمد على، لم أكن أعرف الشيخ إمام إلا من خلال شريط كاسيت ردىء الصوت أحضره لى خالى، لم يتح لى هذا الشريط معرفة هذه الخلطة السحرية العبقرية، نجم إمام أو إمام نجم، والتى ظلت تصاحبنى طيلة الكلية كموسيقى تصويرية فى خلفية مشاهدى الحياتية، الحلو منها والمر، حضرت الحفل وكنت منتشيًا بالحالة وليس بالصوت أو اللحن فقط، كل الشباب يغنى فى صوت واحد، حتى صاحب الصوت الأجش أو صاحبة الحنجرة المشروخة، الحالة لم تكن تطريبًا، بل كانت أقرب إلى نشوة جلسات الذكر الصوفية، لم يكن مهمًا أن تأتى بالمقام الموسيقى أو «تعفق» قفلة الكوبليه، لكن المهم أن تحس الكلمة وأن يخترقك اللحن، بعدها صنعت كوكتيلاتى وألبوماتى الخاصة من شرائط الأصدقاء الذين سجلوا للشيخ إمام ونجم، سواء فى جلسات خاصة أو فى حفلات كليات أو فى حزب التجمع أو فى سفرياتهما ورحلاتهما فى الدول العربية وأوروبا.

فى فترة الامتياز قضيت عدة أشهر فى مستشفى بولاق الدكرور

فى نفس فترة إعدادى طب التى قضيتها فى كلية العلوم، أضيفت إلى كلية الإعلام التى كنت أحضر بعض محاضراتها، كلية الآداب، لم أكن أحضر المحاضرات بل كنت أتسلل إلى حجرة أساتذة قسم اللغة العربية الذى كان شهيرًا بأنه خلية المعارضة فى الجامعة ومدرسة المشاغبين من حاملى الدكتوراهات! دخلت فى البداية على استحياء من باب عرض ما أكتبه من قصص قصيرة عليهم، ثم تطور الأمر إلى مناقشات سياسية، ومنها إلى صداقات مع البعض، لأن خيوط التواصل ظلت حتى بعد تخرجى فى الكلية، فيما بعد فى فترة الامتياز قضيت عدة أشهر فى مستشفى بولاق الدكرور، الذى كان بالصدفة قريبًا من مساكن أعضاء هيئة تدريس جامعة القاهرة ومنهم أساتذة فى كلية الآداب، وكان أقرب صديق حينذاك فتح لى باب توطيد الصداقة، هو د. سيد البحراوى الذى كان فى ذلك الوقت مدرسًا صغيرًا فى قسم اللغة العربية، أما فى وقت إعدادى طب فقد جذبنى مغناطيس هذه المجموعة المتمردة التى كانت تمثل لى وقتها وجهًا آخر يختلف عن الوجه التقليدى الأكاديمى لأساتذة الجامعة الآخرين، فقد سمعتهم وهم يواجهون مسألة الدراسات العليا للسيدة جيهان السادات، ويتصدون للضغوط الجامعية عليهم، ويناقشون بكل صراحة الأحوال السياسية وينتقدون سياسات الرئيس السادات الانفتاحية، وكانت أكثر النقاشات صدمة لى فى ذاك الوقت نقاشاتهم حول التراث الإسلامى التى كانت فى ذاك الوقت جديدة على وعيى الحائر الذى تشكل فى مجتمع محافظ ومتدين، لا يقترب من هذا التراث إلا بالتقديس، كان ما جذبنى إلى مجموعة اليسار فى قسم اللغة العربية ليس د. جابر عصفور فى البداية، ولكنه أستاذ آخر لم يأخذ حظه من التقدير وهو د. عبدالمحسن طه بدر، الذى كنت قد قرأت له كتابًا عن تحليل روايات وشخوص نجيب محفوظ، سحرنى هذا الكتاب، ومنه تعرفت على أهمية النقد الأكاديمى واختلافه عن النقد الانطباعى العابر، ذهبت اليه لأناقشه فى الكتاب خاصة قضية اختيار نجيب محفوظ أسماء أبطاله التى كان له فيها وجهة نظر بكر وطازجة ومدهشة، فقد كان منها الرمزى المباشر مثل «عرفة» فى «أولاد حارتنا» ومنها المراوغ مثل «حميدة» فى «زقاق المدق».. إلخ، المهم أنه كان بداية طرف الخيط، ثم بدأت دخول هذه المغارة السحرية التى لم أكن أتصور أنها تحوى كل هذه الكنوز، فقد كان التصور السائد عن أساتذة اللغة العربية أنهم متحفظون بل متزمتون، لكنى عندما قابلتهم فى هذه السن وتلك الفترة عرفت أن جينات طه حسين قد انتقلت إلى الأحفاد، فقد كانت تلميذته سهير القلماوى وهى من الجيل الوسيط بينه وبينهم، ما زالت تحضر إلى طلبة الدراسات العليا، ولها حضور وثقل وكاريزما، عرفت فيما بعد أن ابنها نابغة من نوابغ طب الكلى عندنا فى كلية الطب، وورث عنها جدية البحث وصرامة المنهج العلمى، كان بجانب الأساتذة الكبار فى القسم كان هناك شاب يخطو خطواته الأولى فى سلك البحث الأكاديمى، هذا الشاب كان نصر حامد أبوزيد، الذى لم أتوقع أن يؤثر كل هذا التأثير فى جيلنا، كان هدوء نبرة صوته وخجله الريفى لا يمنح الجالس معه أى نبوءة عن العواصف والزلازل التى سيحدثها فى مناهج البحث التى تتعامل مع التراث وحتى مع النص المقدس، لم أشاهده بعدها فى قسم اللغة العربية ولكنى شاهدته فى المحاكم قبل رحلة النفى إلى هولندا بعد حكم التفريق العبثى بينه وبين زوجته.

كانت ميزة فترة إعدادى طب أن اتساع ورحابة جامعة القاهرة خففت من وطأة المزاج السلفى الذى كان قد بدأ على استحياء، لكنى وقتها ومع انغماسى مع شباب اليسار فى كليات أخرى داخل الجامعة، وقتها لم أرصد بدقة ما كان يحدث خارج مدرجى «والى» و«مشرفة»، مكان محاضراتنا، كان مسجد أسد بن الفرات فى الدقى يجمع الزملاء خاصة أبناء الريف من سكان المدينة الجامعية، هذا المسجد صار بؤرة التجنيد للجماعة، وبدأ عدد كبير من الطلبة يحضر دروس الشيخ «إبراهيم عزت»، وهو داعية شهير أسس جماعة التبليغ والدعوة؛ وهى جماعة كانت بعيدة عن السياسة رغم أن مؤسسها إخوانى قديم، وكان مقر الشيخ عزت هو مسجد «أنس بن مالك» بالمهندسين وهى أيضًا منطقة ليست بعيدة عن المدينة الجامعية، تزامنت مع سطوة المسجد ومشايخ الجماعة، سطوة المعمل حيث مجموعات شرح المواد من «د. عاصم»، مدرس علم الحيوان، الشاب الملتحى الهادئ الذى كان هو الآخر يجند للجماعة معظم طلاب المدينة الجامعية وغيرهم من المحبَطين الحائرين، كنت لا أفهم وقتها سر كراهية بعض الطلبة الذين كانوا يحضرون دروس «عاصم» صغير السن لأستاذه د. حلمى بشاى وهو واحد من كبار أساتذة علم الحيوان فى مصر، بدأت الانتقادات من هؤلاء ضده بحدة، والهجوم عليه بشراسة، وعرفت بعدها أن عاصم قد بدأ زرع بذرة الفتنة الدينية وسط المصطلحات اللاتينية.

فى وسط كل هذا الزخم وتلك اللقاءات مع شباب من نفس السن وأساتذة من جيل سابق، وشاب يتحسس طريقه، يتشرب ما حوله، يتصور أن الحياة والثقافة مجرد كتب وحوارات ونقاشات ساخنة وأصوات عالية فى ندوات مغلقة، فوجئت وأنا فى الكلية ووسط هذا الجو بمشاهد لم أكن قد رأيتها أنا أو جيلى من قبل فى حياتى، بمظاهرات يناير ١٩٧٧، أو ما أطلقوا عليه «انتفاضة الخبز».

.. ومع عدد من الأصدقاء وزملاء الدراسة

29 فبراير 1996.. نُحيى ذكرى وفاته التى تتكرر كل أربع سنوات

لماذا يكره الإخوان كتاب «من هنا نبدأ»؟

هذا كتاب من أهم الكتب التى يمكننا الاعتماد عليها فى كشف زيف جماعة الإخوان وتهافت منطقها ومنهجها، اسمه «من هنا نبدأ»، صدر للمرة الأولى فى العام 1950، صاحبه واحد من أخلص وأنبل من كتبوا بالعربية على الإطلاق.

إنه هو... خالد محمد خالد.

الكاتب الكبير الذى جرّت عليه كتاباته معارك لا حدود لها، لكنه أبدًا لم يتراجع أو يتزحزح عن موقفه، بل كانت تزيده صلابة واستمرارًا فى طريقه.

كان عنوان الكتاب فى مخطوطته الأولى «بلاد من؟» لأن خالد كان يتساءل فيه: بلادنا هذه لمن؟ وهى وطن من؟

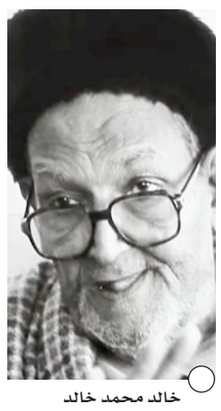

خالد محمد خالد

هل هى بلاد الكهانة.. أم بلاد الإسلام الخالص المستنير؟

وسجل هذا فى فصل بعنوان «الدين لا الكهانة».

وهل هى بلاد الأغنياء المترفين... أم هى بلاد الجياع المسحوقين؟

وهو ما جاء فى فصل عنوانه «الخبز هو السلام».

وهل هى بلاد التعصب ووطن الطائفية.. أم هى بلاد التسامح ووطن الجميع؟

وسجل هذا فى فصله «قومية الحكم».

وهل هى بلاد الرجال دون النساء.. أم هى بلاد الفريقين ومجلى نشاطهما ومطلع الضوء لكل منهما؟

وجاء ذلك فى فصل الكتاب الأخير «الرئة المعطلة».

قبل أن يدفع خالد بكتابه إلى المطبعة وضعه بين يدى صديقه عبدالله القصيمى، وهو سعودى وصفه بأنه متوقد النبوغ، وبعد أن قرأ مخطوطة الكتاب اقترح عليه أن يكون العنوان «من هنا نبدأ»، وكان مبرره فى ذلك أن المبادئ الأربعة التى تضمنها الكتاب هى نقطة الانطلاق التى لا بديل لها ولا دليل سواها.

ما يهمنى فى هذا الكتاب هو فصل «قومية الحكم» الذى تصدى به خالد محمد خالد إلى جماعة الإخوان المسلمين، وهو التصدى الذى كان له رد فعل عنيف.

لكن قبل أن أحدثك عن رد الفعل، قد يكون مناسبًا أن نعرف من مؤلف الكتاب علاقته بجماعة الإخوان، كيف بدأت وكيف سارت وكيف انتهت؟

فى مذكراته التى كتبها تحت عنوان «قصتى مع الحياة»...

يقول: «كان الإخوان المسلمون قد بلغوا خلال الأربعينيات من الكثرة والقوة والنجاح مبلغًا منقطع النظير، كانت دعوتهم تسرى بين الناس كالضوء، وكان الشباب بصفة خاصة يقبل عليها إقبال أسراب النحل على رحيق الزهور».

«وذات يوم والجماعة فى أوج مجدها الباهر، لا ندرى هل انبثق منها أو أقحم عليها وتسلل إليها ما يسمى يومئذٍ بالتنظيم السرى، وارتكب هذا الجهاز جرائم منكرة وتوسل بالاغتيالات لفرض الدعوة، الدعوة التى كانت قد حققت بالإقناع والمنطق ما لم تحققه دعوة أخرى، والدعوة التى كانت لباقة مرشدها الأستاذ حسن البنا وإخلاصه يفتحان له الآذان الصم والقلوب الغلف ويسلسان له قيادة الجماهير عامتهم ومثقفيهم».

يمسك خالد محمد خالد الخيط فى يديه ولا يفلته.

يقول: «لفتت حوادث الاغتيال التى مارسها ذلك الجهاز السرى انتباه الناس وروعت أفئدتهم، وكنت من الذين أقض مضجعهم هذا النذير، وقلت لنفسى: إذا ما كان هذا مسلك المتدينين وهم بعيدون عن الحكم، فكيف يكون مسلكهم حين يحكمون؟، وتذكرت كلمة المفكر الفرنسى «فولتير»: إن الذى يقول لك اليوم: اعتقد ما أعتقده وإلا لعنك الله، سيقول لك غدًا: اعتقد ما أعتقده وإلا قتلتك».

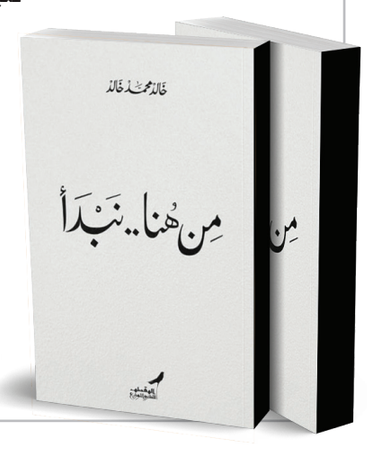

ويصل خالد إلى مبتغاه ومرفأ فكرته: «على أن ذلك الجهاز السرى اختصر طريقه آنذاك فتخطى وتجاوز مرحلة اللعن إلى مرحلة القتل والاغتيال».

كان ما رآه خالد محمد خالد من أعمال التنظيم السرى للإخوان هو دافعه الأول لأن يكتب عن قومية الحكم، ورفضه الحكومة الدينية، وهو ما أزعج جماعة الإخوان منه، واعتبروه بعدها خصمًا لهم.

لكن كيف عرف خالد بانحراف جماعة الإخوان؟ وهو الذى ظل لسنوات قريبًا منها وقريبًا من مرشدها حسن البنا، ولا يخفى إعجابه به، وهو الإعجاب الذى كان ممزوجًا بالحذر الغامض.

يقول خالد عن ذلك: «كان إعجابى بالأستاذ البنا يتنامى دومًا، فكل ما فيه يدعو للإعجاب به وبالمودة له: علمه وخلقه وسمته وزهده وتواضعه وتبتله وجهاده ومثابرته وتفانيه وسحر حديثه ورواء بيانه وشخصيته كلها الآسرة والمضيئة، ولكن مع هذا الإعجاب المتنامى به كان ينتابنى الحذر، أكان حذرًا منه أم حذرًا عليه؟ لم أكن أدرى يومها، كل ما كنت أجده شعورًا غامضًا بالحذر، ولعل هذا الشعور هو الذى حدد علاقتى بالإخوان كمجرد زائر لدارهم، ومستمع للأستاذ، دون أن أرتبط بعضوية أو أى التزام».

هذا الحذر الذى حدد خالد محمد خالد علاقته بالإخوان من خلاله، هو الذى دعاه إلى أن يسأل: «هل كان الإخوان يريدون حكمًا تطاول استبطاؤه»؟

ويجيب هو: «أبدأ إجابتى مؤكدًا أن من حق كل حزب سياسى وكل جماعة مصلحة أن يطلبا الحكم، ويسعيا إليه ما دام سبيلهما لهذا الوسائل النظيفة والمشروعة، والإخوان حتى على فرض أنها جماعة إصلاح دينى واجتماعى لا غير، فإن من حقها الوصول إلى الحكم، فكيف وهى تضيف إلى دورها الإصلاحى دورًا سياسيًا لم تنكره على نفسها، ولم تخفه عن الناس، إذ يهتفون صباح مساء: الإسلام دين ودولة، فمعنى دين أنه مسجد، ومعنى دولة أنه حكومة».

يعود خالد ليسأل: «إذن ما الذى أزلّ خطاهم عن الطريق»؟

ويجيب: «من معاصرتى للأحداث فى تلك الحقبة من الزمان أستطيع حصر عوامل التعرية التى أصابت الجماعة فى اثنين لا ثالث لهما:

فأولهما: التنظيم السرى بسوءاته وحماقاته وجرائمه.

وثانيهما: غياب الإيمان بالديمقراطية واحترامها وبث الولاء لها فى ضمائر الإخوان، وفكر الجماعة وسلوك القادة».

يستشهد خالد بكلام الإخوان حتى يدينهم، ويستعين بحديث صحفى أدلى به حسن البنا إلى مجلة الإثنين، التى كانت تصدر أسبوعيًا عن دار الهلال، ليقول فى الجماعة ما يريده.

قال حسن البنا فى حديثه: إننا نؤمن بأن الغد سوف يختصنا بتبعاته.

ويعلّق خالد على كلام حسن البنا بقوله: الإيمان بأن الغد سيختص جماعة دون غيرها بتبعاته ومسئولياته واحتياجاته يتطلب إدراكًا ذكيًا ومخلصًا وسديدًا لظروف الغد من خلال اليوم، ولحتميات المستقبل من خلال الحاضر، وقبل ذلك يتطلب تجردًا كاملًا وتفرغًا أكيدًا لجعل الغد خطوة إلى الأمام، وصديقًا حميمًا للمعاصرة، وتوشيته بكل القيم الكبرى، دينية وأخلاقية وسياسية وإنسانية واجتماعية، وأن يكون ملكًا للناس جميعًا، وليس ملكًا لحزب أو جماعة أو طائفة أو قائد أو زعيم.

ويسأل خالد: فهل كان الإخوان كذلك بالنسبة للغد الذى سيختصهم بتبعاته؟ وهل كان الأستاذ المرشد كذلك؟

ويجيب: لا الإخوان ولا قياداتهم كانوا فى مستوى تبعات الغد، بل ولا فى اليوم بالمفهوم الذى أسلفناه لهذه التبعات، ولقد كان الأستاذ البنا بخصائصه المتفوقة قادرًا على الصعود فوق هذه المستويات لو أنه خطا ثلاث خطوات:

أولاها: الرفض المطلق لقيام النظام الخاص، لا سيما بعد أن أقبل الناس على دعوة الإخوان أفواجًا وأسرابًا.

ثانيها: بث الولاء للديمقراطية فى نفوس الشباب، بنفس القدر الذى يبث به الولاء للدين، فالديمقراطية السياسية والاجتماعية هما سياج الدين المنيع وسياج الوطن أيضًا.

ثالثها: الصبر على المكاره مما يصيبه ويصيب الإخوان معه.

ويعود خالد ليسأل: ماذا كان هذا النظام السرى أو التنظيم الخاص؟

ويجيب: إنه المسئول عن كل ما أصاب الإخوان من بلاء وشقاء ومن مخاطر وأهوال، وأبادر فأعترف بأننى حين سمعت عنه وأنبئت به تمنيت أن أكون أحد أعضائه ومجنديه، لكن الله سلم.

يحاول البعض أن ينفى عن حسن البنا معرفته بالتنظيم الخاص الذى تولى عمليات الاغتيالات والقتل والتدمير باسم الجماعة، لكن فيما يقوله خالد دليل مؤكد على أن التنظيم الخاص كان من بنات أفكار البنا، وأنه هو من أسسه ورعاه وسعى إلى ضم الشباب إليه.

يقول خالد: أذكر يومًا كنت والشيخ سيد سابق نركب مع فضيلة المرشد عربة متواضعة، وأفضت فى حديث عن التضحية التى تقاعس المسلمون عنها فباءوا بخذلان، ولعله ظفر باستحسان المرشد وإعجابه، فسألنى: هل الشيخ خالد متزوج؟ وأقسم بالله أننى أحسست فى اللحظة التالية لتوجيه هذا السؤال إلىّ بأنه يعنى أو ربما يعنى رغبة الأستاذ فى ضمى إلى النظام الخاص، وحسبت أن زواجى سيحول بينى وبين هذا الترشيح المظنون، من ثم سارعت مجيبًا: نعم أنا متزوج، ولكن ما الزوجة، وما الولد، وما الأهل جميعًا إذا منعوا عن الإنسان نعمة التضحية ومثوبتها؟ ألا صدق ربنا العظيم: «إن من أزواجكم وأولادكم عدوًا لكم فاحذروهم»، وتهلل وجه فضيلة المرشد رضا بما سمع، وربت بيمينه على كتفى ودعا لى: «وفقك الله وبارك فيك».

عبدالرحمن السندى

خالد محمد خالد: لقد قضت جماعة الإخوان نحبها بأيدى تنظيمها لأن القتل والتخريب موضعا مقت الله

سيد سابق

يصل خالد محمد خالد إلى صلب ما يريده، عندما يقول: إذن تمنيت الالتحاق بالنظام الخاص وأعجبت بفكرته، قبل أن تتلوث يداه بالدم الحرام.

ولكن ما هذا النظام؟

قدم لنا خالد محمد خالد خدمة جليلة عندما فضح النظام الخاص فى جماعة الإخوان، فما قاله عنه يعتبر وثيقة مهمة جدًا من وثائق كشف حقيقة جماعة الإخوان.

يقول خالد: سأبدأ حديثى عن التنظيم السرى، من حيث بدأت أسمع به وأعرف أنباءه، ولعل ذلك كان عام ١٩٤٢ أو ١٩٤٣، ويومها عرفت طريقة تشكيله وأهدافه وغايته، كما عرفت اسم قائده والمشرف عليه وهو عبدالرحمن السندى، شاب متدين تقى مريض بالقلب مرشح للموت المباغت، والعجيب أن مرضه وترقبه الموت فى كل لحظة كانا وراء ترشيحه واختياره ليقود التنظيم السرى الذى تتطلب قيادته عافية الجسد والنفس والعقل.

ويكمل: لذلك سنرى كيف التاثت الأمور بين يديه واضطربت وتمرد حتى على المرشد نفسه، كذلك عرفت أن الأستاذ المرشد لم يفاجأ بهذا التنظيم يقتحم عرينه، بل هو الذى فكر فيه وأنشأه، واختار له قائده الأول الأستاذ محمود عبدالحليم، ولما غادر القاهرة سعيًا وراء عمله ورزقه اختار قائده الثانى عبدالرحمن السندى الذى لم يتم تعليمه الجامعى، ووقف عند الثانوية العامة، حيث التحق بإحدى وظائف وزارة الزراعة.

كانت حيثيات تشكيل النظام الخاص- كما سجل خالد- وكما أعلن البنا فى حينه، شن الحرب على الاستعمار البريطانى ممثلًا فى نفوذه وجيوشه، وقتال الذين يخاصمون الدعوة ويحاولون إعاقة سيرها، وإحياء فريضة الجهاد.

ويعلّق خالد على ذلك بقوله: الذى يعيننا ونحن نشجب هذا التنظيم السرى هو البند الثانى؛ قتال الذين يخاصمون الدعوة ويحاولون تعويق سيرها، فقد أسرف التنظيم فى هذا السبيل إسرافًا كان السبب الأوحد فى تدمير الإخوان من الداخل والخارج، وكان السبب الأوحد فى فقد الإخوان أثمن ما يملكون، حياة المرشد الذى ذهب فى معركة ثأر شرسة وضارية؟

وقد تسأل: كيف كان التنظيم الخاص هو السبب فى نهاية جماعة الإخوان؟

لن نجد إجابة شافية ووافية كتلك التى سجلها خالد محمد خالد، الذى يقول: لقد قضت جماعة الإخوان نحبها بأيدى تنظيمها، لأن القتل والتخريب والإفساد والترويع كلها موضع مقت الله ومقت رسوله، وكلها وباء يرفع الله يده عن ذويه وحامليه، فلا يبالى فى أى وادٍ هلكوا، وليس الشديد فى مجال الدعوة إلى الله بالصرعة، إنما الشديد لا ييأس من روح الله، ولا يقعده عن الدعوة عجز ولا وهن، وهو من يصبر على الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

ويضيف خالد: لقد شكّل الإخوان المسلمون تنظيمهم السرى ليدربوا شبابهم على الاستعداد للجهاد، وها هم المتطرفون يزعمون إحياء الفريضة الغائبة، واستباح النظام الخاص دم بعض قادته وزعمائه، وها هم المتطرفون يستبيحون دم بعضهم بعضًا، واعتمد النظام الخاص على العنف المستهتر فى تصفية حساباته ودعم دعوة جماعته، تمامًا كما يفعل المتطرفون، لا فى مصر وحدها بل فى كل البلاد العربية، وكان التنظيم السرى يختار منفذى مشيئته من الشباب الغرير مضحيًا بمستقبلهم، مثل أحد قاتلى الخازندار، الذى انتقل من دراسته الثانوية إلى الأشغال الشاقة المؤبدة.

كان ظهور الوجه القبيح لجماعة الإخوان عبر تنظيمها السرى هو الدافع إذن لأن يفضح خالد محمد خالد الجماعة كلها، ويقف مجاهدًا ضد ما تدعو إليه من تأسيس حكومة دينية، لكن المفارقة أن الجماعة لم تلتفت إلى الكتاب إلا بعد أن ثارت حوله ضجة هائلة.

تعرض الكتاب فى البداية إلى محاولة مصادرة، لكن تيسير الله لمؤلفه جعله ينجو من مقصلة الرقيب، جمع ما معه من مال وبمساعدة رفاق طريقه، وخرج به من المطبعة، لكنه لم يلق اهتمامًا يذكر من القراء، فلجأ خالد محمد خالد إلى حيلة لم يخفها، بل تحدث عنها بجرأته وشجاعته.

يقول: تذكرت أننى قرأت من قبل عن «برناردشو» أنه اكتوى بنفس الموقف، فكان يؤلف الكتب ويدبج المقالات، وينتظر رسالة واحدة تأتيه من قارئ واحد دون جدوى، ففكر وقدر، وراح يمطر الصحف بمقالاته حاملة توقيعه الحقيقى، ثم يتبعها بمقالات تدحض مقالاته الأولى حاملة توقيعًا زائفًا ليس لاسمه الحقيقى فيه مكان، وأخذ راحته فى هذه الطريقة، يسب ويشتم ويسخر من هذا الذى اسمه «برناردشو» الذى يتحدى تقاليد الأمة ونظمها وميراثها وحضارتها، وآتت الخطة أُكلها، وبدأ «شو» يستحوذ على قراء كثيرين ويتمركز فى دائرة اهتمامات القارئين والمواطنين.

قال خالد لنفسه: هذا عمل صالح، فلأجربه لأرى ماذا سيكون مصير الكتاب الذى لا يتحرك بين أيدى الباعة، ولا تقع عليه العين فى زحام الحياة.

يمكنك أن تستغرب الحكاية كلها، لكن هذا ما حدث.

يقول خالد: كان لى صديق يصر على أنه تلميذى، وكان فى السنة النهائية بكلية دار العلوم، وكان يتطوع بالمرور على باعة الصحف ويأتينى بأخبار التوزيع حتى أتعب نفسه وأتعبنى معه، فطلبت منه أن يدخر هذا الوقت الضائع لاستذكار دروسه ويكف عن إبلاغى بأى خبر عن توزيع الكتاب.

قلت له: هناك مثل إنجليزى تقول ترجمته «لا أخبار.. هذه إذن أحسن الأخبار».

ثم قلت له: أمامنا ما هو أهم.. اذهب إلى مسكنك وأكتب مقالًا فى نقد الكتاب، لا تترك كلمة وقحة إلا أقحمتها عليه.

كتب تلميذ خالد المقال، واتفقا على أن يكون عنوانه «كتاب أثيم لعالم ضال»، ونشرته جريدة «منبر الشرق» التى كان يرأس تحريرها وقتها على الغاياتى.

تنبه القراء إلى الكتاب، وتحركت لجنة الفتوى بالأزهر تطالب النيابة بمصادرة الكتاب والتحقيق مع مؤلفه، وهو ما حدث بالفعل، فقد تم التحقيق مع خالد بالفعل، ويمكننا أن نتوقف أمام نقطتين فى غاية الأهمية فى أوراق تحقيق النيابة.

الأولى خاصة باتهام خالد بأنه ضد الدين، واسمعه وهو يقول: الكثرة الكاثرة من مثقفى العالم، وليس مصر وحدها، يرون أن الدين ظاهرة اجتماعية، والظواهر تأتى وتروح، تظهر وتختفى، توجد وتزول، أى أن الدين مرشح للزوال، وجئت أنا فقلت فى أول سطر من فصل «الدين لا الكهانة» إن الدين ضرورة اجتماعية، والضرورات باقية ما بقيت الحياة، هذه تفرقة بين الضرورة والظاهرة لو وعتها لجنة الفتوى بالأزهر ما وسعها إلا تقريظ الكتاب والإشادة به ودعوة الناس إلى قراءته.

الثانية أن خالد محمد خالد رفض ما قاله له المحقق عندما أخبره بأن الأزهر يتهمه بإهانة العلماء حين أسماهم كهنة، فرد خالد: أرجوك لا تقل يتهمك الأزهر، فالذى يتهمنى نفر من موظفيه، هم أعضاء لجنة الفتوى، ثم لو صح الزعم بأننى أهنت العلماء، ولم يحدث هذا، وإن شاء الله لن يحدث أبدًا، إنما حدث أننى تحدثت عن الكهانة التى تزاحم الدين الخالص والحق، وتقوم بدور الأعشاب الضارة والنبات الطفيلى الذى يمتص الحياة من النبات الطيب الذى يهبه الحياة.

تفهم المحقق دوافع خالد محمد خالد فيما كتبه فى «من هنا نبدأ» لكنه فى النهاية أحاله إلى المحاكمة.

وهنا أثبت ما قاله فى مذكراته نصًا، يقول: بعد أيام تحددت جلسة المحاكمة، وكانت المحاكمة سرية، ولما سألت لماذا؟ قيل يومها إن الأمن علم أن بعض شباب الإخوان المسلمين سيحضرون الجلسة ويثيرون فيها شغبًا. أعتقد أن الإخوان المسلمين كرهوا كتاب «من هنا نبدأ» كما لم يكرهوا كتابًا مثله، ربما لأنه جاء من كاتب نزيه لا يمكن أن تطعن فى ولائه أو دوافعه، وربما لأنه كشف أمر تنظيمهم الخاص بعد سنوات، وكان فى ذلك شاهد عدل لا يمكن أن يطعن أحد فى شهادته، وربما لأنه أفسد على الجماعة فكرتها التى حاولت أن تصل إلى السلطة من خلالها.

ندوة علماء الأزهر الشريف تحذر:

حزب «المستقبل» خطر على أمن الأمة واستقرارها

فقد طالعتنا الصحف في يوم الخميس ١٤ مايو ١٩٩٢م بالعنوان المذكور أعلاه، ونص الخبر الذي نشرته جريدة الأهرام في صدر صفحتها الأولى كما يلي:

«عقدت ندوة العلماء - التي شكلها علماء الأزهر الشريف للرد على مزاعم العلمانيين ضد الإسلام - أن محاولة العلمانيين للحصول على موافقة لجنة الأحزاب على تشكيل حزب جديد لهم تحت اسم «حزب المستقبل» - يمثل خطرًا على أمن الأمة واستقرارها.

أكد علماء الأزهر أن أعضاء هذا الحزب العلماني أعداء لكل ماهو إسلامي - وطعنوا للعلن هو منع تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بدعوى تقول القانون الوضعي!!

أشار العلماء في بيانهم الى أن أعضاء هذا الحزب دأبوا على الهجوم على التاريخ الإسلامي والتطاول على بعض أصحاب الدين الكريم صلى الله عليه وسلم وعلى الرموز الإسلامية وعلماء الأمة - كما دأبوا على الهجوم على القيم الإسلامي واستهداء النظام وتحريفه على ضوء هذا التيار.

وأشار - التقرير - نشر نص بيان «ندوة العلماء» التي ضم ثلة من علماء الأزهر الشريف على أمن واستقرار هذا البلد وعلى رأسهم فضيلة الدكتور عبدالغفار عزيز عميد كلية الدعوة الأسبق ورئيس قسم الدعوة والثقافة بكلية أصول الدين بالقاهرة.

يقول البيان:

شاء بكل المقاييس - (كتاب الطائفية الى أين؟ ص ٣٠) !!

ثانيا: يقول بتطبيق القانون الوضعي على الشريعة الإسلامية - فهو يرفض من حيث المبدأ تأسيس الحكم على الشريعة الإسلامية - ويتجاوز الحد فيقول: - ان القوانين الوضعية تحقق المصلحة للمجتمع اكثر من الشريعة الإسلامية - ويقول: «ورأي ان القانون الوضعي يحقق صالح المجتمع في فترة زمنية معلنة اكثر مما تحققه الشريعة لو طبقت - ويقول من القانون شمال - انه يعطي لمجتمع المجتمع المتحضر بأكثر مما تكفل الشريعة» - (كتاب الحقيقة الغائبة ص ١٢٦) !!

مبادىء الحزب

وقد نشر مقالا في مجلة الفجر عدد الأحد ١٩٩٢/٥/١٠ وتحت عنوان «ملا حدث داخل المصري - بقلم أبو ويسكر عن حقول السعادة أعضاء الأحزاب التشريعية في مجلس الشعب لأنهم مقتنعا بتجريم سفور المرأة وتشجيع الجنس والمرأة بتركهن الحرجين - ويقول العنوان اصطلي بالطلب الحديد - المصري - مخيف - يدعم نسمل للهيئات والمنشآت لكي تكون في متناول السادة المشرعين في البرلمان الذين يحرصون على حماية الأخلاق والحفاظ فهو يريدها نظيفة - وطاهرة وباكية ويقول عن الذين يريدون حماية الأخلاق في المجتمع - ويدعي أن جرائم الاغتصاب لم تقلل الا في عصر الحجاب اما عصر البكرة حيث لم يكن هناك غيره من ذلك وكأنه يقول ان الحجاب وراء هذا السقوط الأخلاقي.

ثالثا: انه شديد العداوة لكل مامر اسلامي - ويطرح في عداوته لتواجد المشاعر الإسلامية وتقريرها في ساحة الأعلام والسياسة - ...

فقد ثمر في مقال (المنشأة ص ٢١ من ٣٠) ان المراسم الدينية تمثل اختراقا للعلمان وخطرا على سيطة الدولة - ويعلن الإذان في المقاهرين تراجعا الخلايا امام المد الديني - ويرى انه من الأخطاء الفاضحة التي وقع فيها المشرعين في المقاهرين اقوم الحفاظ مساحات كبيرة من ساحات الإرسال للبرامج الدينية - خاصة - الشيخ / الشعراوي في تفسيره واحاديثه - وقد سماها - متخمة - فالشيخ الشعراوي - وقد اقتدم بحظ ادارة التوجيه الديني بالقوات المسلحة لأنها اصبحت بالصبغة الدينية - والحجاب حيث انها سحبت أجيالا مثل - المجاهد - تنتشر بين القوات المسلحة - ويعلن ذلك خلالا واضحا له طرا على اساليب التوجيه المعنوي بالقوات المسلحة بعد هزيمة ١٩٦٧ - ويعلن الدكتور/ فرج فوده ان الدعوة الى الحجاب - الاختلاط في المؤسسات - ...

رابعا: هجوم الدكتور/ فرج فوده على التاريخ الإسلامي - وتطاوله على بعض أصحاب الدين الكريم صلى الله عليه وسلم وعلى الرموز الإسلامية وعلماء الأمة :-

فتجده في مقال (الحقيقة الغائبة ص ٦٠) - يتطاول على الصحابي الجليل معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه - ويقول في ان ما قرأته عنه - مقتنع به وما اعتقل منه - ... يتهمنا عنه - انه مبرأ من كل عيب - ويذهب الى ان معاوية - وقد أدرك بأن السلطة التي انتشلها من فتنة أو هي حرب أهلية - ما هي الا مرحلة انتقالية - وانه سيكون لها دور الأول !!

الهجوم على العلماء

ولم يكتف الدكتور بمهاجمة الصحابة الأجلاء - بل شجعه بكل السبل والطرق والسبل لتشويه الأزهر في كلمات يهدف الطعن من ورائها لا لشيء غير ان قضية الاندماج الصحيح بين الدين والدولة - يتطلب هذا الهجوم في جريدة الأهالي عدد ٢٣ مايو سنة ١٩٩٢م /

ومعلوم أيضا زيارة العلماء الذين تحفظوا على فكري وقتئذ شهادات الاستاذ وفق كلمة بعض العلمان عن فكره حتى معتقد - فهاجم الفقه .. يواجه علمي العلمانية الى ان عدد ٢٣ !!

خامسا: الهجوم على الأزهار الإسلامي واضعاده النظام والشريعة على شرب هذا التيار - ...

فهو يحتر القيادة السياسية من تزايد الدعوة للدولة الدينية - ويعتقدهم بان يقلبوا مجتمع عدد هذا التيار - ويحذر اعضاء البرلمان ومستشاروه القانوني للمحكمين داخل البرلمان والدكتور/ فرج فوده بالتحديد في سياسة التدريجي عن الإسلاميين يقصد بهم الأزهار في مصر وبالتحديد هنا المعتقد - وتقول يوم ان شخصي بقضية تطبيق الشريعة بالكلية حتى لاتختلف مناهج التشريع في مصر - وباستخدام كلمة - وهي وجهل قدم في مصر من المشرعين ومن المشاورين مدى خطورة أثير تطبيق الإسلام داخل المجتمع - وقد أصبح الأزهار المرجعي مدى الشرعية - وخاصة - فرضا هو فصل الدين عن الدولة

علمائي حتى الشغاع الأخلاقي

وهنا يؤسف له ان وقبل المؤسسين لهذا الحزب والمنتمين معه في الحزب المقترح هذا الاتجاه الذي يقوم على الدعوة الى التخلص من هذا الدين وعزله تماما عن حركة المجتمع ...

فقد ثمر في مقال (المنشأة ص ٢١ من ٣٠) ان المراسم الدينية تمثل اختراقا للعلمان وخطرا على سيطة الدولة - ويعلن الإذان في المقاهرين تراجعا الخلايا امام المد الديني - ويرى انه من الأخطاء الفاضحة التي وقع فيها المشرعين في المقاهرين اقوم الحفاظ مساحات كبيرة من ساحات الإرسال للبرامج الدينية - خاصة - الشيخ / الشعراوي في تفسيره واحاديثه - وقد سماها - متخمة - فالشيخ الشعراوي - وقد اقتدم بحظ ادارة التوجيه الديني بالقوات المسلحة لأنها اصبحت بالصبغة الدينية - والحجاب حيث انها سحبت أجيالا مثل - المجاهد - تنتشر بين القوات المسلحة - ويعلن ذلك خلالا واضحا له طرا على اساليب التوجيه المعنوي بالقوات المسلحة بعد هزيمة ١٩٦٧ - ويعلن الدكتور/ فرج فوده ان الدعوة الى الحجاب - الاختلاط في المؤسسات - ...

خامسا: الهجوم على الأزهار الإسلامي واضعاده النظام والشريعة على شرب هذا التيار - ...

فهو يحتر القيادة السياسية من تزايد الدعوة للدولة الدينية - ويعتقدهم بان يقلبوا مجتمع عدد هذا التيار - ويحذر اعضاء البرلمان ومستشاروه القانوني للمحكمين داخل البرلمان والدكتور/ فرج فوده بالتحديد في سياسة التدريجي عن الإسلاميين يقصد بهم الأزهار في مصر وبالتحديد هنا المعتقد - وتقول يوم ان شخصي بقضية تطبيق الشريعة بالكلية حتى لاتختلف مناهج التشريع في مصر - وباستخدام كلمة - وهي وجهل قدم في مصر من المشرعين ومن المشاورين مدى خطورة أثير تطبيق الإسلام داخل المجتمع - وقد أصبح الأزهار المرجعي مدى الشرعية - وخاصة - فرضا هو فصل الدين عن الدولة

علمائي حتى الشغاع الأخلاقي

وهنا يؤسف له ان وقبل المؤسسين لهذا الحزب والمنتمين معه في الحزب المقترح هذا الاتجاه الذي يقوم على الدعوة الى التخلص من هذا الدين وعزله تماما عن حركة المجتمع

شهادة بقرن غزال

كيف ذبح محمد الغزالى فرج فودة فى قبره؟

من بين الجرائم الظلامية الكثيرة التى ارتكبتها جريدة «النور» لاحظ المفارقة - أنها كانت صاحبة الرصاصة قبل الأخيرة التى اغتالت المفكر الكبير فرج فودة.

كانت جريدة «النور» التى صدرت فى العام 1982 بترخيص مؤجر من حزب «الأحرار»، وترأس تحريرها فى إصدارها الأول الحمزة دعبس تصنف نفسها على أنها جريدة إسلامية، قد شنت هجومًا منفلتًا على فرج فودة، واتهمته بأنه يعرض أفلامًا إباحية ويدير حفلات للجنس الجماعى فى جمعية «تضامن المرأة العربية».. وهو ما دعا فودة إلى مقاضاة الجريدة واتهامها بالقذف فى حقه.. فقد جاءت بالكذب الكامل عليه دون أن تقدم دليلًا ولو عابرًا على ما تقوله.

قبل خمسة أيام فقط - 3 يونيو - 1992 من اغتياله، نشرت جريدة «النور» تقريرًا عنوانه: ندوة علماء الأزهر الشريف تحذر: حزب المستقبل خطر على أمن الأمة واستقرارها.

كانت الجريدة بما فعلته تستخدم الأزهر فى تكفير فرج فودة، مستغلة البيان الذى صدر عما يسمى بـ«ندوة علماء الأزهر» بعد أن تقدم بأوراق حزبه «المستقبل» إلى لجنة شئون الأحزاب، وقدمت له بقولها: أكدت «ندوة العلماء» التى شكلها علماء الأزهر الشريف للرد على مزاعم العلمانيين ضد الإسلام، أن محاولة العلمانيين للحصول على موافقة لجنة الأحزاب على تشكيل حزب جديد لهم تحت اسم «المستقبل» يمثل خطرًا على أمن الأمة واستقرارها.

بعد ذلك بدأ التصعيد الذى يصل بفرج فودة إلى درجة الكافر الكامل وعدو الإسلام المكتمل.

محمد الباز

الغزالى يستمع لابنه وهو يعزف على البيانو

شهادة بقرن غزال

فرج فودة ومحمود مرسى

فرج فودة قرر تأسيس حزب المستقبل بعد أن رأى حزبه القديم «الوفد» يتحالف مع جماعة الإخوان

الغزالى

ندوة لعدد من علماء الأزهر حكمت بكفر فرج فودة وعدائه لكل ما هو إسلامى قبل تعرضه للاغتيال بـ٥ أيام فقط

تقول الجريدة: أكد علماء الأزهر أن أعضاء هذا الحزب العلمانى أعداء لكل ما هو إسلامى، وهدفهم المعلن هو منع تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بدعوى تفوق القانون الوضعى، وأشاروا إلى أن أعضاء هذا الحزب دأبوا على الهجوم على التاريخ الإسلامى والتطاول على بعض أصحاب النبى الكريم صلى الله عليه وسلم وعلماء الأمة، كما دأبوا على الهجوم على التيار الإسلامى واستعداء النظام وتحريضه على ضرب هذا التيار.

لم يكن الخلاف بسبب الغيرة على الإسلام إذن، كانت الجريدة التى تعبر عن التيارات الإسلامية وبتمويل مباشر منها ترد الهجوم الذى يشنه فرج فودة عليهم باتهامه بأنه يهاجم الإسلام ذاته، رغم أن الفارق بين الإسلام والجماعات الإسلامية كان كبيرًا ولا يزال.

نشرت الجريدة بعد ذلك بيان ندوة العلماء كاملًا، وهو البيان الذى أحل دم فرج فودة، وألقى به فى عرض الطريق لقمة سائغة لمن يريد أن يتقرب إلى الله بقتله.

وقد يكون من المفيد أن أقدم لكم نص البيان كاملًا، فهو الوثيقة القاتلة التى لا بد أن نتذكرها ولا ننساها أبدًا لنعرف حجم الجرم الذى ارتكب فى حق مفكر حر.

يقول البيان:

طالعتنا الصحف فى يوم الخميس ١٤ مايو ١٩٩٢ بإعلان المدعى العام الاشتراكى بناء على اخطار من سيادتكم بإشهار حزب جديد يدعى «حزب المستقبل» ويحتوى هذا الإشهار على قائمة بأسماء السادة المؤسسين لهذا الحزب، والتى ضمت مائة وأربعة وستين اسمًا.

وقد تفضلتم مشكورين ببيان أن من لديه اعتراض على أى من الأسماء المذكورة أن يتقدم إليكم باعتراضه مؤيدًا بما لديه من مستندات خلال شهر من تاريخ هذا الإعلان، وقد نظرنا فى أسماء المؤسسين لهذا الحزب، فوجدنا بها عددًا كبيرًا من العلمانيين ومن غيرهم من أصحاب الأفكار الشاذة، وقد جعل الدكتور فرج فودة وكيل المؤسسين لهذا الحزب، ما يترك انطباعًا للوهلة الأولى أن اتجاهه سيكون علمانيًا صرفًا.

والعلمانية كما هو معروف مصطلح يعنى الفصل بين الدين والحياة، فهى تساوى كلمة اللا دينية، وقد جاء فى دائرة المعارف البريطانية عن العلمانية أنها حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها، فهى- أى العلمانية- اتجاه يقوم على تنظيم كل شئون الحياة وفق معايير بشرية بحتة دون النظر أو الرجوع إلى الدين فى شىء، وقد قرر مجمع اللغة العربية أن العلمانية كمصطلح يضبط بفتح العين إلى العالم أو الأرض، والمعنى المراد منه فى معظم بلاد أوروبا الغربية، خاصة فرنسا هو فصل الدين عن الدولة.

ومما يؤسف له أن وكيل المؤسسين لهذا الحزب والكثيرين معه فى هذا الحزب المقترح، يتبنون هذا الاتجاه الذى يقوم على الدعوة إلى التخلص من هذا الدين وعزله مطلقًا عن حركة المجتمع.

فالدكتور فرج فودة علمانى حتى النخاع، وقد خلع عليه بعض الصحفيين لقب «العلمانى المقاتل»، حيث أوقف جهاده وفكره وحياته كلها على منع تطبيق الشريعة الإسلامية، أو إقامة الدولة الإسلامية فى أى صورة من الصور، وبأى وسيلة من الوسائل، وهو يعلن ذلك فى كتبه وفى لقاءاته الفكرية بلا مواربة أو خداع.

وها هى الدلائل الواضحة على اتجاه وكل المؤسسين لهذا الحزب:

أولًا: الرفض المطلق لتطبيق الشريعة الإسلامية.. فقد سئل فى حوار أجرى معه حول موقفه من قضية تطبيق الشريعة، فأجاب: ببساطة أنا ضد تطبيق الشريعة فورًا أو حتى خطوة خطوة، لأننى أرى أن تطبيق الشريعة لا يحمل فى مضمونه إلا مدخلًا لدولة دينية «كتاب حوارات حول العلمانية ص١١».

ويقول أيضًا: إن الدعوة لإقامة دولة دينية فى مصر تمثل ردة حضارية شاملة بكل المقاييس «كتاب الطائفية إلى أين؟ ص٢٠».

ثانيًا: يقول بتفوق القانون الوضعى على الشريعة الإسلامية.. فهو يرفض من حيث المبدأ التحاكم للشريعة الإسلامية ويتجاوز الحد فيقول: إن القوانين الوضعية تحقق المصلحة للمجتمع أكثر من الشريعة الإسلامية، ويقول: ورأيى أن القانون الوضعى يحقق صالح المجتمع فى قضايا الزنا مثلًا أكثر مما ستحققه الشريعة لو طبقت، ويقول على القانون الحالى: إنه يعكس احتياج المجتمع المعاصر بأقدر مما تفعل الشريعة «كتاب الحقيقة الغائبة ص١٢».

وقد كتب مقالًا فى مجلة أكتوبر عدد الأحد ١٩٩٢/٥/١٠ تحت عنوان «ماذا حدث للعقل المصرى؟» يتهكم فيه ويسخر من عقول السادة أعضاء اللجنة التشريعية فى مجلس الشعب؛ لأنهم طالبوا بتجريم سفور المرأة والشذوذ الجنسى والزنا بتراضى الطرفين، ويقول: العنوان أصابنى باكتئاب شديد، ويهزأ بعقول المشرعين فى مصر لحماية الفضيلة والأخلاق، فيطالب وزير الصحة متهكمًا بدعم أسعار المهدئات والمسكنات لكى تكون فى متناول السادة المشرعين فى البرلمان، الذين يحرصون على حماية الأخلاق والعفاف، فهو يريدها تبرجًا وسفورًا وإباحية، ويهزأ من الذين يريدون حماية الأخلاق فى المجتمع، ويدعى أن جرائم الاغتصاب لم تظهر إلا فى عصر الحجاب، أما عصر الميكروجيب فلم يكن هناك شىء من ذلك، وكأنه يغمز إلى أن الحجاب وراء هذا السقوط الأخلاقى.

ثالثًا: إنه شديد العداوة لكل ما هو إسلامى ويفرط فى عداوته لتواجد الشعائر الإسلامية وظهورها فى ساحة الإعلام والسياسة، فقد ذكر فى كتاب «الطائفية إلى أين؟ ص٣١- ٣٢» أن البرامج الدينية تمثل اختراقًا للإعلام وخطرًا على مدنية الدولة، ويعتبر الأذان فى التليفزيون تراجعًا إعلاميًا أمام المد الدينى، ويرى أنه من الأخطاء الفادحة التى وقع فيها المشرفون على التليفزيون أنهم أعطوا مساحات كبيرة من ساعات الإرسال للبرامج الدينية، خاصة الشيخ الشعراوى فى تفسيره وأحاديثه، وقد سماها متهكمًا ظاهرة الشيخ الشعراوى.

ويعتبر الدكتور فرج فودة أن الدعوة إلى الحجاب، والدعوة إلى منع الاختلاط فى المؤسسات التعليمية بين الذكور والإناث، والدعوة إلى إطلاق اللحية وإلى استعمال السواك وإحياء السنن يعتبر سيادته تلك الأشياء أمراضًا يجب استئصالها من المجتمع المصرى.

رابعًا: هجوم الدكتور فرج فودة على التاريخ الإسلامى وتطاوله على بعض أصحاب النبى الكريم صلى الله عليه وسلم وعلى الرموز الإسلامية وعلماء الأمة، فتجده فى كتاب «الطائفية إلى أين؟» يتطاول على الصحابى الجليل عبدالله بن عباس ويتهمه بسرقة بيت المال، ويقول: هل الاستيلاء على أموال المسلمين بالباطل حلال على مسلم لكونه عاصر الرسول أو الخلفاء أو الصحابة، حرام علينا لأننا جئنا فى عصر من العصور وزمان غير الزمان.

ثم يقول: أتذكر أن أحد أعضاء تنظيم الجهاد كان يكحل عينيه، وعندما سئل قال تأسيًا بابن عباس، ولعله لو قرأ ما قرأناه عنه ما تأسى به وما اكتحل مثله، يا سبحان الله، ما أفسد جرأتك أيها الدكتور على بن عباس حبر الأمة وفقيهها، وهل الروايات الساقطة التى التقطتها من هنا أو هناك تجعلك تحكم هذا الحكم، ما هكذا يا سعد تورد الإبل.

ولم يكتف الدكتور بمهاجمة الصحابة الأجلاء، بل تجده يكيل السباب والطعن والسب لشيخ الأزهر فى كلمات يعف اللسان عن ذكرها لا لشىء غير أن فضيلة الإمام تصدى لزمرة المارقين دعاة الفصل بين الدين والدولة، ينظر هذا الهجوم فى جريدة الأهالى عدد ٢٣ مارس ١٩٨٨.

خامسًا: الهجوم على التيار الإسلامى واستعداء النظام وتحريضه على ضرب هذا التيار، فهو حذر القيادة السياسية من تزايد الدعوة للدولة الدينية، ويطالبهم بأن يقفوا بحسم ضد هذا التيار، ويحذر أعضاء البرلمان ويستنفرهم للتصدى للإسلاميين داخل البرلمان.

والدكتور فرج فى أسلوبه التحريضى على الإسلاميين يلعب دائمًا بورقة الأقباط فى مصر، وينصب نفسه حاميًا لحماهم، ويقول: يجب أن نضحى بقضية تطبيق الشريعة بالكلية حتى لا نخدش مشاعر النصارى فى مصر، يا سبحان الله وهل يجهل أحد فى مصر من المسلمين ومن النصارى مدى العناية التى كفلها الاسلام لأهل الكتاب، وقد أصبح المبدأ الشرعى «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» يحفظه كل إنسان على أرض مصر، وهل يجد الأقباط تحقيقًا للسلام والأمان فى بقعة من بقاع الأرض أكثر من أرض مصر وبين إخوانهم المسلمين هنا؟

ثم أين موقف سيادة الدكتور من الصهيونية فى فلسطين التى سلبت الحقوق واغتصبت الأرض، لم لا نرى له كلمة واحدة يطالب فيها بحق مغتصب، أو يهاجم فيها معتديًا مثل هجومه على تطبيق الشريعة أو العودة بالمجتمع إلى الإطار الإسلامى الصحيح؟، ما يجعلنا نتشكك كثيرًا فى انتمائه السياسى والوطنى، ويجعلنا نضع علامات استفهام كثيرة حول اتجاهه الفكرى وانتمائه الحقيقى.

سادسًا: إذا كان ما قدمناه عن وكيل المؤسسين لحزب المستقبل يثير العجب والدهشة لدى كل قارئ، فإن هناك ما هو أشد عجبًا وهو اشتراك الدكتور أحمد صبحى منصور رقم ٦ فى قائمة المؤسسين لهذا الحزب، وقد يعلم البعض من هو المدعو أحمد صبحى منصور، فهو الذى يحمل فكرًا شاذًا عن بيئتنا وثقافتنا الإسلامية الصحيحة، إنه صاحب الاعتقاد بعدم ختم النبوة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد ذهب إلى أمريكا واعتنق أفكار المدعو رشاد خليفة الذى ادعى النبوة بولاية أريزونا فى أمريكا فى مسجد توسان، وهو صاحب الاعتقاد بإنكار السنة النبوية، وغير ذلك من الأفكار الشاذة، ما جعل مجلس جامعة الأزهر يتخذ قرارًا بفصله من الجامعة، مما هو معلوم أن قرارات محكمة النقض المصرية اعتبرت أن ادعاء النبوة بعد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم أو التصديق بها قولًا أو عملًا إحدى الجرائم الأساسية التى تهدد أمن المجتمع وسلامته.

فإننا نرى أن الاتجاه الفكرى العام لهذا الحزب ولجل الممثلين له لهو أشد خطرًا على أمن الأمة وسلامتها، لأنه يعادى الأمة فى حسها الدينى، ويتعارض مع ميول الأمة وتطلعها إلى العودة إلى الاسلام دستورًا وشريعة، والموافقة على إنشاء حزب يحمل هذا الاتجاه يؤدى إلى رد فعل غاضب لدى كثير من جماهير المسلمين، الذين يتطلعون إلى إشهار حزب إسلامى فلم يسمح لهم بحجة أن الدولة كلها وبكل مؤسساتها تعمل فى ظل الإسلام.

هذا باختصار بيان لبعض الاتجاهات الفكرية التى يحملها دعاة ومؤسسو حزب المستقبل، ومن أراد المزيد فعليه بقراءة كتب الدكتور فرج فودة، التى منها «قبل السقوط، الحقيقة الغائبة، حوار حول العلمانية، الملعوب، الإرهاب، النذير، الطائفية إلى أين؟»، وغير ذلك، هذا عدا مقالاته وندواته التى يذيع فيها أفكاره واتجاهاته، وإذا كان الاعتراض على أشخاص المؤسسين لهذا الحزب قد يقصد به ما ثبت ضدهم من أحكام جنائية أو انتماءات مخالفة للشريعة والدستور من عمالة لتنظيم هدام، أو الانضمام إلى هيئة خارجية تحرض على تخريب المجتمع وتهديد أمنه وسلامته أو غير ذلك.

وإنه باسم «ندوة علماء الأزهر» نناشد السيد رئيس الجمهورية ونناشد السيد رئيس لجنة شئون الأحزاب السياسية، وكذلك المدعى العام الاشتراكى وكل مسئول فى هذا المجتمع الذى نحرص جميعًا على أمنه وسلامته، نناشدكم جميعًا عدم السماح لقيام هذا الحزب حتى لا نزيد النار اشتعالًا، وإننا نعترض على اسمين من هذه الأسماء، وهما الدكتور فرج فودة والدكتور أحمد صبحى منصور لما قدمناه عنهما من انتماءاتهما الفكرية واتجاههما غير السوى، ونعترض على اتجاه الحزب عمومًا لأنه سيؤدى إلى بلبلة الأمة وتقويض دعائم الأمن والاستقرار فيها، وصدق الله العظيم فى قوله الكريم «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» ألا هل بلغنا اللهم فاشهد.

لو أخضعنا هذا البيان للعقل، سنجد أنه كان جنونًا كاملًا، فهو ليس بيانًا بل دعوة للقتل، تداخل فيها الكذب بالتدليس، والإفك باختلاق الوقائع وبتر الأقوال من سياقها، فقد كان الهدف واضحًا وهو إزاحة فرج فودة من طريق التيارات الإسلامية التى أصبح خطرًا عليها.

لم يكن أمر حزب «المستقبل» الذى قرر فرج فودة تأسيسه بعد أن رأى حزبه القديم- الوفد- يتحالف مع الإخوان، يهم هذه التيارات، ولكن كان فرج نفسه هو المهم، وكانت المهمة هى إسكاته إلى الأبد، وأعتقد أن المناظرة الشهيرة التى كان طرفها فى مواجهة مأمون الهضيبى ومحمد الغزالى ومحمد عمارة فى معرض الكتاب فى بدايات العام ١٩٩٢ كانت الإشارة التى فرضت ضرورة التخلص منه.

فى هذه المناظرة كان الفنان الكبير محمود مرسى حاضرًا ليناصر صديقه، وبعد أن استطاع فرج أن يرد بثبات ويفحم معارضيه- لو قلنا أعداءه فلن نكون مبالغين- نظر مرسى إلى وجوه الحاضرين، رصد ما فيها من غضب وحقد وكراهية وعصبية، فنظر إلى من حوله من أنصار فرج، وقال لهم: الراجل ده هيتقتل.

هل نقول إن هذه كانت نبوءة؟

كانت كذلك بالفعل.. ولم يكن بيان ندوة علماء الأزهر إلا التوجيه الأخير لتصفية فرج فودة.

فى ٨ يونيو ١٩٩٢ بفتوى من عمر عبدالرحمن وتحريض من ندوة علماء الأزهر وتخطيط من صفوت عبدالغنى، أطلق اثنان من أعضاء الجماعة الإسلامية هما أشرف سعيد إبراهيم وعبدالشافى أحمد رمضان النار على فرج فودة أمام الجمعية المصرية للتنوير بشارع أسماء فهمى بمصر الجديدة.

لم تجد النيابة عناء فى الحصول على اعتراف المتهمين، فقد كانا يفخران بتنفيذ عملية القتل البشعة، بدأت المحكمة فى نظر القضية، واستمرت خلال ٣٤ جلسة تستمع من النيابة والشهود والدفاع، ومن بين هذه الجلسات أتوقف بكم عند الجلسة التى حضرها الشيخ محمد الغزالى ليدلى بشهادته.

وقبل أن تسألنى لماذا الشيخ محمد الغزالى بالتحديد وهناك ٣٠ شاهدًا غيره وقفوا أمام المحكمة، وأدانوا الضحية وتعاموا عن القتلة، سأقول لك إن لدىّ فى ذلك سببين.

الأول: إن الشيخ محمد الغزالى تطوع لتقديم شهادته، ولم يكن صحيحًا- كما قال- أن هيئة الدفاع عن المتهمين هى من طلبته، فقد ذهب إلى المحكمة عامدًا متعمدًا؛ ليدين فرج فودة وينقذ من قتلوه.

الثانى: إن هناك من يرى فى الشيخ محمد الغزالى رجلًا يناصر حرية الرأى والاعتقاد، وإنه ليس من بين من يحكمون على الناس بالكفر، وإن شهادته أمام المحكمة فى قضية فرج فودة فهمت على الوجه الخطأ، وإنها أبدًا لا تعبّر عن الشيخ ولا عن توجهاته.

كل ما سأفعله أننى سأنقل لك نص أقوال الشيخ الغزالى فى المحكمة، وأقف من بين ردود الأفعال الكثيرة عليها عند حوار صحفى ممتد، بدأه الكاتب الكبير صلاح منتصر فى زاويته «مجرد رأى» على صفحات الأهرام، حيث رد الشيخ الغزالى وتداخل فيه وقتها مفتى الديار المصرية الدكتور محمد سيد طنطاوى، وبعدها يمكن أن تحكم أنت على الشيخ الغزالى، أو على الأقل تعرف أين يقف الشيخ.

لاحظ فقط وأنت تقرأ أن هذه الشهادة كانت قبل أربع سنوات فقط من رحيل الشيخ الغزالى- توفى فى ٩ مارس ١٩٩٦- فقد ودع حياته بظلم برىء،

محمد عمارة

مناظرة فرج فودة مع مأمون الهضيبى ومحمد الغزالى ومحمد عمارة كانت الإشارة التى فرضت ضرورة التخلص من المفكر الكبير

قاتل فرج فودة

جريدة «النور» الإسلامية نشرت بيانًا أحل دم فرج فودة وألقى به لقمة سائغة لمن يريد أن يتقرب إلى الله بقتله

شهادة بقرن غزال

فرج فودة ومأمون الهضيبى

أعتقد أنه سيحاججه بما فعله أمام الله.

بعد اغتيال فرج فودة بـ١٤ يومًا فقط، وفى ٢٢ يونيو ١٩٩٣، وفى تمام العاشرة صباحًا تم إحضار المتهمين وأدخلوا قفص الاتهام وسط هتافات مدوية مرددين: إسلامية... إسلامية... شرع الله عز وجل... الإسلام هو الحل.

كما أنشدوا بعض الأناشيد الإسلامية.

وجلس المتهمون؛ لتبدأ إجراءات الجلسة فى العاشرة والنصف، حيث أشار رئيس محكمة أمن الدولة العليا طوارئ إلى الحاجب لكى ينادى على الشاهد.

ووسط صمت وترقب دخل الشيخ محمد الغزالى.

– رئيس المحكمة: اسمك وسنك ووظيفتك؟

– محمد الغزالى أحمد السقا- ٧٦ عامًا- وعضو مجمع البحوث الإسلامية.

– ما معلوماتك عن الحادث؟

– لا توجد لدى أية معلومات، وقد حضرت بناء على طلب الدفاع.

أشار رئيس المحكمة إلى هيئة الدفاع؛ لكى توجه أسئلتها إلى الشاهد، وبدأ عبدالحليم مندور، المحامى ورئيس الهيئة فى توجيه أسئلته للشيخ الغزالى.

–هل الإسلام دين ودولة وما معنى هذه المقولة؟

– الإسلام عقيدة وشريعة وعبادات ومعاملات وإيمان ونظام ودين ودولة، ومعنى هذه المقولة ذكرته الآية الكريمة فى قول الله عز وجل «ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شىء»، والآية «أفغير الله أبتغى حكمًا وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلًا»، والإسلام دين شامل، ومنذ أن بدأت دعوته من ١٥ قرنًا وهو دين ودولة، لم تنفصل فيه السلطة الزمنية عن المعانى الروحية، وقد جاءت النصوص متشابهة فى أركان شتى، مثل قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام» وقوله «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص»، وقوله «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القتال وهو كره لكم»، وفى الإسلام عبادة شخصية كالصيام، وعبادة جنائية كالقصاص، وعبادة دولية كالجهاد، فالعبادة واحدة وإن اختلفت اتجاهاتها، كما أن أطول آية فى القرآن هى آية الدين وهو دين اقتصادى، وبالإحصاء والاستقراء نجد أن الإسلام دين للفرد وللمجتمع والدولة، وأنه ما ترك شيئًا إلا وتحدث فيه ما دام هذا الشىء يتصل بنظام الحياة وشئون الناس.

– هل تطبيق الشريعة الإسلامية واجب؟

– الإجابة من القرآن فى قوله تعالى «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا»، وقوله «أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون».

– ما حكم من يجاهر برفض تطبيق الشريعة استهزاء؟

– لقد كانت الشريعة الإسلامية تحكم العالم العربى والإسلامى كله حتى دخل الاستعمار العالمى الصليبى- وكرهه للإسلام واضح- فألغى أنواع القصاص وأحكام الشريعة الإسلامية وأنواع التعازير والحدود، وحكم الناس بالهوى فيما يشاءون، وقد صحب الاستعمار العسكرى استعمار ثقافى، ومهمة الاستعمار الثقافى هى جعل الناس يطمئنون إلى ضياع تشريعاتهم وتعطيل أحكام الله دون أن يتبرموا، فالله تعالى يقول «الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة»، وأشعر بغصة؛ لأن الآية مشطوبة فى المجتمع، فالقانون يقول إذا اتفق شخصان بإرادة حرة على مواقعة هذه الجريمة، فإنه فى هذه الحالة لا تعتبر جريمة وتسمى عشقًا أو حبًا، وبذلك فإن نص الشريعة قد عطل وأزهقت روحها، وكيف يقبل المسلم هذا الكلام أو يستريح لهذا الوضع؟

وبالتالى كيف يستهزأ بى إذا قلت يجب تطبيق الشريعة، وهناك أناس كثيرون يريدون تطبيق الشريعة ويجادلون فى صلاحيتها، ويثبتون حكم الإعدام الذى أصدرته الحكومات الأجنبية والاستعمار العالمى على هذه الشريعة التى شرفنا الله بها، ويستهزئون بنا عندما نقول: لابد أن يحكم شرع الله، والاعتراض على تطبيق الشريعة والاستهزاء به كفر.

صلاح منتصر

> الغزالى: وجدت فرج فودة يكره الإسلام ونظامه وينكر صلاحية أحكامه للبقاء أى أنه يؤيد حكم الإعدام الذى أصدره الاستعمار على شريعتنا

موقع مقتل فرج فودة

– ما حكم من يجاهر برفض تطبيق الشريعة كفرًا أو استهزاء؟

– إنه ليس بمؤمن مصداقًا لقوله تعالى «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون»، وفى آية ثانية «الظالمون» وفى ثالثة «الفاسقون».

– ما حكم من يدعو إلى استبدال حكم الله بشريعة وضعية تحل الحرام وتحرم الحلال؟

– يقول الله تعالى «أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير»، إنه ليس بمؤمن يقينًا، ويقول الله تعالى فى أمثال هؤلاء «ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم منوا بما أنزل الله وما أنزل من قبلك ويريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به».

– هل يعتبر هذا العمل كفرًا يخرج صاحبه من الملة؟

– لقد رفض الحكم بما أنزل الله جهرًا واستهزاءً، وهو بلا شك يخرج عن الملة.

– ما حكم المسلم أو مدعى الإسلام إذا أتى جهرًا واستهزاء، إذا أتى هذا الفعل الكفرى وقد علم بما فيه ومراميه؟

– أنا أدحض الشبهات وأقدم الأدلة التى تؤيدنى فى قولى وأبين الحق، هذه هى مهمتى كداعية، وليس تلمس العيوب؛ لأننى لا أفرح بإيداع أقدام الناس فى الشباك، وإنما أنا طبيب أعالج المرضى وأريد إنقاذهم من الجراثيم التى تكاد تفتك بهم، فإذا كان الإنسان عنيدًا ويرفض كل ما أقوله ويأبى إلا بتكذيب الله ورسوله فلا أستطيع أن أقول إنه مؤمن.

– هل يجوز أن ينطق الإنسان بالشهادتين وفى نفس الوقت يجهر برفض تطبيق الشريعة ويدعو إلى استبدال شرع الله بشرائع الطواغيت من البشر؟

– إن الله عز وجل يقول فى هذا الصنف من الناس «ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين»، بل إن بعض الناس كان يحلف أنه مؤمن، ولكن جبنه وتقاعسه عن الدفاع عن الإسلام نفى الدين عنه، إن الإيمان باتفاق العلماء قول وعقيدة وعمل، إن ديننا اسمه الإسلام أى الخضوع لله.

– هل من يأتى هذه الأعمال يعتبر مفارقًا الجماعة ومرتدًا عن الإسلام؟

– نعم يعتبر مرتدًا عن الإسلام.

– ما حكم هذا المرتد شرعًا؟

– أن يستتاب، وإن لم يرجع يقتل، وهذا هو الحكم العام بإجماع كثير من الفقهاء، وأما أنا فأرى أنه يجوز للحاكم إيداعه فى سجن مؤبد، كما لو أن مرتدًا هرب فلا يجرى البحث عنه ويبرأ المجتمع منه؛ لأن فى بقائه خطرًا على الأمة.

– من الذى يملك إقامة الحد على المرتد الذى يجب قتله؟

– المفروض أن جهاز القضاء هو الذى يقوم بهذه المهمة، وتطبيق الحدود والتعازير والأخذ بالقصاص هى أمور من اختصاصه وليس لآحاد الناس، حتى لا تتحول الأمور إلى فوضى.

– ماذا لو كان القانون لا يعاقب على الردة والقضاء لا ينفذ حكمها؟

– يكون القانون معيبًا وتكون هناك فوضى فى المجتمع.

– هل يبقى الحد على أصله من وجوب إقامته؟

– حكم الله لا يلغيه أحد، والحد واجب الإيقاع.

– ماذا لو فعله فرد من آحاد الناس؟

– يعتبر مفتئتًا على السلطة، وأدى ما لا ينبغى أن تقوم به السلطة.

– هل يعتبر مفتئتًا على السلطة إذا كانت لا تطبق هذا الحكم؟

– نعم يعتبر مفتئتًا.

– هل هناك عقوبة للافتئات على السلطة؟

– لا أذكر أية عقوبة فى الإسلام.

وعقب إدلاء الشيخ الغزالى بشهادته، سأل رئيس المحكمة أعضاء نيابة أمن الدولة إذا كانوا يريدون توجيه أسئلة للشاهد فأجابوا بالنفى.

بعد ما يقرب من أسبوعين وفى ١٨ يوليو ١٩٩٣ بدأ الكاتب الكبير صلاح منتصر حوارًا مفتوحًا حول هذه الشهادة، وكانت الخطوة الأولى فى هذا الحوار مقالًا كتبه بعنوان «أسئلة إلى الغزالى»، جاء فيه:

فضيلة الشيخ محمد الغزالى له منا كل احترام وتقدير، بالإضافة إلى ما نعرفه عن علمه وجهده الكبير للقيام بدور الداعية الذى يتمنى قوة المسلمين وخروجهم من مرحلة الضعف والهوان التى يمرون بها اليوم.

ولقد كان لفضيلة الشيخ الغزالى شهادة أمام المحكمة التى يمثل أمامها المتهمون باغتيال الدكتور فرج فودة، وحسنًا تم نشر هذه الشهادة بالنص حتى نعرف على وجه الدقة ما قاله فضيلة الشيخ، وإن كان أحد الزملاء «الأستاذ فهمى هويدى أهرام ٦ يوليو قد وجد أن حديث الشيخ أمام المحكمة يحتاج إلى إيضاح للعامة، فكتب يحاول هذا الشرح تحت عنوان «حاشية على شهادة الغزالى»، لكن يبدو أن الحاشية فى حاجة إلى حاشية، وليس فى الدين من حرج كما تعلمنا، كما أن الدين كدستور للحياة لابد أن يصل إلى الناس ببساطة، حتى وإن كان معقدًا فى بعض التفاصيل، لكن مهمة الداعية أن يسهل لا يصعب، وهو ما يجعلنى أرجو فضيلة الشيخ الغزالى بعد أن قرأت شهادته، وبعد أن قرأت الحاشية التابعة لشهادته أن يجيب عن هذه الأسئلة التى أتصور أن ملايين مثلى قد سألوها وينتظرون من فضيلة الشيخ إجابة عنها.

إن أسئلتى يا فضيلة الشيخ هى:

أولًا: أى الدرجات أعلى فى المعصية: الكافر أم المرتد؟

ثانيًا: متى يكون الفرد كافرًا ومتى يكون مرتدًا؟

ثالثًا: من الذى يملك تكفير فرد، ومن الذى يملك الحكم عليه بالردة؟

رابعًا: هل يحتاج الأمر السابق إلى فقهاء ودعاة دارسين وبطريقة علنية وواضحة، أم يستطيعه أى فرد أو جماعة وبطريقة سرية ومغلقة؟

خامسًا: هناك من الدارسين من يشكك فى حد الردة ويقول إن حد الردة ليس موجودًا صراحة فى القرآن الكريم، فهل هذا صحيح؟

سادسًا: هل يتعارض ما ورد فى القرآن الكريم عن حرية العقيدة واعتبار الحكم على إسلام الفرد من اختصاص الحق سبحانه وتعالى، مع القول بحق أى فرد أو جماعة فى تكفير فرد أو الحكم بأنه مرتد؟

وفى ٢٠ يوليو أرسل الشيخ الغزالى إجاباته عن أسئلة منتصر، ونشرها تحت عنوان «رد من الغزالى»، جاء فيه:

أبدأ أولًا وأشكر فضيلة الشيخ محمد الغزالى على سرعة استجابته بالرد على ما وجهته إلى فضيلته من أسئلة، وقد أرسلها لى مكتوبة بخط اليد مع مقدمة يأمل نشرها كاملة دون تلخيص، فإنى قمت عنكم بمهمة الإيجاز وأحسب أن أى نقص فى العبارة يفسد الرد وهذا ما لا يرضيكم، وهأنذا أنشر نص الرد كاملًا:

أولًا: أى الدرجتين أعلى فى المعصية: الكافر أو المرتد؟

الجواب: الكافر أقل سوءًا من المرتد، فإننى قد أشترك فى عمل تجارى مثلًا مع كافر بالإسلام يهوديًا كان أو نصرانيًا، وقد أتزوج يهودية أو نصرانية وفى كلتا الحالتين يجب على البر بهما وبذل الود لهما، أما المرتد فهو كخائن الوطن منبوذ ومكروه، وقد استعمر الأوروبيون أرضنا ومحوا شرائعنا وشعائرنا، فمن انضم إليهم فى حربنا وسخر من ديننا وتراثنا فقد انضم إليهم فى عداوتهم... فكيف نصادقه؟

ثانيًا: متى يكون الفرد كافرًا ومتى يكون مرتدًا؟

الجواب: الكافر امرؤ خالى البال من تعاليم الإسلام، لعلها لم تبلغه أو بلغته ولم يقتنع بها، ولا سبيل لنا عليه إلا إذا اعتدى علينا، أما المرتد فهو رجل كان منا وعرف ما نحن عليه، ثم رأى لمأرب خاص أن ينضم إلى خصومنا، وأن يؤيدهم بما يستطيع، أى أنه خائن غادر، أما إذا كانت لديه شبهة عقلية فلابد من إزالة شبهته ومحو ما يتعلق به من أوهام، ولو ظل سنين على قيد الحياة.

ثالثًا: من الذى يملك تكفير فرد أو الحكم عليه؟

الجواب: أهل الذكر وحدهم- أعنى الراسخين فى العلم- فإن اتهام فرد بالكفر جريمة والإسلام دين مضبوط التعاليم، فمن استباح الخمر مثلًا وسخر من حرمتها، أو من ترك الصلاة جاحدًا واستهزأ بشريعتها فليس بمسلم، بل هو ناقض للمجتمع، ومنكر للوحى، وخارج على الأمة، وسلطة الاتهام بالكفر محددة وليس كلأً مباحًا لأى إنسان.

رابعًا: هل يحتاج الأمر السابق إلى فقهاء ودعاة دارسين وبطريقة علنية واضحة أم يستطيعه أى فرد أو جماعة وبطريقة سرية مغلقة؟

الجواب: قلنا إن الفقهاء الثقات وحدهم مصدر الفتوى، ورأيهم يكون واضحًا ومعلنًا، إلا إذا كان الإسلام مضطهدًا وحرية العمل به مصادرة، إن جو الحرية الرحب هو الذى يستطاع الأخذ والرد فيه، ولن تكون الحرية لطرف واحد بداهة، بل تضمن الحرية لجميع الأطراف يقولون ما لديهم فى أمان.

فى ختام مقاله قال منتصر: بقيت أربعة أسئلة أخرى سبق أن وجهتها إلى فضيلة الشيخ، أكمل بإذن الله غدًا رده عليها، وفى اليوم التالى مباشرة ٢١ يوليو نشر منتصر «بقية رد الغزالى»، وجاء فيه:

فى عمود، أمس، نشرت النص الكامل لما تضمنته رسالة فضيلة الشيخ محمد الغزالى ردًا على أربعة أسئلة سبق أن وجهتها إليه، وفيما يلى إجاباته على الأسئلة الأخرى أنشرها بالنص دون انتقاص حرف واحد حتى علامات التعجب، فهى كما وردت فى رسالة فضيلته:

خامسًا: هناك بعض الدارسين الذين يشككون فى حد الردة ويقولون إنه ليس موجودًا صراحة فى القرآن الكريم، فهل هذا صحيح؟

الجواب: نعم لم يرد فى القرآن الكريم قتل المرتد، وإنما وردت بذلك السنن الصحاح، وعندى أن جريمة الردة متفاوتة السوء والخطر، وقد تستحق القتل، إذا ساوت ما نسميه الآن الخيانة العظمى، أو ما نسميه الخروج المسلح على الدولة، وقد تكون شبهة عارضة يكتفى فيها بالتوبة النصوح، وأمام القضاء تعرف الحقيقة ويتحدد العقاب العدل ويوزن خطأ كل فرد.

سادسًا: هل يتعارض ما ورد فى القرآن الكريم واعتبار الحكم على إسلام الفرد من اختصاص الحق سبحانه وتعالى، مع القول بحق أى فرد أو جماعة فى تكفير فرد أو الحكم بأنه مرتد؟

الجواب: إن قلوب الناس توكل إلى الله يبقين، ولكن لمسالكهم حدودًا وضوابط من وضع الله ذاته وإلا سرت الفوضى بين الناس، فمن يدعو إلى ترك العلاقات الجنسية حرة، ويمارى فى جريمة الزنا وعقوبتها لا يمكن اعتباره مسلمًا لأنه مخاصم لحكم الله وخارج عليه، ولذلك قال فى ضرورة الطاعة التامة «فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين»، فما العمل إذا لم يتب ويقم الصلاة ويؤت الزكاة؟ حكم الله واضح.

وقد اشتركت فى مناظرة مع فرج فودة لأنى كنت طامعًا- إذا شرحت له الحق وبسطت أدلته- أن أعود بالرجل إلى الإيمان، ولكنى وجدته يكره الإسلام ونظامه، وينكر صلاحية أحكامه للبقاء، أى أنه يؤيد حكم الإعدام الذى أصدره الاستعمار على شريعتنا وينحاز إلى أعدائنا بصراحة.

هذا وقد أصدر نفر من علماء الأزهر كتابًا تضمن ما نسب إلى فرج فودة من خروج على الإسلام واستهزاء بتعاليمه، ويستطيع الأستاذ صلاح منتصر أن يقرأ هذا الكتاب، ذلك وأقول أخيرًا إننى رجل من الدعاة إلى الله، لا أتمنى إلا الحرية لى ولخصومى على السواء، وأكره العدوان والمشاكسة، ولكنى أشكو من أن دينى يجار عليه وينتقص منه ويحرم أهله ما يسمى فى عصرنا بحقوق الإنسان، وأن المنتمين إلى هذا الدين فى طور سيئ من تاريخه، وتكاد تذهب كراماتهم الخاصة والعامة فى مهب الرياح.

> بعد مناظرة فرج فودة والهضيبى والغزالى ومحمد عمارة قال محمود مرسى «الراجل ده هيتقتل»

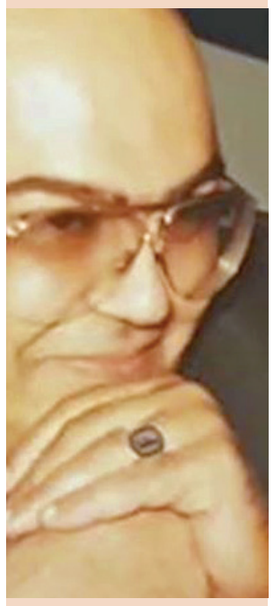

> أصدر نفر من علماء الأزهر كتابًا تضمن ما نسب إلى فرج فودة من خروج على الإسلام واستهزاء بتعاليمه

محمد الغزالى شهد أمام المحكمة بأن فرج فودة يعتبر مفارقًا للجماعة ومرتدًا عن الإسلام وحكمه أن يستتاب وإن لم يرجع يقتل

شهادة بقرن غزال

جنازة فرج فودة

لم يعلق صلاح منتصر على رد الشيخ الغزالى، اكتفى بأن يقول فى ختام مقاله: ثم يبقى سؤال أظن من حقنا على فضيلة الشيخ أن يجيب عنه وهو: ماذا إذا قتل إنسان إنسانًا آخر بحجة أنه كفر أو ارتد، ما عقوبته؟ هل يقتل قصاصًا أم تعزيرًا أم نقول كما فهم البعض من شهادتكم أمام المحكمة بأنه لا عقوبة عليه؟

فى ٢٦ يوليو ١٩٩٢ عاد صلاح منتصر مرة أخرى إلى القضية، ونشر مقالًا عنوانه «الافتئات على السلطة»، قال فيه:

عبارة الافتئات على السلطة من العبارات التى ذكرها فضيلة الشيخ محمد الغزالى فى شهادته أمام المحكمة التى تحاكم المتهمين باغتيال فرج فودة، وقد أثارت تعليقات كثيرة لأنه ذكر أن حكم الله بالنسبة للمرتد لا يلغيه أحد، وأن الحد واجب إقامته فإذا أوقعه فرد من آحاد الناس يعتبر مفتئتًا على السلطة، وأدى ما ينبغى أن تقوم به السلطة، وليس هناك عقوبة يذكرها فى الإسلام للافتئات على السلطة.

وفى رده على سؤال ماذا إذا قتل إنسان آخر بحجة أنه كفر أو ارتد قال: ليس للجمهور إقامة الحدود، أو إيقاع العقوبات من قصاص وتعزير فذلك للقضاء، ومن فعل شيئًا من ذلك افتأت على السلطة، وهنا يقوم القضاء بتعزيره، وإذا كان الجديد ينسخ القديم، فالواضح أن فضيلة الشيخ الغزالى لم يشر فى رده المكتوب إلى أن الافتئات على السلطة ليس عليه عقوبة فى الإسلام.

وحتى يكون الحوار موضوعيًا وقانونيًا فلا بد أن نسأل أولًا: ما المقصود بالسلطة، ومن السلطة التى فتأت عليها فرد أو مجموعة من الناس إذا قتل أو قتلت شخصًا بحجة أنه ارتد؟

إن السلطة فى معناها القانونى هى الجهة صاحبة الحق، وفى قضية التكفير أو الردة، فإن هناك ثلاث سلطات خاصة بها، سلطة اتهام وأصحابها كما ذكر فضيلة الشيخ الغزالى أهل الذكر والفقهاء الثقات وحدهم، وسلطة المحاكمة وجهتها كما قال الشيخ الغزالى القضاء، ثم سلطة تنفيذ العقوبة التى يصدرها القضاء والمختص بتنفيذها الدولة.

فإذا قيل إن فردًا أو مجموعة قامت بقتل إنسان بحجة تكفيره أو اعتباره مرتدًا، وقيل بعد ذلك إن هذا الفرد أو هذه الجماعة افتأتت على السلطة، فأى سلطة افتأتت عليها؟ هل افتأتت على سلطة الاتهام أم على سلطة القضاء أم على سلطة الدولة فى تنفيذ العقوبة؟

المفهوم الضيق هو تصور أنه افتئات على سلطة الدولة، وهذا مفهوم يمثل قمة الخطأ، لأنه لم يكن هناك أصلًا اتهام وجهته سلطة مختصة، وقضاء انعقدت أمامه المحاكمة، وعقوبة صدرت بعد ذلك حتى يقال إن الدولة أهملت أو تراخت فى تنفيذها لأن حد الله لا يلغيه أحد.

نعم حد الله لا يلغيه أحد، لكن كل حد له شروط على سلطته، وقبل تنفيذ عقوبة الحد يجب التأكد أولًا من وجود هذه الشروط، ولهذا إذا كان صحيحًا القول بأن الإسلام لم يتضمن عقوبة على الافتئات على سلطة الدولة، فالصحيح عقلًا ومنطقًا أن هذا الافتئات الذى لا عقوبة عليه إنما هو سلطة الدولة إذا أهملت فى تنفيذ عقوبة حكم بها على شخص لخروجه على حد الله.

هنا يمكن القول إن الاسلام لم يتضمن عقوبة، لكن أمام واقعة لم ينعقد فيها اتهام أو محاكمة أو صدور عقوبة فلا أظن أن أحدًا يستطيع القول إننا ما زلنا فى إطار الافتئات على السلطة التى لا عقوبة عليها فى الاسلام.

وجد مفتى الجمهورية وقتها الدكتور محمد سيد طنطاوى نفسه أمام حوار هادئ وراق، فقرر أن يشارك فيه، فأرسل بتعليق إلى صلاح منتصر، نشره فى ٢٧ يوليو بعنوان «رسالة من المفتى»، وجاء فيه:

من فضيلة المفتى الدكتور محمد سيد طنطاوى، تلقيت الرسالة التالية: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قرأت بعناية الأسئلة التى وجهتموها إلى فضيلة أستاذنا الشيخ محمد الغزالى بمناسبة شهادته أمام المحكمة التى يمثل أمامها المتهمون باغتيال الدكتور فرج فودة، كما قرأت بعناية إجابة فضيلته عن أسئلتكم، وإن تعليقى على ذلك يتلخص فى الآتى:

أولًا: أؤيد فضيلته فى أن المرتد الذى يحارب الإسلام كذبًا وزورًا أشد سوءًا من الكافر الذى لا يتعرض لعقيدتى ولا أتعرض لعقيدته، ولا أجادله ولا يجادلنى إلا بالتى هى أحسن، لأن العقائد لا تباع ولا تشترى، والمرتد بإصراره ومجاهرته بالسخرية بأحكام الإسلام دون دليل أو برهان هو أشد الناس عداوة للإسلام والمسلمين.

ثانيًا: أؤيد فضيلته فى أن الكافر إنسان لم يسبق له الدخول فى الإسلام، ولا سبيل لنا عليه إلا إذا اعتدى علينا، ولا نستطيع إكراهه على الدخول فى الإسلام لأنه لا إكراه فى الدين، أما المرتد فهو إنسان كان مسلمًا، ثم خرج عن الإسلام وأساء إليه وإلى أهله عن سوء نية، وسخر من أحكامه وآدابه وتشريعاته دون دليل أو برهان، والذى يملك الحكم على إنسان ما بأنه مرتد، هم الفقهاء المشهود لهم بالرسوخ فى العلم، بعد مناقشته وسماع شهادته، وبعد التأكد من إصراره على نبذ ما ثبت من الدين بالضرورة كإنكاره للفرائض واستباحته لما حرمه الله تعالى كالزنا وشرب الخمر واستخفافه بالآداب الإسلامية.

ثالثًا: أؤيد فضيلته فى أن جريمة الردة متفاوتة السوء والخطر، وأسوأ وأخطر أصناف المرتدين هم أولئك الذين يجاهرون بذلك، ويلصقون التهم الباطلة عن عمد وإصرار بأحكام الإسلام، والقضاء العادل هو الذى ينزل العقوبة الرادعة بكل إنسان على حسب حجم جريمته، وقد تصل هذه العقوبة إلى القتل.

رابعًا: أؤيد فضيلته فى أن القضاء وحده هو الذى يبت فى مصير المرتد وفق شريعة الله تعالى، وأنه ليس للجمهور إقامة الحدود أو إيقاع العقوبات من قصاص أو تعزير، فذلك للقضاء وحده، لأننا لو فتحنا هذا الباب لعامة الناس لعمت الفوضى ولقتل فلان فلانًا بتهمة أنه مرتد، وإذا حدث أن اعتدى شخص على آخر بحجة أن هذا الآخر مرتد، وجبت محاكمة هذا المعتدى أمام القضاء لينزل به العقوبة التى يراها مناسبة.

وعد مفتى الديار فى نهاية تعليقه بجهد بحثى أكبر فى هذه المسألة، قال: وعما قريب بإذن الله سأكتب بحثًا مفصلًا حول هذا الموضوع، ومن الله تعالى وحده نستمد العون والتوفيق.

بعد نشر عدد من الردود نشر صلاح منتصر يوم ٣ أغسطس ١٩٩٢ تعليقًا، قدمه له صلاح منتصر بقوله:

الأحاديث النبوية أنواع أشهرها الأحاديث المتواترة والآحادية والحسنة والضعيفة.

والأحاديث المتواترة هى التى سمعها عن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام جمعٌ من الناس ونقلوها إلى جمع أكبر، وهؤلاء قاموا بنقلها إلى جمع أكبر وهكذا، وهذه الأحاديث المتواترة محدودة ومعدودة، وصحتها جميعًا مؤكدة، أما أحاديث الآحاد فهى التى نقلها عن الرسول واحد أو اثنان، ثم رواها واحد إلى آخر وهكذا، فإذا كان هؤلاء الرواة من الثقاة المشهود لهم بالأمانة والصدق اعتبرت الأحاديث صحيحة، وتتغير درجة الأحاديث من الحسنة إلى الضعيفة حسب الرواة.

وتعقيبًا على ما قيل حول حد الردة، تلقيت الرد التالى من فضيلة الشيخ محمد الغزالى أنشره بعلامات التعجب التى وردت فيه.

إن القول بأن حد الردة لم يجئ إلا عن طريق أحاديث الآحاد قول فيه مجازفة وبُعد عن الصواب، كيف وقد تواتر تاريخيا أن المسلمين جميعًا قاتلوا وراء أبى بكر، رضى الله عنه، المرتدين ومانعى الزكاة؟ وقد ظلت الحرب قرابة سنتين، أين مكان حديث الآحاد فى هذا الإجماع؟ والذى نراه أن جريمة الردة لها مراتب، أو تطلق على أنواع متفاوتة من النكوص على الأعقاب:

أولًا: فهناك من يكفر فى نفسه أو فى بيته، وهذا لن نشق عن صدره ولا نقتحم له بيتًا، وليبق على حاله حتى يموت، فإذا ترك دار الإسلام إلى أرض أخرى فلن نسعى إلى استعادته ولا رده الله.

ثانيًا: وهناك من يفارق الجماعة بإعلان حرب على النص، فيعالن «يجاهر» بترك الصلاة ومنع الزكاة وإباحة الخمر والزنا وتعطيل الشرائع.

ولما كان الإسلام عقيدة وشريعة، فإن نقض المعاملات والعبادات سواء فى الخروج منه ومخاصمته، وهذا هو الذى يقدم للمحاكمة ويستتاب، فإن بقى على مروقه قتل والا ترك.

ثالثًا: وقد استطاع الاستعمار تجنيد أفراد يعملون معه على ضرب الإسلام وهدم أوامره ونواهيه، وبلغ هؤلاء حدًا هائلًا فى النكاية بالدين والنيل من تعاليمه المقررة، إنها ردة جديدة تشبه ما وقع أيام أبى بكر، والسكوت عليها إيذان بالإتيان على الإسلام من القواعد، ولذلك قررنا التصدى لها حتى تنتهى.

فى ٤ أغسطس ١٩٩٢ ختم صلاح منتصر هذا الحوار الذى طال بمقاله «أختلف مع الشيخ»، وجاء فيه:

ليسمح لى فضيلة الشيخ محمد الغزالى وقد أمضينا نحو أسبوعين فى مناقشة هادئة وموضوعية لقضية أثارتها أقواله– ولا أقول شهادته- أمام المحكمة أن أختلف معه فى بعض الآراء والأحكام دون أن يفسد هذا الخلاف ما بيننا من ود وتقدير.

أما الرأى فهو الخاص بإشارته إلى المرتد وقول فضيلته أما المرتد فهو رجل كان منا وعرف ما نحن عليه ثم رأى لمأرب خاص أن ينضم إلى خصومنا وأن يؤيدهم بما يستطيع، وعبارة «كان منا وعرف ما نحن عليه» توحى بأن المسلمين مجموعة خاصة لهم طقوس سرية لا يعرفها غيرهم، أو أن هناك أحوالًا أو نقاطًا معينة نخفيها عن خصومنا ولا نكشفها لهم، وقد خاننا أحد المسلمين، وعرف بها وانضم إلى هؤلاء الخصوم وحاربنا بما عرف عنا من نقاط ضعف كانوا يجهلونها.

وقد لا يكون هذا هو المعنى الذى قصده فضيلة الشيخ الغزالى، والأغلب أنه أراد أن يبسط فهم جريمة المرتد ويقربها من خيانة الوطن، إلا أن الكلمات التى استخدمها فضيلته أوصلتنا إلى معنى آخر لا يتفق أبدًا مع الواقع.

فلسنا نحن- المسلمين- جمعية خاصة لها طقوس سرية ولا فينا من نقاط الضعف ما نحاول أن نخفيه، ولا بيننا من يدبر المؤامرات التى فى حاجة إلى أن يفشى بها من كان منا وعرف ما نحن عليه، فأركان العبادة فى الإسلام لا تجرى سرًا بل لعل أبرز ما فيها العلانية، الصلاة فى المساجد وفى الميادين، والحج شعائره ينقلها التليفزيون على الهواء، والصيام أمره معروف للكل، وخطباء المساجد تنقل الميكروفونات خطبهم أيام الجُمع والمناسبات، فلا سر نخفيه ولا نقاط ضعف نخشاها من الإسلام، ولو كانت هناك هذه النقاط لكانت فى المسلمين وليس فى الإسلام.

أما الحكم الذى أختلف فيه مع فضيلة الشيخ فهو حكمه على فرج فودة، وقد ذكر فيما كتبه لى ونشرته هنا «لقد اشتركت مع فرج فودة فى مناظرة لأنى كنت طامعًا إذا شرحت له الحق وبسطت أدلته أن أعود بالرجل إلى الإيمان ولكنى وجدته يكره الإسلام ونظامه وينكر صلاحية أحكامه للبقاء، أى أنه يؤيد حكم الإعدام الذى أصدره الاستعمار على شريعتنا وينحاز إلى أعدائنا بصراحة»، والكلمات كما هو واضح بالغة القسوة من رجل فاضل نُكن له كل التقدير والاحترام، وقد يكون هذا هو رأى الشيخ فى رجل أصبح فى رحاب ربه الذى ليس بعد عدله عدل، ولكن هل هذا هو رأى الشرع؟

إن حكم الشيخ جاء محددًا عندما ذكر أنه ذهب لمناظرة معه لأنه كان طامعًا أن يعود بالرجل إلى الإيمان، ولكنى وجدته يكره الإسلام ونظامه وينكر صلاحية أحكامه للبقاء، وهذا يعنى أن فرج فودة فى هذه المناظرة قال ما يعكس كراهيته للإسلام وأنكر صلاحية أحكامه للبقاء، فماذا قال؟

عاد منتصر مرة أخرى إلى خلافه مع الشيخ الغزالى فى اليوم التالى مباشرة ٥ أغسطس ١٩٩٢، ليجيب على سؤاله: ماذا قال؟ بمقال كان عنوانه «هذه هى أقواله»، جاء فيه:

لفضيلة الشيخ الغزالى عبارات رائعة جميلة منها قوله «إذا كان الحوار الهادئ الواعى واجبًا مع غير المسلمين فهو مع المسلمين أوجب»، وأيضًا قوله «اذكر رأيك وأيده بالدليل الذى تملكه وانتظر بعدئذ أن أتجاوب معك، فإذا لم يكن لديك دليل مقنع فلا سبيل لك على».

ودليلى يا فضيلة الشيخ فى خلافى معكم بالنسبة لحكمكم على فرج فودة هو ما قاله فى المناظرة التى اشتركت فيها والتى ذكرت بعدها أنه تأكد لك فيها أنه يكره الإسلام ونظامه وينكر صلاحية أحكامه للبقاء.

محمد سيد طنطاوى

وما جرى فى هذه المناظرة يا فضيلة الشيخ مسجل وموثق بالصوت والصورة، وأنا هنا أنقل على لسانه ما قاله قرب ختام المناظرة وكان نصه ما يلى: هناك شىء سمعته وأرجو أن تكون أذنى أخطأته، ففى بداية حديث الأستاذ الجليل الدكتور محمد عمارة قال إن بديل الدولة الدينية دولة لا دينية وهو ما يعنى رفضه الدولة المدنية، سيادة المستشار الجليل الأستاذ مأمون الهضيبى قال بعد ذلك إنه يقبل الدولة المدنية على أن يحكم فيها بشرع الله، والله كدت أن أقوم لأقبله فهذا ما نريد، ثم يبقى شىء وهو مسائل الحدود ومسائل الشريعة وهذه لنا فيها رأى ومن خلال جوهر الإسلام، ولذا أنا قلت إن الحوار هو الحل، فأرجو أن تتاح فرص للحوار لأن الكلمة أقوى من السيف دائمًا.

ليس للجمهور إقامة الحدود أو إيقاع العقوبات من قصاص وتعزير فذلك للقضاء ومن فعل شيئًا من ذلك افتأت على السلطة

ويضيف فودة: القرآن بدأ باقرأ وسنظل نتحاور حتى نوقف نزيف الدم ونصل إلى كلمة سواء، وأنا أؤكد لكم أن ما يقال ليس خلافًا بين أنصار الإسلام وأعداء الإسلام، وإنما هو خلاف رؤى، رؤى لا تتناقض مع الإسلام، لكن الفريق الذى أنتمى إليه لم يردد أبدًا أن الإسلام هو دين العنف، أبدًا الإسلام دين القول بالتى هى أحسن، ولذلك نحن ندين الإرهاب لأنه قول وفعل بالتى هى أسوأ، الإسلام عندما يفهم ويجتهد فيه تختلف الصورة، إن التاريخ نقل إلينا فى عصر العباسيين حوار أبى حنيفة مع ملحد، ونقل إلينا كتابات الملحدين داخل الدولة الإسلامية عنما كانت فى قمة حضارتها، لم يرتفع الإسلام بالسيف، كان الحديث بالحروف وليس بالكلاشينكوف، أدعو الله للجميع أن يهتدوا بهدى الإسلام، وهو دين الرحمة وأن يهديهم الله لأن يضعوا الإسلام فى مكانه العزيز بعيدًا عن الاختلاف وعن الفرقة وعن الإرهاب وعن الدم وعن المطامح وعن المطامع.

هذا بعض ما قاله فرج فودة فى المناظرة، فهل يفهم أحد من كلامه أنه يكره الإسلام، وينكر صلاحية أحكامه للبقاء؟ وربما كان لفضيلة الشيخ الغزالى أو غيره رأيهم الشخصى فى نوايا الرجل، ولكن هل نحن نحاكم نواياه أم أقواله وأفعاله؟ إن دليلنا عليه أقواله، أما نواياه فحسابه عنها أمام خالقه وحده، وليس فينا على وجه الأرض من يستطيع أن يقول إنه شق صدره.

ظل الشيخ الغزالى متمسكًا برأيه فى فرج فودة حتى وفاته، لم يتراجع ولم يصحح موقفه، وأجدنى مشفقًا عليه، فقد أوقعه الله فى فخ محامى قتلة المفكر الكبير، جرجروه فى المحكمة ليقول ما يشاءون، ولما فتح الله بابًا للتوبة بأسئلة صلاح منتصر، التى كان يمكنه استغلالها ليتوب إلى الله اعتصم بذاته وتمحور حول نفسه، ورفض أن يتنازل.. وهو ما يجعلنى أتمسك برأيى فى الشيخ الغزالى، فلم يكن الرجل وجهًا واحدًا، ولكن كانت له وجوه كثيرة، وللأسف الشديد كان يرتدى لكل مجتمع الوجه المناسب له، وتلك كانت مصيبته.. أو فلنقل إنها كانت مصيبتنا معه.

محاكمة القتلة

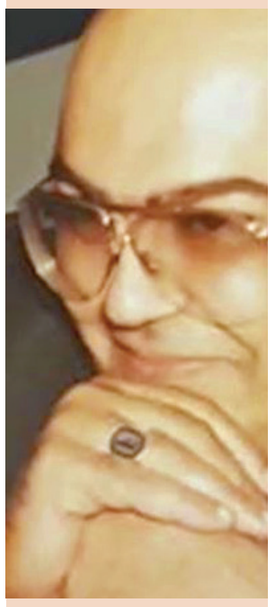

الغزالى: لقد اشتركت مع فرج فودة فى مناظرة لأنى كنت طامعًا إذا شرحت له الحق وبسطت أدلته أن أعود بالرجل إلى الإيمان

د. محمد سيد طنطاوى: المرتد الذى يحارب الإسلام كذبًا وزورًا أشد سوءًا من الكافر الذى لا يتعرض لعقيدتى ولا أتعرض لعقيدته

لدى مكتبتى الإلكترونية الخاصة، والتى أعتبر أن أثمن محتوياتها هو مجمل الأعمال الفنية المصرية فى عقود طويلة بين أفلام سينمائية وأغانٍ متنوعة وبعض حفلات الشيخ ياسين التهامى. شاهدتُ بعض الأفلام عشرات المرات، ولا أملّ من تكرار مشاهدتها، ولدىّ يقين بأن كنوز الدراما المصرية بشقيها السينمائى والمسلسلات التليفزيونية من أنشط وأنجح مفردات قوة مصر الناعمة خاصة فى عقود القرن الماضى. ورغم عشقى لهذه الأعمال المصرية العظيمة، لكننى كنتُ أشاهدها كل عدة سنوات بمنظورٍ مختلف ورؤية جديدة. وهنا فأنا لا أتطرق إطلاقًا إلى فنيات السينما وأدواتها المختلفة التى يجيد الحديث عنها أهل الصنعة من مبدعين ونقاد. لكن حديثى- كمشاهد مصرى عايش فترات تاريخية وأحداثًا ناقشتْها تلك الأعمال- إنما يتطرق فقط لما قدمته هذه الأعمال من قيم سياسية واجتماعية، ومدى تأثيرها على العقل المصرى الجمعى، وأخيرًا مدى نجاحها فى التصدى لبعض ما واجهته البلاد المصرية من مآزق فى فترات تاريخية مختلفة.

أحمد الصغير

تهافت السينما المصرية

أحمد زكى

نادية الجندى

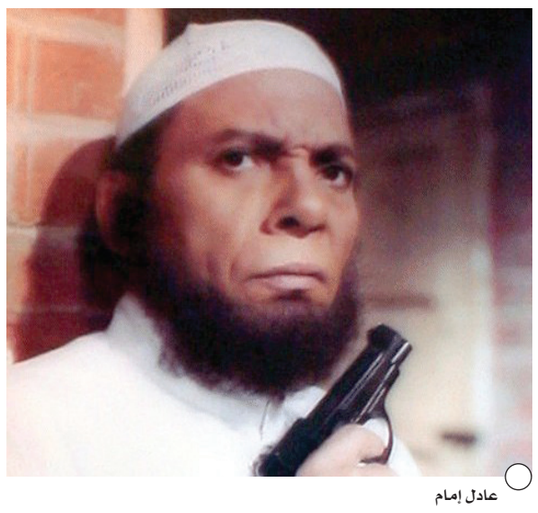
عادل إمام

عبدالمنعم مدبولى

1 دراويش الفكر الاشتراكى يسيطرون على سينما الثمانينيات والتسعينيات

أبدأ بسينما الثمانينيات والتسعينيات التى اكتظت بكوكبة من المبدعين من ذوى التأثير، وتميزت بثراء الإنتاج وتميزه، حتى إن كثيرًا من تلك الأفلام غدت أيقونات فنية وعلامات فارقة فى تاريخ السينما المصرية. وأول ما توقفتُ عنده هو التوجه السياسى الذى تبنته هذه الأعمال، والتى أرى أنها لم تكن قادرة على استيعاب التحول السياسى الذى كانت مصر على أعتابه بعد نصر أكتوبر وتوقيع اتفاقية السلام. فقد كانت مصر فى حاجة إلى توجه سياسى جديد يدعو إلى أن تلتقط مصر أنفاسها وتشرع فى بناء دولة عصرية حديثة تتبنى توجهات سياسية رأسمالية تستطيع من خلاله استثمار مواردها بشكل يسمح باستيعاب مواطنيها. على النقيض من ذلك فقد تبنت السينما المصرية توجهًا معاديًا لهذا التوجه الجديد، وقامت بشيطنة أى تغيير يتصادم مع إرث الستينيات وأفكار الاشتراكية. فنجد فيضًا من الأعمال الفنية المميزة لنجوم كبار، لكنها اتفقت بشكل عام على تقديم رجال الأعمال وأصحاب الأموال دائمًا فى صورة فاسدة غير وطنية، وتحولت بعض هذه الأعمال إلى بكائيات على حقبة الاشتراكية!

أعتقد أن المشكلة كانت تكمن دائمًا فى أفكار وأيديولوجيات المؤلفين الذين كانوا يسيطرون على الساحة الفنية. لقد دفعت مصر عقليًا ثمن سيطرة «دراويش» الفكر الاشتراكى على الإبداع السينمائى!

فلو راجعنا قائمة أهم وأشهر هذه الأفلام سنفاجأ بأننا أمام حالة غريبة متناقضة تمامًا مع ما كانت تحتاجه مصر سياسيًا ومجتمعيًا.. لم تقم السينما بدورها المفترض بأن تصبح قاطرة التغيير أو عقل التفكير!

مجتمعيًا.. خلقت السينما المصرية حالة عقلية جمعية مفادها أن الدولة ظالمة فاسدة تبيع كل شىء. وقدمت شخصية البطل فى صورة منحرف، لكنها تقدم مبررات لانحرافه أو أحيانًا لإجرامه! حدث هذا فى سنوات حكم مبارك الأولى، والتى نعلم جميعًا أنها كانت سنوات نشطة زخرت بالبناء ومحاولة التغيير الاقتصادى، وكانت معه كوكبة مهمة من أصحاب الأسماء الذين لا يختلف على وطنيتهم وكفاءتهم أحد، فمثلًا «منتصر» بطل فيلم الهروب الشهير كان مزورًا بعد إنهاء فترة تجنيده، ولم يكن موقفه من شريكه «مدحت» إلا انحيازًا لأقاربه وليس صحوة ضمير، ثم ينجرف لارتكاب جملة من الجرائم!

وبطل فيلم «ضد الحكومة» محام فاسد، لكن الفيلم يصر على تقديم مبررات له لكى نَتخدنق معه! أفلام عادل إمام فى نفس الفترة كانت تكرر نفس الفكرة، لكن بشكل أكثر فظاظة، فالبطل يكون منحرفًا بشكل صريح، لكن صناع أى فيلم أيضًا يصرون على منحه دفاعًا مجانيًا!

ما قدمته السينما المصرية بشكل عام خلال هذين العقدين من قيم سياسية واجتماعية يتمثل فى أن كل رجال الأعمال لصوص وفاسدون، وأن الساسة فاسدون! وأن أى مواطن كسول لا يتمتع بأية مواهب أو قدرات أو مؤهلات علمية عملية حقيقية تؤهله للترقى المجتمعى، أن هذا المواطن يمكنه أن يكون هو البطل والنموذج، وهو المظلوم مجتمعيًا وسياسيًا، وهو الذى يمكنه أن يجد من يبرر له تحوله فى أى لحظة إلى مجرم حقيقى!

كانت خطورة هذه الأفكار تكمن فى الشعبية الجارفة التى تمتع بها نجوم الصف الأول من الممثلين، وعدم وجود أية منافسة حقيقية يمكنها أن تقدم قيمًا مختلفة.. حيث تم إنتاج هذه الأعمال فى سنوات ما قبل وجود قنوات تليفزيونية فضائية.. لقد تشبع المصريون بهذه الأفكار لدرجة أنها بقيت مصاحبة للأجيال المعاصرة لها حتى الآن!

على الوجه الآخر فقد غابت أو فشلت السينما المصرية فى نفس هذه العقود فى القيام بدورها الحقيقى فى خوض أهم معركتين كانت الدولة المصرية تخوضهما. الأولى هى معركة الانفجار السكانى. يمكن القول بغياب أو انسحاب السينما من هذه المعركة، باستثناء عمل واحد مهم هو «أفواه وأرانب».. رغم أن نهاية الفيلم جاءت متفقة مع الهوى المصرى العام، نهاية سعيدة، لكنها كانت تكريسًا لنفس اتجاه التواكل والكسل والتنطع!

أما المعركة الثانية والأخطر، فهى معركة التطرف الدينى والإرهاب المسلح. وفى هذه المعركة توفرت النوايا الطيبة، وكانت هناك مبادرات قام بها فنانون كبار، ونجد فى القائمة أسماء بعض الأعمال التى تم إنتاجها خصيصًا لخوض هذه المعركة.. لكن للأسف طغت السطحية الشديدة على مضمون هذه الأعمال لدرجة تقرب من الكوميديا الحزينة! ففى الوقت الذى كان معسكر الإرهاب والتطرف يرتع فى مساجد مصر ويحاول السيطرة على العقول المصرية بالدين، فقد قدمت الأفلام - مثل «الإرهاب» لنادية الجندى، و«الإرهابى» لعادل إمام وغيرهما - هذه الجماعات فى صورة ربما خدمت معسكر التطرف أكثر ما خدمت الدولة المصرية! صورة هزلية أكثر منها حقيقية تغوص فى أعماق فكر هذه الجماعات!

كان لدى صناع السينما بعد حرب أكتوبر كنزٌ حقيقى وهو نصر أكتوبر. كان يمكنهم أن ينهلوا من هذا الكنز الملهم ما يجعلهم يصنعون أعمالًا خالدة. لكن هذا لم يحدث، وبقيت الأعمال السينمائية المصرية التى تناولت قصة هذا الإعجاز المصرى بعيدة تمامًا عن بلوغ أو حتى الاقتراب من حقيقة ما حدث. غالبية الأعمال قدمت النصر فى مشاهد مكررة تقليدية مأخوذة كلها أو أغلبها من فيلم «الرصاصة لا تزال فى جيبى». وبعضها الآخر قدم النصر فى ثنايا قصة درامية لا علاقة لها بالنصر. لم تنجح الأعمال السينمائية المصرية فى تقديم جرائم الصهيونية ضد المصريين باستثناء مشهدين، أحدهما فى نفس الفيلم وهو مشهد قتل الأسرى المصريين. والمشهد الآخر مشهد فيلم «أبناء الصمت» للسيد راضى أثناء رحلته كجندى مصرى فى صحراء سيناء. لم يتم تقديم أعمال سينمائية تصور جرائم قتل ودفن الأسرى المصريين فى صحراء سيناء بعد كارثة ٦٧، ولم يتم تقديم أعمال عسكرية بالمعنى المفهوم لمعركة أو معارك موثقة من نصر أكتوبر، رغم توفر المواد الوثائقية لدى المؤسسات الرسمية! انتظرت مصر طويلًا حتى يرى المصريون مثلًا أعمالًا تصور بطولات البحرية المصرية كما حدث فى فيلم «الطريق إلى إيلات»!

أعتقد أن ما حدث كان توجهًا فكريًا لدى كثير من المؤلفين والمبدعين مفاده الانشغال عن معجزة النصر بالهجوم على الدولة المصرية بعد توقيع اتفاقية السلام وبدء مرحلة التحول الاقتصادى! هذا التوجه جعلهم لا يقتربون اقترابًا حقيقيًا معلوماتيًا من تفاصيل النصر!

تهافت السينما المصرية

حين ميسرة

النمر الأسود

همام فى أمستردام

أبوالعربى

تم ترويج أكذوبة كبرى أن هذا هو ما يريده الجمهور أو «الزبون» وفى هذا اعترافٌ ضمنى بالسقوط المهنى والأخلاقى

2 من همام إلى أبوالعربى.. أفلام «العته» السياسى والاجتماعى

فى نهايات التسعينيات، بدأت سينما جديدة فى مصر أطلق عليها «السينما الشبابية». انطلقت بقوة فى العقد الأول من القرن الجديد، واستفادت تقنيًا من ثورة الإنتاج السينمائى. يمكن أن نطلق على هذه الموجة التى احتلت دور السينما المصرية بأنها كانت أفلامًا كوميدية أو اجتماعية خفيفة. بعض النجوم الجدد تبنوا مصطلحات أخرى مثل السينما النظيفة قاصدين بذلك أنها سينما دون مشاهد ساخنة، أو مشاهد قبلات، بينما استمر آخرون فى تقديم أفلامهم دون التقيد بهذه المضامين، وإن كانت أفلامهم أيضًا قدمت المحتوى الفكرى نفسه!

لكن الغريب أن أفلام «السينما النظيفة»، كما أطلق عليها أصحابها، امتلأت بمشاهد غير نظيفة، وتغلبت عليها إيحاءات فى غاية الفظاظة، مثل: مشاهد أفلام هانى رمزى التى تكررت كثيرًا جدًا، وكان من الواضح افتعالها، وإقحامها على أحداث كل فيلم، وأفلام هنيدى لم تخلُ من ذلك!

> سينما الألفينيات قدمت لنشء وشباب مصر مجموعة أفكار تصل إلى حد السذاجة والعته العقلى

من حيث القيم السياسية التى قدمتها هذه الأفلام، يمكن القول إنها لم تقدم شيئًا! كانت سينما خفيفة تتناسب مع نفور غالبية الأجيال الجديدة من فكرة الثقافة العميقة، وتتناسب تمامًا مع وصلت إليه أمور التعليم والثقافة فى مصر بعد مرور سنوات مبارك الأولى فى الحكم، وانزواء كثير من ذوى الأسماء المهمة سياسيًا وثقافيًا جانبًا من المشهد العام!

أما على سبيل القيم المجتمعية، فيمكن القول إنها قدمت لمصر أزمة كبرى! فقد قدمت لنشء وشباب مصر مجموعة أفكار تصل إلى حد السذاجة والعته العقلى! غالبية هذه الأفلام قامت على فكرة واحدة تتباين فى تفاصيلها وأسماء أبطالها وشخوصها. فكرة شاب فاشل، لم يتعلم بشكل جيد، لم يقم بتعليم نفسه أى مهارات حرفية يمكنه أن يبرع بها أو حتى يعمل بها، ثم يقابل بنتًا غنية جدًا، متعلمة جدًا، جميلة جدًا وتبدأ قصة خزعبلية تلغى تمامًا كل مفردات العقل والمنطق، ويحاول صانعو الفيلم أن يجعلوا من هذه القصة أسطورة عشق على غير الحقيقة!

فى ثنايا القصة نجد دائمًا الشاب الآخر، المتعلم الثرى أحيانًا والمنافس لبطلنا الفاشل، فاسدًا طامعًا فى ثروتها، لصًا بغير أخلاق! الشاب، الذى لم يتعلم أى شىء يمكنه أن يجيده بعد أن ينهى مراحل تعليمه يبدأ فى سب الظروف والبلد ويصبح حلمه أن يسافر لأوروبا، وليس دولة عربية للعمل كعامل مثلًا! يعتقد أن مجرد سفره، بغض النظر عن مؤهلاته، سوف يجعل منه النمر الأسود، ويحلم بأن يكون «مُوهَمّد»!

يتناسون أن «موهمد»، أو أحمد زكى فى النمر الأسود، كان يحمل فى يديه سلاحين هامين حين سافر لألمانيا، الأول: هو صنعته كخراط فى زمن توهج الصناعة فى ألمانيا، والثانى: أنه ملاكم!

لم يذهب ليقوم بتنصيب نفسه «سايس» دراجات سمح فى وسط العاصمة الهولندية، ثم يستطيع، وهو دون أى مؤهلات عمل ولا لغة، فى سنواتٍ قليلة أن يقوم بشراء أكبر مطعم فى هولندا!

ولا ننسى قطعًا مشهد الفلفل والتوابل، وأغنية الحلم العربى، وصورة مسجد القبة!

هذا الفيلم تحديدًا، همام فى أمستردام، والذى نجح نجاحًا كبيرًا فى وقته، يمكن أن يكون نموذجًا مثاليًا لسينما هذه الفترة.. فمثلًا لم يختلف «بلية» كثيرًا عنه، وهو الذى أقنعنا فى النهاية أن بلية بكل مقوماته الشكلية والمهنية والاجتماعية يصبح هو «الچان» الذى سوف تقع فى غرامه فتاة بجمال وإمكانات غادة عادل فى ذروة شبابها! وفيلم «أبوالعربى» وسذاجته المفرطة فى سفريته، ثم التقاطه وسط البحر ليجدَ نفسه محاطًا بالنساء والأموال! وفيلم «عايز حقى» وغيرها.. كل هذه الأفلام قامت، دون أن نشعر، بخلق حالة عامة بين شباب هذه الفترة بالسخط على أحوالهم، دون أن يسأل أحدهم نفسه: كيف قام بتأهيلها لمجابهة الحياة أو حتى اكتسابه لمهنة تؤهله لسوق العمل! وبعد تفجر السوشيال ميديا فى مصر، وقبيل أحداث يناير كنا نقرأ هذا فيما يكتبه شباب مصر عن «الدول الأوروبية»، وكيف كانوا يصفون أو يتوهمون الحياة بها وأن مصر لو فقط تسمح لهم بالرحيل! أوهام كبرى تجرعتها هذه الأجيال صنعتها بشكل رئيسى السينما الشبابية، ودفعت مصر ثمنها!

أما فيما يتعلق بمواجهة مشاكل مصر الحقيقية، فقد ظلت السينما على سطحيتها الفكرية فى مواجهة الإرهاب، ولم تقترب أو تتصدى لمواجهة الانفجار السكانى، ولم تتجرأ على معارضة رجال الدين فى مسائل مجتمعية خالصة. لقد نجحت دراما التليفزيون بشكلٍ كبير فى بعض هذه الملفات على غير ما قامت به السينما!

أفلام خالد يوسف، وبغض النظر عما يمكن أن يوجه لها من انتقادات، كانت هى الأقوى فى كشف بعض ما ترتب على الانفجار السكانى. فمثلًا الفيلم الفظ «حين ميسرة» قام بعرض للمناطق العشوائية بشكلٍ صدم كثيرًا من المصريين، لكنها كانت حقيقة ما وصلت إليه مصر بالفعل. لكننى أرى أن سينما خالد يوسف استمرت على خط السطحية فى مواجهة الإرهاب.. ربما عرضت بشكلٍ أقوى لجرائمه، لكنها كانت أبعد ما تكون عن تقديم مناقشة موضوعية حقيقية للفكر ذاته!

ظاهرة أخرى اجتاحت السينما المصرية فيما قبيل وبعد أحداث يناير، وهى اجتياح منتجين لا علاقة لهم بالفن أو الفكر، هذه الصناعة.. هؤلاء المنتجون حاولوا تحقيق أرباح كبرى بغض النظر عما يتم تقديمه.. لقد حاول بعضهم تحويل الفن السينمائى إلى ما يقرب إلى أفلام البورنو، وعلب الليل، وانجرف للأسف بعض أصحاب الأسماء اللامعة من النجوم لهذا الفخ بحجة عدم وجود منتجين آخرين. أضافت هذه الفئة من المنتجين سببًا آخر لوسم سينما هذين العقدين الزمنيين بأنها فى غالبيتها كانت، من الناحية الفكرية، سينما هدامة، أو على أقل تقدير خارج التاريخ الفنى المصرى!

نصل إلى نقطة مهمة جدًا.. فكرة تقديم الحلول.. افتقرت السينما المصرية فى هذه العقود الأربعة إلى وجود فكر علمى حقيقى يتم تقديمه فى الأفلام، هذا فيما يخص الأفلام التى اعتقد صناعها أنهم لا يقدمون سينما للتسلية، وإنما يقدمون فنًا يعبر عن مصر.

تم ترويج أكذوبة كبرى أن هذا هو ما يريده الجمهور أو «الزبون»! وفى هذا اعترافٌ ضمنى بالسقوط المهنى والأخلاقى. فحين كان يتسرب من الاستديوهات الساقطة عملٌ مميز، كان يلتف حوله المصريون فى صفعة كبرى لهؤلاء الذين كانوا يتربعون على مقاعد مهنية ليست لهم! ولو حدث أن كانت شرائح عمرية ومجتمعية معينة تجد متعتها فى فئة أفلام تجار النخاسة، فكان أولى بالقائمين على هذه الصناعة المهمة أن يقوموا بدورهم فى الارتقاء بأذواق وعقول وأرواح المصريين، لا أن يقوموا بدور «ويتر» متعة فى كازينو ليلى!

ما أعرضه لا يمكن اعتباره تعميمًا لكل الأفلام السينمائية فى هذه العقود الأربعة، إنما يعبر عن موجة عامة ذات خصائص معينة فى كل عقد كانت تجتاح سينما هذا العقد، لكن هذا لم يمنع خروج أعمال استثنائية فريدة خرجت عن هذا النسق. ومرة أخرى ما أتحدث عنه لا علاقة له بفنيات وأدوات السينما، وإنما عن جانب واحد من جوانب هذه الصناعة. وهذا الجانب هو القيم السياسية والاجتماعية التى قدمتها السينما ومدى تأثيرها على العقل المصرى الجمعى!

بلية ودماغه العالية

عايز حقى

أوبريت الحلم العربى

الهروب

3

الفرص الضائعة فى سينما الزعماء الخمسة!

«أحمد زكى - نور الشريف - عادل إمام - محمود عبدالعزيز - حسين فهمى».. أعتقد أن هؤلاء هم زعماء السينما المصرية فى أهم فتراتها، وهى الفترة موضوع حديثى. جمعتنى مصادفة مهنية مع أحدهم وهو المثقف جدًا نور الشريف. منذ سنوات كنتُ المرشد السياحى لمجموعة على متن إحدى البواخر السياحية ببحيرة ناصر، وكان نور الشريف أحد أفراد هذه المجموعة. أربعة أيام جمعتنا خلالها حوارات ثقافية وفكرية امتدت لساعات، وكان مسلسله الحاج متولى مذاعًا منذ فترة قريبة، وكان يستعد لعمل درامى آخر أعتقد أنه «العطار والسبع بنات». اكتشفت خلال هذه الحوارات أنه على قدرٍ متميز من الثقافة التاريخية واللغوية. كما عرفت كثيرًا من آرائه الفكرية والسياسية التى لا أعتقد من الكياسة أن أذكرها فى هذا الموضع، كما عرفتُ منه بعض آرائه فى بعض كبار النجوم وقتها، وجمعنا رأى واحد متوافق وإيجابى فى أحمد زكى وعبدالعزيز مخيون. وأخبرته برأيى بصراحة فى كثير من أعماله، خاصة فيلم «ناجى العلى» الذى كان يثير لديه شجنًا خاصًا لما كلفه من خسارة مالية كبرى! لكنه تقبل رأيى برحابة صدر كبيرة!

لا شك أن أعمال هؤلاء الخمسة الكبار كانت الأكثر تأثيرًا بصفة عامة فى وجدان المصريين. ربما لم يجتمع المصريون على شىء فنى كما اجتمعوا على الاحتفاء بأعمال هؤلاء الذين يمثلون كتيبة قوية من كتائب قوة مصر الناعمة. فكل واحدٍ منهم يمثل مدرسة فنية مستقلة. اجتهدوا كثيرا بخلاف ما حباهم الله من قبول لدى قطاعات كبيرة من المصريين والعرب. بلغوا بالاجتهاد والارتقاء بإبداعهم ذروة المجد. لكننى أعتقد أننا لم نُخرج كل ما كان يتمتع به كل منهم، وينطبق عليهم أنه كان فى الإمكان أبدع مما كان! كان ممكنًا أن نحصل على المزيد من موهبة هؤلاء وتميزهم وعبقريتهم لو توافر الفكر والرؤية المؤسسية لصناعة السينما!

يمكننى أن ألقى الضوء على ما قدمه كلٌ منهم، وهذه رؤية خاصة كمشاهد عادى. فبعض أعمال زعيم الكوميديا فى العالم العربى عادل إمام كان يمكنها أن تصبح علامات بارزة فى السينما المصرية من حيث محتواها القيمى لو توافر لها بعض القوة لدى عناصر العمل الفنى الأخرى؛ بخلاف الزعيم نفسه! فلو كان للمخرج مثلًا من القوة والكاريزما القدر الكافى للسيطرة على شطحات الزعيم؛ لخرجت هذه الأعمال فى صورة أخرى أكثر قيمة. فمثلًا فيلم «رسالة إلى الوالى» كان يمكنه أن يصبح عملًا متفردًا لو لم يسقط الفيلم فى فخ التحرشات الجنسية الفظة من أول مشاهد الفيلم حتى آخرها! وفيلم «المنسى» أيضًا لو لم يسقط فى فخ التطرف الاشتراكى الشديد فى تقديم أبشع صورة ممكنة لرجل الأعمال، لربما كُتب للفيلم مصيرٌ آخر أفضل كثيرًا! ثم سقط الزعيم فى شرك آخر هو تقديم سلسلة من الأفلام التجارية التى تقدم وتكرس لفكرة البطل الشعبى فى صورة لص أو مجرم، ويتم التخديم فى الفيلم للوصول بالمشاهد إلى مشاعر متعسفة من التعاطف مع المجرم!

بل نفاجأ فى الفيلم الفانتزى «الإرهاب والكباب» بفكرة أكثر خطورة.. كان سبب أزمة البطل هو أداء مجموعة من الموظفين والموظفات. فجأة وبعد أن وجد المواطنُ السلاحَ فى يده نفاجأ بأنهم جميعًا يصطفون معًا فى مواجهة السلطة! أى يتحول المذنب فى لحظة إلى ضحية ما دام الجرس سوف يُعلق فى رقبة السلطة!

القدير أحمد زكى قدم مجموعة مهمة من الأفلام اتسمت بالسمت الاشتراكى المحض، مثل أفلام «المخطوفة، والحب فوق هضبة الهرم، ولا أكذب ولكنى أتجمل، وولاد الإيه، وحسن اللول، وغيرها»! أفلام وقفت دون فكرة التصالح الإنسانى مع فكرة اختلاف مصائر وأنصبة البشر فى الحياة، وهى فكرة منطقية الوجود. ثم قدم فكرة أغرب منها فى فيلم «ضد الحكومة».. يمر مرورًا عابرًا على وجوب وجود نظام صارم يعاقب صغار الموظفين، ويعتقد أن عقاب الوزير هو الهدف الأسمى، فى حين أن واقع مصر يقول إن كثيرًا من مصائبها إنما سببها فساد مجتمعى عام يرتع فيه الأفراد العاديون. فلو تمت معاقبة السائق متعاطى المخدرات، أو عامل التحويلة المهمل، عقابًا رادعًا، لانخفض معدل حوادث الطرق والسكك الحديدية! لقد صبت مجمل هذه الأفكار فى تكوين شعور جمعى عام بتحلل الأفراد العاديين من أى إحساس بالمسئولية المجتمعية، واعتقاد الجميع ببراءة المواطنين من كل إثم!

النجم نور الشريف كان قريبًا جدًا من الهرب من الأفكار الاشتراكية فى أفلامه، لكنه لم يستطع وقدم مجموعة من الأعمال المتشابهة، التى كرست نفس فكرة شيطنة رجال الأعمال وتقديمهم وكأنهم مجموعة من مصاصى الدماء الفاسدين! مثل «عفريت النهار، والرقص مع الذئاب، و١٣١ أشغال، وضربة معلم»، وغيرها. لكنه تميز بتقديم عدد من الأفلام الجريئة، مثل أفلامه عن وجوب تحرر العلم من أى أفكار خرافية فى رائعته «قاهر الزمن»!

حسين فهمى كان أحرص من باقى هذه الكوكبة فى الوقوع فى نفس الفخ، وتميزت أعماله بالاعتدال الفكرى وربما تكون لخلفيته الاجتماعية دور أساسى فى ذلك. فكان كثيرٌ من أعماله ذات طابع فلسفى أو رومانسى كما كان الحال مع محمود عبدالعزيز.

الغريب أن هؤلاء قدموا مجموعة من الأفلام فى السبعينيات كانت على النقيض تمامًا مما قدموه فى الثمانينيات والتسعينيات! ففى استجابة سريعة جدًا وربما بعناية وتكليف رسمى، تم تقديم مجموعة أفلام تهاجم بشراسة فترة عبدالناصر، وتكيل لها اتهامات متشنجة جدًا مثل «إحنا بتوع الأتوبيس - التحويلة - البرىء - الكرنك»! رغم قوة هذه الأفلام وتراجيديتها الشديدة، لكنها لم تكن تقدم أفكارًا عادلة أو منطقية للحكم على حقبة عبدالناصر بكل زخمها، كما كانت تختزلها فى ادعاءات التعذيب والاعتقال التى ثبت بعد ذلك كذب كثيرٍ منها ودعائيتها السياسية!

الفنانون هم مؤدون منفذون لما تفيض به عقول المبدعين والمؤلفين. لذلك لا يمكن محاكمة النجوم على قيم ما قدموه، لكن يمكن مساءلتهم أدبيًا على اختياراتهم. فلو كان هناك فقرٌ فكرى فى الأعمال السينمائية، فمن يُسأل عن ذلك هم المفكرون وكتاب الروايات والسيناريوهات السينمائية ويتبعهم فى ذلك المخرجون، الذين يصبحون مسئولين مسؤلية تامة عن العمل السينمائى بأكمله.

ومن المشاهد السينمائية المهمة والكاشفة لهذا الفكر، ما ورد فى الفيلم المميز «اللعب مع الكبار».. فبطل الفيلم «حسن» شاب عاطل، له سابقة جنائية، أى لن يستطيع الحصول على وظيفة بشكل سهل، لا أحلام له، يقضى وقته على المقاهى... إلخ.. ثم فى نهاية الفيلم يقدم له ضابط أمن الدولة فرصة ثمينة للعمل بشكل رسمى شريف يمكنه من مواصلة الحياة.. لكنه يرفض.. ثم يجيب عن سبب الرفض بجملة أراها هى لب الفكرة.. «أنا عين البلد مش عين الحكومة!»!

هذه الفكرة هى الاعتقاد السائد بين فئة من المبدعين، أن المبدع يجب أن يكون دائمًا فى خندق معادٍ أو مضاد للسلطة! أعتقد أن كثيرًا من مبدعى مصر قد وقعوا فى هذا الشرك واختاروا الطريق الأسهل!

نعم هذا هو الطريق الأسهل أن تقنع نفسك كمبدع أنك مناضل ضد السلطة فتجذب كتل الجماهير! لكن الطريق الأصعب لأى مبدع هو أن يستطيع مواجهة الكتل الجماهيرية بعيوبها الحقيقية، ولا يضع نصب عينيه الحصول على صيحات إعجابهم بقدر ما يضع نصب عينيه تقديم إبداع حقيقى. البقاء والخلود للإبداع الحقيقى لا الإبداع المداعب لرغبات الجماهير ومجاراتها!

بداية هذا الطريق شاقة وفارزة ومغربلة للمبدعين الحقيقيين، لكن فى النهاية سوف تقودنا إلى تقديم إبداع وفن حقيقى يُكتب له الخلود!

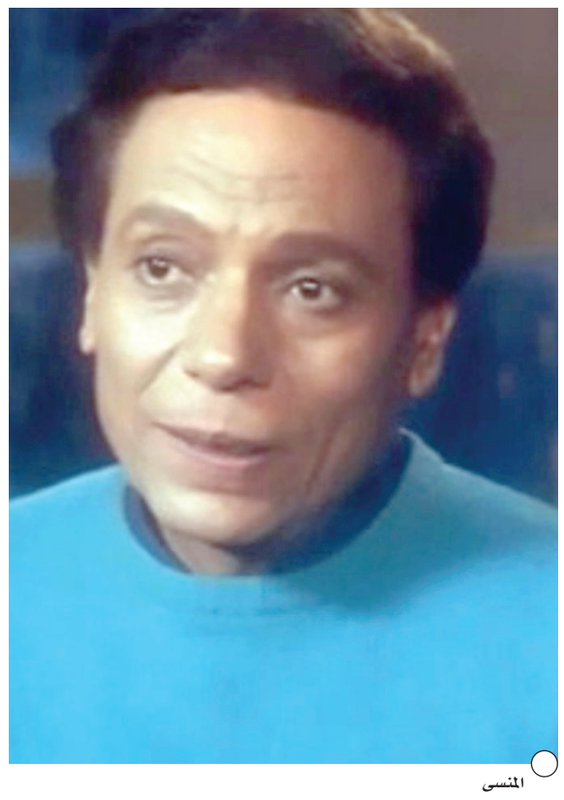

المنسى

بعض أعمال عادل إمام كان يمكنها أن تصبح علامات بارزة فى السينما لو توافر لها بعض القوة لدى عناصر العمل الفنى الأخرى

جرى الوحوش

ناجى العلى

النجم نور الشريف كان قريبًا جدًا من الهرب من الأفكار الاشتراكية فى أفلامه لكنه لم يستطع

العار

سر الخلطة

عمرو دياب.. أذكى فاشل فيكِ يا بورسعيد

لو بحثنا عن أذكى فنان فى مصر بمختلف أنواع الفنون، يمكننا أن نتجادل- من هنا لبكرا- على صاحب المركز الثانى، أما المركز الأول فهو محجوز منذ 40 عامًا له وحده.. لعمرو دياب.

والغريب أن هذا الذكاء الحاد صادر عن فنان لم يبد أى نبوغ فى طفولته، مستواه الدراسى أقل من المتوسط، ومجموعه فى الثانوية العامة 50%، حتى البكالوريوس لم يحصل عليه.. إذًا فالسؤال هنا.. ما الذى كوَّن عظام دماغ عمرو دياب؟

فى سنة 1983 كابد عمرو دياب مرارة فشل ألبومه الأول «يا طريق»، عندما قدم أول شريط كاسيت، ولم يشعر به أحد.

بالصدفة فى العام ذاته، ولكن على الجانب الآخر من العالم، طوّر عالم النفس الأمريكى هوارد جاردنر، نظرية الذكاء المتعدد، مقدمًا فكرة ثورية مضمونها، أن الذكاء مركب لا يمكن اختصاره فى اختزال مخلٍ بوصف شخص ما بالذكى أو الغبى، واضعًا قائمة عريضة تضم 8 أنواع للذكاء، كالذكاء الحسى الحركى والذكاء اللغوى العصبى والذكاء الرياضى المنطقى، وجاء فى ذيل القائمة الذكاء الموسيقى والطبيعى، وهو نوع ذكاء عمرو دياب وسر عبقريته وتفرده.

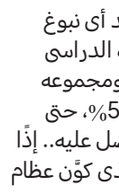

محمد مجاهد

1 نبتدى منين الحكاية؟

البداية كانت فى منزل عبدالباسط عبدالعزيز دياب، رب الأسرة الوافد إلى بورسعيد قادمًا من منيا القمح، إحدى مدن محافظة الشرقية، للقيام بمهام عمله كرئيس الإنشاءات البحرية وبناء السفن بشركة قناة السويس.

وهنا يحكى عمرو: «كنت أردد الأغانى من صغرى بتشجيع من والدى؛ لأن صوته كان حلو قوى فى تلاوة القرآن، ولفت نظرى وجود بيانو مهجور فى صالة بيتنا ماحدش بيعزف عليه، ورثه أبى عن عائلته، واحتفظ به كقطعة ديكور، لكنى اكتشفت بفضول الطفل اللى جوايا إزاى ألعب على مفاتيحه البيضاء والسوداء، وفى سنة دراسية وقع علىَّ الاختيار من وسط زمايلى لغناء (بلادى بلادى) فى عيد الثورة بحفل مدرستى الليسيه فرانسيه ببورسعيد، والمحافظ إدانى قلم حبر جايزة.. ودى كانت البداية».

ومن وقتها طارد عمرو حلم الطفولة، وظل المغنى الوحيد والرسمى لكل احتفالات المدرسة، وفى الثانوية أهمل الدراسة مكونًا فرقة موسيقية اسمها «الشياطين» وغنى فى النوادى لعبدالوهاب ومحمد فوزى مقابل ١٠٠ جنيه، تقسم على أعضاء الفرقة العشرة، إلى أن حضر الموسيقار هانى شنودة إحدى الأمسيات، وانتشله من بورسعيد، مقترحًا عليه نقل نشاطه إلى القاهرة، وهو لا يزال ابن الـ١٦ عامًا فقط.

ولأنه ليس لديه ما يخسره، سوى الـ١٠ جنيهات- نصيبه من حفلات نوادى بورسعيد- ومجموع فى الثانوية العامة حصيلته ٥٠٪ قضى على حلم الالتحاق بأى كلية، سواء كليات القمة أو القاع- كبيره معهد سنتين- لذا قرر عمرو خوض المجازفة بمبدأ «كده كده خسرانة».

وفى القاهرة توالت الصدمات على الشاب البورسعيدى، فبعد أن نجح فى الالتحاق بمعهد الموسيقى، فشل فى اختبار الإذاعة بسبب لهجته البورسعيدية الغالبة وأدائه أغانى من ألحان هانى شنودة، التى اعتبرتها اللجنة تطرفًا موسيقيًا.

وهنا تعلم عمرو أول درس فى حياته الموسيقية «الصنايعى الشاطر اللى يعرف السوق عاوزة إيه» لذا عاود الاختبار بعد ٦ أشهر من التدريب الشاق، وغنى بلهجة مصرية دعاء دينيًا ليلقى القبول من لجنة تحكيم ضمت عمالقة الموسيقى، من أمثال محمد الموجى وحلمى بكر ويوسف شوقى.

وبعد تجاوز عقبة اللهجة، كانت الخطوة التالية طرح أول شريط كاسيت، وكانت النتيجة على طريقة المدراس «لم ينجح أحد»، فالشريط نزل واتسحب من السوق دون أن يسمعه أحد.

2 سقوط مدو.. من عشرة لربع جنيه!

بعد الفشل عاش عمرو سنتين من الصعلكة بكل ما تعنيه الكلمة، دون أى مصدر رزق أو مأوى، ومرت عليه أيام قضاها بربع جنيه فقط لا غير، يحضر محاضراته فى الصباح ويتنقل بين بيوت أصدقائه فى المساء، بالأخص فى منزل شريف ضياء «وهو عضو أساسى بفرقته حتى الآن».

لكنه لم ييأس، وتحت تأثير الخجل من الاستعانة بأسرته ماديًا، والتى سيقابلها قدر كبير من المعايرة واللوم على قرار الغربة، شحذ بعض المال من ابن عمه ليسجل أغنية، وبالصدفة التقى بالمنتج نصيف قرمان، الذى قرر إنتاج شريطه الثانى «غنى من قلبك» وللمرة الثانية يصل لنفس النتيجة المحبطة «لم يسمع أحد».

يتذكر عمرو تلك المرحلة واصفًا إياها بمرارة: «بلغ إحساسى بقمة الفشل حين تركتنى خطيبتى.. كانت طالبة فى البكالوريوس وظروفها الأسرية مستقرة، لكن ظروفى لم تكن تسمح لها بالاستمرار فى وعدها لى.. وهى معذورة بالطبع، لقد كنت حينها رجلًا بلا حاضر ولا مستقبل».

هنا الدنيا اسودت فى عينه وقفلت فى وجهه، واقترح عليه بعض أصدقائه المشفقين على حاله، توفير فرصة للسفر للخارج ووظيفة مضمونة بغسل الصحون فى أحد المطاعم، لكن عمرو رد فى عقل باله «ما دام مرمطة بمرمطة.. أغسل الصحون فى بلدى».

3 بداية الغيث ١٣ جنيهًا ووجبة!

وحاكى عمرو دياب بيزنس الطفولة فى نوادى بورسعيد، قائلًا لفرقته: «بينا على شارع الهرم»، ووقع عقد احتكار مع أحد أصحاب الملاهى الليلية.

وارتفع أجره هذه المرة فى الليلة لـ١٣٠ جنيهًا، توزع أيضًا على ١٠ أعضاء، نصيب عمرو منها ١٣ جنيهًا ووجبة عشاء إذا تيسر.. لكنه عانى وفرقته من ملاحقة المخبرين له إذا ما غنى فى ملهى ليلى آخر، بواعز من صاحب عقد الاحتكار، الذى تملص منه أخيرًا بعد وقوع أحداث الأمن المركزى سنة ٨٦؛ التى اعتبرها عمرو قوة قاهرة تكسر الاحتكار.

وبعد النجاح فى ملاهى شارع الهرم قرر الارتقاء لفنادق الخمسة نجوم والأفراح وغيرها..

يحكى عمرو عن تلك الفترة: «وبدأنا نعمل فى شارع الهرم.. حتى أتيحت لى الفرصة مع الفرقة لأغنى فى حفل ختام مهرجان القاهرة السينمائى فى الماريوت كصاحب صوت جديد.. وللأسف لم ألق أى صدى.. بل بالعكس أطلقوا على «المطرب العجالى»، لأنى كنت سمينًا نوعًا ما، وكنت أرتدى بدلة أحد الأصدقاء، فلم يكن عندى بدلة عليها القيمة، وكانت كبيرة على مقاسى، فظهرت سمينًا فعلًا.. وفشلت مرة أخرى».

يحكى الفنان أشرف زكى، نقيب الممثلين، عن لغز حيّره طويلًا بشأن عمرو دياب ابن دفعته فى أكاديمية الفنون؛ الذى جمعته به «أيام الكحرتة».. ذلك اللغز يتمثل فى رفض عمرو ارتياد المقاهى البلدى أو دعوات السحور الجماعى رفضًا قاطعًا، وحين سأله مرة عن السبب، أجابه عمرو: لازم الناس تتعب عشان تشوفنى.. لو قعدت معاكم ع القهوة أى حد بجنيه يقدر يقول قعدت مع عمرو دياب، خلاص ما بقاش مضطر يشترى تذكرة ويحضرلى حفلة.

وبعفوية بلهاء سخر أشرف زكى حينها من صديقة على بساطة مبدئه القائم على عاملى «الندرة والوفرة»: يا بنى هو حد يعرفك غيرنا؟ ليرد عمرو: بكرا أتعرف وأبقى نجم..! وقد كان.

ونحن هنا أمام نجم لم يتنبأ به أو يراهن عليه أحد، لا عائلته ولا صديق دفعته ولا حتى خطيبته، الفتاة الجامعية التى تركته لضبابية مستقبله وعيبة الارتباط بمطرب نمرة فى الأفراح والكباريهات، فقرر أن يراهن هو على نفسه، وكسب الرهان.

4 الريمونتادا.. رحلة الصعود

اكتسب عمرو من عثراته ما يمكن أن نسميه ذكاء الفاشل، وتحرر كليًا من أى قيد يمكن أن يعطل مسيرته، ولا سيما الدراسة التى تتطلب حضور المحاضرات صباحًا والمذاكرة مساء بما يتعارض مع طبيعة عمله الليلى لـ وش الفجر من أجل كسب العيش.

فترك معهد الموسيقى قبل عام واحد فقط من التخرج دون رجعة، زاهدًا فى شهادة البكالوريوس، والتى لا تشهد على أى شىء سوى حضور المحاضرات، بدليل أنه رأى أساتذة موسيقى كبار لا يستطيعون تلحين جملة واحدة، أما هو فاستطاع بالممارسة العملية التلحين والتوزيع لا الغناء فحسب.

أما ثانى القرارات الجريئة كان بالخروج عن طوع مكتشفه وأستاذه الأول هانى شنودة، رويدًا رويدًا، بعدما أدرك أنه كان عاملًا غير مباشر فى فشل ألبوميه، بسبب أنه صنع منه نسخة باهتة من فرقته الموسيقية «المصريين»، فأصبح عمرو تقليدًا لا تجديدًا، كما أراد له شنودة أن يكون،

وبدأ عمرو شق طريقه بنفسه، مسترشدًا بنجاح تجربتين من أبناء جيله «محمد منير- حميد الشاعرى»، واللذين أدخلا قوالب موسيقية جديدة وثورية، كاستلهام منير الفلكلور النوبى، وبدوره استلهم عمرو الفلكلور البورسعيدى فى تلحين أغانيه.

وعلى طريقة «قرب أعداءك أكثر» استعان دياب بمنافسه حميد الشاعرى سنة ٨٨ موزعًا موسيقيًا لألبوم «ميال ميال»، الذى حقق نجاحًا مدويًا، وكتب شهادة ميلاد نجم غنائى ذاق أخيرًا طعم النجاح بعد سنوات تجرع فيها علقم الفشل.

5 كيف يرى نفسه؟

فى حوار سابق على صفحات «أخبار النجوم» سأله الكاتب الصحفى أحمد صالح: بعد كل هذا الفشل هل كنت محظوظًا بوصولك لما أنت عليه الآن؟ نفى عمرو عن نفسه الحظ، كأنه تهمة نكراء، قائلًا: لا أعتبر نفسى محظوظًا، ولكنى مسيّر من الله منذ اللحظة التى شددت فيها الرحال إلى القاهرة، لولا هذا القرار كان زمانى صيادًا فى بورسعيد أو عاملًا لشركة قناة السويس على أقصى تقدير.. ولو جاءنى أحد وأنا أغنى فى شارع الهرم، وقال لى هتبقى نجم كبير غنى ومشهور لظننته يسخر منى، وكان هياخد اللى فيه النصيب.

وهنا وجب الإشارة إلى حساسية الهضبة المفرطة تجاه أى محاولة للانتقاص من قدره، مثلما رفض تهكم الدكتورة نعيمة صادق، أستاذته فى معهد الموسيقى، ورد عليها بندية تاركًا لها قاعة المحاضرات، فما كان منها سوى الجرى وراءه ملوحة بحذائها، الذى خلعته؛ لتنهال به على عمرو دياب، فى واقعة يتناقلها طلاب المعهد جيلًا بعد جيل إلى يومنا هذا.

واعتداد عمرو بنفسه كإنسان وفنان لم يقتصر على زملاء دفعته وأساتذته فقط، بل امتد إلى بيته ووصل إلى غرفة نومه.

فعندما سأله مفيد فوزى عن سبب طلاقه من شيرين رضا أم ابنته نور، أجاب: مافيش أنا كبرت وشوفت أمى بتحترم أبويا، وكانت هى نموذج المرأة عندى، ومعروف المركب اللى بريسين تغرق، فأنا فضّلت أرجع ريس مركبى، فى إشارة منه لندية شيرين رضا كـ«سترونج إندبندنت ووومان» على نقيض أمه التى أفنت حياتها لبيتها وعيالها.

ووقع الطلاق من شيرين سنة ٩٢، ولأنه يقدر عامل الوقت، لم يتوان فى الارتباط من زينة عاشور، المعجبة السعودية التى طاردته فى حفلاته حول العالم بحجز مقعد دائم فى الصفوف الأولى، فكان التعارف سنة ٩٣، وأقيم حفل الزفاف بعدها بعام وأسفر الزواج عن توأمه عبدالله وكنزى وچنى آخر العنقود.

وجعلت زينة من زوجها بصفتها مصممة أزياء والاستايلست الخاص به «براند» قائمًا بذاته، ونقلته للعالمية باختياراتها الملابسه وقصة شعره، فيكفيها أنها من اختارت له «بلوفر» أغنية «تملى معاك»، والذى تحول لأشهر بلوفر شبابى فى تاريخ مصر.

ورغم هذا النجاح المشترك، اتفق الثنائى على الانفصال دون طلاق مراعاة لمصلحة الأولاد وحفظًا للجميل والعشرة، ووصل عمرو إلى قناعة بصعوبة نجاح أى مشروع زواج لنجم بحجمه، نظرًا لصعوبة تلبية متطلباته ومجاراة أسلوب حياته، خاصة وأنه كزوج رجل شرقى خالص لا يرضى إلا بدور سى السيد، وفى رحلة بحثه عن الست أمينة، لم يجدها، لكنه تأكد من معلومة واحدة.. أنها ليست من مواليد برج الحوت.. وما زال البحث مستمرًا.

6 الخلاصة

شاب من بورسعيد فشل فى الثانوية العامة، فاتجه للعاصمة طمعًا فى فرصة أبت عليه مرة برفضه فى اختبار الإذاعة وأخرى بفشل ألبوميه، وثالثة بضياع حبيبته وفسخ «خطوبته».

شاب سمين مغترب ومشرد ومفلس، يبحث عن قشة نجاة فى بحر مضطرب، فقرر أن «يطاطى للموجة» التى قذفته لشارع الهرم، ومنه للأفراح والفنادق، حتى وصل بر الأمان، وخطا أخيرًا على ريد كاربت المشاهير.

وسعيًا للاستقرار جرب حظه فى الزواج، ففشل بدل المرة اثنتين.. أما علاقاته العاطفية غير المكتملة، فحدث ولا حرج.

كل هذا الفشل المركب، لم يثنه عن صدارة مشهد الأغنية الشبابية والرومانسية لقرابة نصف القرن.. ميجا ستار فى الاستديو وعلى المسرح، مؤسسة تمشى على قدمين، ووكالة إعلانية متحركة بوسعها تغيير ستايل الموضة بصورة واحدة على إنستجرام.

وهو نجاح ساحق لم يكن ليتأتى نصفه لولا أنه اخترع نوعًا جديدًا من الذكاء خاصًا به، ذكاء قائم على الانفتاح للتجربة وقبول الفشل كاحتمال وارد جدًا، بل كاحتمال أكيد، وتحويله لنقطة انطلاق للمحطة التالية، وهكذا دواليك، دون توقف أو اكتفاء أو شبع..

باختصار هذا هو نوع الذكاء التاسع الذى أسقطه العالم الأمريكى هوارد من تصنيفاته الثماني.. ذكاء ماركة مسجلة باسم عمرو دياب.

اكتسب عمرو من عثراته ما يمكن أن نسميه ذكاء الفاشل وتحرر كليًا من أى قيد يمكن أن يعطل مسيرته

حصة قراءة

مصر التى فى خاطرهم

5 مؤرخين يكشفون أسرارًا جديدة من تاريخ «أم الحضارات»

لا تزال ساحرة جذابة، «نداهة» لكل مُحب ومسحور، وكلما مر عليها الزمن بأيامه ولياليه، ترسخت محبة مصر فى قلوب الجميع، جذبتهم أرضها وآثارها وحضارتها وتاريخها الفريد، ووقعوا فى غرام ناسها وحكاويهم، فأسالوا حبر أقلامهم، متحدثين عما شدهم إليها، فى كتب ودراسات ومؤلفات، فى كل بقعة من بقاع المعمورة. فى هذا العدد من «حرف»، اخترنا 5 من هذه المؤلفات، تتحدث عن جوانب عدة من تاريخ مصر، بداية من الملكات السبع اللاتى حملن اسم «كليوباترا»، مرورًا بأسرار منارة أو فنار الإسكندرية، وكيف ارتبط شعر المرأة بمراسم الحزن والحداد فى مصر القديمة، إلى جانب كيف يعيش علماء المصريات والأثريون فى أرض المحروسة.

هالة أمين

فنار الإسكندرية

أسرار «الشمس الثانية»

سيكون المهتمون بتاريخ مصر القديمة على موعد مع كتاب جديد، يصدر عن دار النشر البريطانية الشهيرة «روتليدج»، فى ٧ مارس الجارى، ويحمل عنوان: «The Pharos Lighthouse In Alexandria: Second Sun and Seventh Wonder of Antiquity»، أو «فنار الإسكندرية: الشمس الثانية وسابع العجائب فى العصور القديمة»، لمؤلفه المؤرخ أندرو مايكل تشوج.

يتناول الكتاب كل ما يتعلق ببناء «فنار الإسكندرية»، إحدى عجائب الدنيا السبع فى العالم القديم، وفهم كيفية عملها كمنارة نموذجية فى هذه العصور البعيدة، حتى وصفها كثيرون بأنها «الشمس الثانية»، منذ صممها سوستراتوس، وتم بناؤها فى عهد الإسكندر الأكبر.

ويشدد المؤلف على أن «فنار الإسكندرية ظلت معلمًا بارزًا فى الإسكندرية لفترة طويلة، ورغم أهميتها وأصالتها التاريخية، تم إهمال دراستها، مقارنة بالعجائب القديمة الأخرى مثل الهرم الأكبر فى الجيزة». لذا فإن الكتاب يرد الاعتبار لأهمية هذه الفنار، بشكل شامل مبنى على دقة علمية كبيرة، من خلال استعراض كيفية بناء هذا الصرح، وأضوائه اللامعة وتماثيله المذهلة، إلى جانب قصته المثيرة، وذلك اعتمادًا على الأدلة الأثرية والنصوص والصور العتيقة، ما يوفر تقييمًا جديدًا للمنارة وتاريخها وتراثها المهم.

وبحسب «تشوج»، فإن الكاتب الرومانى أخيل تاتيوس أطلق على «فنار الإسكندرية» لقب «الشمس الثانية»، وهو ما يحاول الكتاب شرحه واستكشافه، لأول مرة، مع توضيح كيف كان إنشاء الفنار حافزًا رئيسيًا للعلوم فى العصور القديمة، خاصة علم الفلك.

ويصبح الكتاب المنتظر بذلك بمثابة دراسة شاملة عن هذا النصب التذكارى، تهم قطاعًا عريضًا من الطلاب والباحثين فى الفن والعمارة والعلوم، والقراء الذين يسعون لمعرفة المزيد عن إحدى عجائب الدنيا السبع فى العالم القديم.

أندرو مايكل

«الشاى فى الشرفة»

«حكاوى» علماء المصريات

كاثلين شيبارد

تصدر جامعة «مانشستر» البريطانية، فى ١٥ يونيو المقبل، طبعة جديدة من كتاب «Tea on the terrace: Hotels and Egyptologists' social networks (١٨٨٥-١٩٢٥)»، أو «الشاى فى الشرفة: الفنادق والشبكات الاجتماعية لعلماء المصريات ١٨٨٥-١٩٢٥»، بعد نجاح طبعته الأولى فى ٢٠٢٢.

الكتاب من إصدارات مطبعة جامعة «مانشستر»، تأليف كاثلين شيبارد، الأستاذ المشارك فى قسم التاريخ والعلوم السياسية بجامعة «ميسورى»، ويأخذ القارئ، من خلال ٢٣٢ صفحة، إلى رحلة رائعة مع علماء المصريات، ويكشف كيف يقضون الوقت، فى فنادقهم وعلى متن قواربهم.

ويكشف الكتاب عن أن قدرًا كبيرًا من الاكتشافات الأثرية المهمة تمت بعيدًا عن المواقع الميدانية والمتاحف، من خلال سرد ما وراء كواليس القصص المألوفة لدى القراء، وتتبع حياة علماء مصريات مشهورين، مثل هوارد كارتر، مكتشف مقبرة توت عنخ آمون، إلى جانب ثيودور ديفيس وإيما أندروز وجيمس برستد وأليس بادج وماجى بنسون.

وتتبع المؤلفة هؤلاء العلماء من بداية وصولهم إلى الإسكندرية، وانتقالهم إلى القاهرة، قبل التوجه جنوبًا إلى الأقصر، مرورًا بإقامتهم فى الفنادق، التى وصفتها بأنها أصبحت مساحات حاسمة لبدء حياتهم العملية فى مصر، وبناء وتعزيز الشبكات العلمية بينهم، وتوليد أفكار جديدة.

ومن خلال الجمع بين السياحة الأثرية، وتاريخ علم المصريات، والاعتماد على مجموعة واسعة من المواد الأرشيفية، يأخذ كتاب «الشاى فى الشرفة» القارئ وراء كواليس القصص المألوفة، ويعرض أنشطة علماء المصريات بصورة جديدة تمامًا.

والدكتورة كاثلين شيبارد هى أستاذة التاريخ فى جامعة «ميسورى»، حصلت على درجة الدكتوراه فى تاريخ العلوم من جامعة «أوكلاهوما» عام ٢٠١٠، وكان اهتمامها البحثى الرئيسى هو عمل المرأة فى علم المصريات، وسرد قصصهن المذهلة لكل قارئ يستمتع بتاريخ مصر القديمة.

«The Cleopatras»

حياة «الملكات كليوباترا»

لويد لويلين جونز

يصدر كتاب «The Cleopatras: The Forgotten Queens of Egypt»، أو «كليوباترا: ملكات مصر المنسيين»، من تأليف لويد لويلين جونز، رئيس قسم التاريخ القديم فى جامعة «كارديف» البريطانية، فى ٢١ مايو المقبل، عن دار نشر «Headline Publishing Group».

يتناول الكتاب القصص الكاملة للملكات السبع اللاتى حملن اسم «كليوباترا» فى مصر القديمة، فعلى الرغم من أن «كليوباترا» واحدة من أكثر الشخصيات شهرة فى التاريخ، بوصفها الحاكمة الذكية الجميلة الجذابة، يدرك قليلون اليوم أنها كانت الأخيرة، فى سلسلة طويلة من ملكات مصر اللاتى حملن هذا الاسم.

ويروى «جونز»، فى كتابه الحديث المكون من ٣٨٤ صفحة، قصص هؤلاء الملكات السبع اللاتى لا مثيل لهن، ويستعيد بوضوح عالم مصر القديمة، ويتتبع قرونها الأخيرة، قبل سقوطها فى يد روما، مشيرًا إلى أن عائلة «كليوباترا» الناطقة باليونانية من نسل «بطليموس»، القائد الذى فتح مصر، إلى جانب الإسكندر الأكبر، وكانوا مرتبطين ارتباطًا وثيقًا، كأمهات وبنات وأخوات وأخوات غير شقيقات وبنات إخوة.

ووفقًا للمؤلف، كانت كل واحدة من الملكات السبع تتمتع بسلطة مطلقة، وسيطرت بسهولة على زوجها وأبنائها، وأثبتت أنها قائدة ذكية وقادرة، ورسخت نفسها كـ«إله»، وحكمت من خلال نشر الطقوس الغامضة، ورسم هالة فخمة حول نفسها، إلى جانب ما تمتلكه من ثروة لا مثيل لها، مع خوضهن جميعًا فى بحر الاضطرابات السياسية ومؤامرات البلاط، وقيادة الجيوش إلى المعارك، والتحكم فى أساطيل من السفن، والقضاء على منافسيهن بلا رحمة.

ويعيد الكتاب الجديد، الذى يعتبر سيرة ذاتية رائعة وغنية بالتفاصيل حول ٧ نساء غير عاديات، هؤلاء الملكات إلى مكانتهن المستحقة بين أعظم حكام التاريخ، وهو سيرة مثيرة، مليئة بالطموحات الإمبراطورية والمكائد التى لا ترحم، لواحدة من أكثر العائلات شهرة فى تاريخ العالم.

ويضع الكتاب قوة المرأة فى بؤرة الضوء، من خلال قصص الملكات السبع اللاتى كان لهن نفس الاسم «كليوباترا»، وصولًا إلى الذروة فى القصة الآسرة لـ«كليوباترا السابعة» مع يوليوس قيصر ومارك أنطونيو، وكلها قصص تنبع منها خيوط درامية مثيرة حول المؤامرات السياسية، والصراعات الملحمية على السلطة، التى ميزت تلك السلالة.

يتناول الكتاب القصص الكاملة للملكات السبع اللاتى حملن اسم «كليوباترا» فى مصر القديمة

«الشَّعر والموت»

الحزن بـ«تاج حواء»

فى ٣١ مارس الجارى أيضًا، ومن نفس الدار الهولندية، يصدر كتاب: «Hair and death in ancient Egypt: The mourning rite in the times of the Pharaohs»، أو «الشَّعر والموت فى مصر القديمة: طقوس الحداد فى زمن الفراعنة»، لعالمة الآثار الإسبانية، ماريا روزا فالديسوجو.

ويتناول الكتاب الجديد، فى حوالى ١٤٤ صفحة، العلاقة بين الشَّعر والحداد، وكيف كانت النساء فى مصر القديمة تشد وتسحب شعرهن بطريقة معينة للتعبير عن الحزن والحداد، كما هو واضح على النقوش واللوحات فى مصر القديمة.

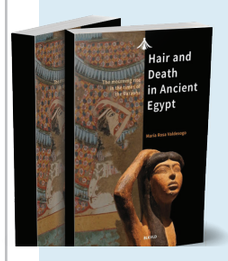

وترصد المؤلفة كيف كانت النساء المصريات تشاركن فى المراسم الجنائزية، وكيف لعب الشَّعر دورًا واضحًا فى هذه الطقوس، واصفة العلاقة بين الشَّعر ومشاعر الحزن والفقد، خلال مراسم تشييع الموتى.

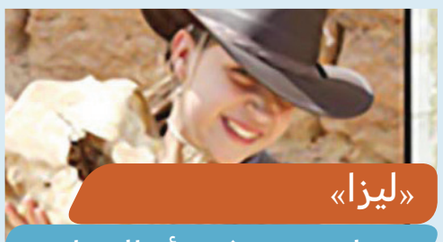

«ليزا»

رحلة منقبة فى «أم الدنيا»

تصدر دار النشر الهولندية «BLKVLD»، المتخصصة فى التاريخ والتراث الثقافى وعلم الآثار، فى ٣١ مارس الجارى، كتاب: «Lisa in Egypt: About a ten-year-old girl who went to an archaeological excavation in Egypt»، أو «ليزا فى مصر: عن فتاة تبلغ من العمر ١٠ سنوات ذهبت إلى التنقيب الأثرى فى مصر».

الكتاب الجديد من تأليف ليزا سيلدنتويس، وهو يضم بين جنباته ١٠٠ صفحة مصورة، مصممة للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ١٠ إلى ١٤ سنة، إلى جانب معلميهم فى المدارس، وهو بذلك كتاب مصور جذاب فى جميع صفحاته، بما فيها صور «ليزا» وهى تنقب عن الآثار فى مصر.

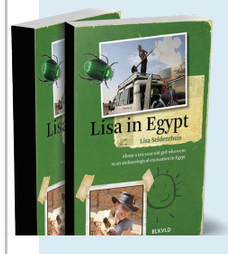

ويحكى الكتاب قصة مثيرة لفتاة فى العاشرة من عمرها، ذهبت إلى التنقيب الأثرى فى مصر، ويعد أداة تعليمية مهمة عن مصر القديمة، من خلال استكشاف موضوعات رئيسية فى علم الآثار، إلى جانب كشف أسرار علماء الآثار، الذين ينقبون فى الصحراء، وأهم الاكتشافات فى المواقع الأثرية.

هل كتبت النساء التوراة؟

كتاب إسرائيلى جديد يُنصف المرأة أمام «دواعش الكيباه»

«لا يجوز للنساء قراءة التوراة عند الحائط.. ولا يُسمح لهن بالمشاركة فى العبادة».. تلك واحدة من بين تعليمات وتفسيرات لرجال الدين اليهودى «الحاخامات» تجاه المرأة، مستندين فيها إلى فهمهم الخاص لـ«التوراة»، الذى تحظى بسببه المرأة بمكانة متدنية للغاية لدى «المتدينين اليهود»، إلى الدرجة التى أوصلتهم لتقييد حتى طقوس ديانتها.

فى فبراير الجارى، طرح يوسى كسنر، الكاتب الإسرائيلى، كتابًا جديدًا بعنوان «هل كتبت النساء التوراة؟.. الانفجار الاجتماعى الكبير»، فى محاولة جريئة للحديث عن مكانة المرأة وما تستحقه، وفق الكتاب المقدس لليهود.

سارة الشلقانى

«وكسنر» هو كاتب ومؤلف إسرائيلى، حاصل على درجة «الماجستير» فى التاريخ، ودرجة «البكالوريوس» فى المحاسبة والاقتصاد ويمتلك شركة أعمال خاصة.

وفى كتابه سالف الذكر تحدى «كسنر» التصور السائد بأن الرجال فقط هم من كتبوا «التوراة»، وبناء على مناقشة متعمقة للمصادر التى اعتمد عليها، يحاول إثبات وجهة نظره المثيرة تلك.

وأوضح أنه «يجب على كل من يتناول الموضوع أن يأخذ فى الاعتبار احتمال أن تكون النساء أيضًا قد كتبن أجزاء من التوراة، رغم الافتراض السائد بأن الرجال فقط هم الذين كتبوه، وهو الافتراض الذى لم يتلق النقد المناسب، ربما لأن التفسير التقليدى جعل من الصعب الانحراف عن خط الفكر المقبول».

ويبحث الكاتب الإسرائيلى هذه القضية بشجاعة ودقة، من خلال مناقشة ٩ قصص «دراسات حالة»، يُعرّفها بأنها «أنثوية»، ويقدم تفسيرًا بديلًا دينيًا ومستنيرًا ينفى مفهوم التفسير التقليدى المسىء للمرأة، ويغير قواعد اللعبة لصالح المساواة بين الجنسين.

ويتطرق أيضًا إلى ما وصفه بـ«الانفجار الاجتماعى الكبير للإنسانية»، وأساس «قانون كرامة الإنسان وحريته»، معتبرًا أن أحجار الزاوية فى هذا «الانفجار» هى: الحرية، والمساواة بين الجنسين، والمصير المشترك، وحرية الاختيار المستنير، والركائز الأساسية الداعمة له.

ويبرز المؤلف بقوة حضور المرأة فى التعبير عن الأفكار العالمية فى «التوراة»، وبالتالى يقدم عبر الكتاب مساهمة نظرية وعملية مهمة فى النضال من أجل مكانة المرأة، خاصة فى هذه الآونة.

وقال «كسنر»، فى مقدمة كتابه: «منذ فترة تشغلنى فكرتان فيما يتعلق بالنص الكتابى بشكل عام وأسفار التوراة بشكل خاص، الأولى: هل من الممكن أن تشارك النساء أيضًا فى كتابة النص الكتابى؟ والثانية: إن التمييز بين الجنسين، أى عدم المساواة وإقصاء المرأة، فى الوقت الحاضر، لا يعنيه بالضرورة النص الكتابى، بل هو نتيجة مباشرة للتفسير التقليدى، الذى تشكل على مدى الـ٢٠٠٠ سنة الماضية فى البيت البطريركى».

«المتدينون اليهود» يحرّمون على الإسرائيليات حتى قراءة التوراة وممارسة طقوس العبادة

وأشار إلى تفسير «المدراش»، وهى شروح «الحاخامات» للأسفار القديمة، والذى ينص على أن «المرأة ليست موضوعًا قانونيًا فى حد ذاتها، لكنها تنتمى دائمًا إلى رجل معين»، مضيفًا: «تعديل الإقصاء النسائى لن تساعده حجج التيار الليبرالى، التى لا تملك القدرة على تقويض صحة التفسير التقليدى، بل تتطلب، أولًا وقبل كل شىء، نفى التفسير الصارم من الماضى، والمقدمة لبنية تحتية تفسيرية لاهوتية شاملة جديدة، يمثل بأمانة الجوهر الإنسانى والعالمى لـ(العهد الأخلاقى)، المعبر عنه فى التوراة، والذى ينشأ من الوصف السامى لخلق الإنسان على صورته... (تكوين ١، ٢٠-٧)».

وأضاف المؤلف الإسرائيلى: «إن المناقشة المقدمة فى هذا الكتاب تستهدف إثارة شك معقول فيما يتعلق بالقاسم المشترك الوحيد حول (الحق الكتابى)، وهو التفسير التقليدى الإبداعى من نوعه، الذى يُمارس فى بيت المدراش اللاهوتى وتفسيراته، وبين علماء الكتاب المقدس، حول أن الكتاب المقدس نتاج خلق لذكر حصرًا وليس أنثى».

وواصل: «غالبًا ما يكون للتفسيرات الكارهة للنساء تأثير حاسم على تعريف عدم المساواة بين الجنسين واستبعاد المرأة، وطريقة تطبيق هذا عمليًا تعزز تصور تفوق الرجل ودونية المرأة، وهو مفهوم يشعر به العديد من أفراد المجتمع الدينى والتقليدى أيضًا».

وشدد على ضرورة «تغيير وضع المرأة، وتعزيز المساواة والمصير المشترك بين الجنسين، والاختيار الحر المستنير لكل بنى آدم، نتيجة لقوله (ذكرًا وأنثى خلقهم) (تك ١: ٢٧)»، معتبرًا أن «مثل هذا التغيير يتطلب إدخال بديل تفسيرى شامل، يقوض بشكل أساسى التفسير التقليدى، الذى يقلل من قيمة المرأة فيما يتعلق بمكانتها، ومن إنجيل المساواة بين الجنسين والمصير المشترك وحرية الاختيار المستنيرة، كما تم التعبير عنه فى (العهد الأخلاقى) المعبر عنه فى النص الكتابى».

وشرح: «جوهر هذا (العهد) ينعكس فى السبب المعطى باسم الله لاختيار إبراهيم: لأنه علم، لكى يوصى أولاده وأهل بيته من بعده، ويحفظون طريق الرب، ويصنعون برًا وعدلًا (تكوين ١٨، ١٩)، إن استبعاد نصف البشرية لا يمكن أن يكون طريقة الرب لفعل البر».

وتابع: «من الشائع أن يكون الإنجيل العظيم للعقيدة الإبراهيمية هو التوحيد، أى الإيمان بإله واحد له السيادة، لكن كان من الضرورى الاعتراف بأن البشارة بإله واحد لم تكن عاملًا لتغيير قواعد اللعبة، ولم تغير شيئًا فيما يتعلق بالرجل والذكر والأنثى»، مشيرًا إلى أنه «على أى حال، لم يكن إله إسرائيل هو الإله الوحيد أبدًا، حتى فى الكتاب المقدس، كان الكون القديم مليئًا بالآلهة والتسلسل الهرمى الوثنى، وكان اليهود على دراية بهذا الوضع مثل أى شخص فى العالم القديم، وكل الموحدين فى العصور القديمة كانوا فى الواقع مشركين بالمعايير الحديثة».

ونبّه إلى أن مجموعة الأناجيل الاجتماعية العالمية، المستمدة من مبادئ العدالة والقانون فى «التحالف الأخلاقى»، ومركزيته المساواة الطبقية والجنسانية، والدعوة المشتركة، وحرية الاختيار المستنير، وحق المرأة فى جسدها، وسيادة الأخلاق وحرية الضمير وعدالة المرأة-تقف فى تناقض واضح مع مفهوم «الهرمية الأبوية» بشكل عام، ومكانة المرأة خاصة، فى العالم القديم.

وخلص إلى أن «هذه الخطوط كانت بمثابة عامل تغيير قواعد اللعبة للعالم الأبوى القديم، ووضعت فيما بعد الأساس القانونى للمفهوم الحديث لقانون كرامة الإنسان وحريته، ولأول مرة، قوضوا الطبقة والتقليد المناهض للمساواة، وبشروا بنظام اجتماعى جديد، وبالتالى ينبغى اعتبارهم الانفجار الاجتماعى الكبير للبشرية».

وقال الكاتب الإسرائيلى: «رغم أن التوراة غرست الإيمان الكتابى بإله، فقد حاولت إحداث ثورة إدراكية فى الفضاء السياسى والاجتماعى، من خلال الترويج للأناجيل الاجتماعية العالمية»، مضيفًا: «وأساس كل الأناجيل الأخرى هو خلق كل إنسان، ذكرًا وأنثى، على شبه الله وصورته، ذكرًا وأنثى خلقه خلقهما (تكوين ١: ٢٧)، لديهم مصير مشترك، أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأطعموها وامتلئوا من سمك البحر وطير السماء وكل حيوان يدب على الأرض (تكوين ١: ٢٠)، وأولئك الذين لديهم القدرة على الاختيار الحر والمستنير- ليكونوا مثل الآلهة الذين يعرفون الله والله: والشجرة ترضى الحكماء (تكوين ٣: ٦)».

وأضاف: «هذه الأناجيل هى مغيرات اللعبة الرئيسية للعقيدة الإبراهيمية، وربما هذا هو السبب وراء ظهور هذه الأناجيل الثورية الليبرالية الثلاثة مباشرة عند الافتتاحية فى سفر التكوين ١ و٣»، مشددًا على أن «هذه الرسائل الفريدة ليست أقوالًا ميتافيزيقية مجردة، بل هى تصريحات سياسية تهز أسس العالم الأبوى القديم والحالى. إنها تثبت لأول مرة فى تاريخ البشرية، أن كل إنسان، ذكرًا وأنثى، مخلوق على صورة الله ومثاله، وأن كليهما يتقاسمان معًا المساواة بين الجنسين والمصير المشترك المستمد من حرية الاختيار المستنيرة التى وهبنا إياها».

وأوضح أن هذه الأناجيل تقع فى قلب «التحالف الأخلاقى»، وكان من المفترض أن تغير بشكل جذرى طرق الحياة التقليدية فى المجتمع الأبوى القديم، وتؤدى إلى مجتمع إنسانى تسود فيه المساواة بين الجنسين وحرية الاختيار للجميع، مضيفًا: «هذه الخطوط، اليوم، هى جوهر مفهوم فصل الدين عن الدولة، وحرية الدين والضمير، وقانون كرامة الإنسان وحريته فى الديمقراطية الغربية».

المولود من ذى قبل

خوان خوسيه ساير

البحث عن مفهوم الوطن وسط «السكان الأصليين»

إن الأعمال الفنية التى يُقال أو تُوصف بـ«العظيمة» هى التى لا تترك صغيرة أو كبيرة تخص الإنسان إلا وناقشتها فى شكل جمالى محكم، بداية من الأسئلة الفلسفية العامة المتعلقة بالوجود والسماء، مرورًا بالأسئلة المجتمعية الخاصة بالأوطان، والمجتمعات وثقافتها، وصولًا للنظر داخل الإنسان نفسه- الذى هو الفنان- ليتأمل النفس البشرية بكل ما تحمل من تناقضات، ففى الصفحات الأولى من الرواية التى نحن بصدد الحديث عنها نرى الكاتب أو الراوى يقول إن النظر إلى السماء أو البحر والمدى لا يفضى إلا للنظر إلى ما داخل الإنسان نفسه.

يوسف الشريف

هذه مقدمة قصيرة لرواية عظيمة، هى رواية «المولود من ذى قبل»، للكاتب الأرجنتينى خوان خوسيه ساير، الصادرة عن «الكرمة للنشر والتوزيع»، بترجمة رصينة عن اللغة الأصلية للنص لمحمد الفولى.

لكن قبل الحديث عن الرواية لا بد وأن ننظر إلى عام نشرها ١٩٨٣، ونسأل: كيف لم تُترجم هذه الرواية من قبل إلى العربية؟ نحن بحاجة ماسة لقراءة هذه الرواية، لأنها تتماس بشكل أو بآخر مع مفهومنا العربى تجاه الوطن أو الاحتلال أو الغزاة، والطريقة التى يمكن النظر بها إلى هذه المفاهيم ومن ثم تفكيكها، والنظر إليها عن قرب.

فبطل الرواية هو الناجى الوحيد من المذبحة التى طالت جاليته أو أبناء وطنه الذين كانوا معه على متن السفينة، أبناء وطنه الذين لم يقدروه، لم يحترموه، بل يشير الكاتب إلى أنهم لربما لوطوا به، وستكون نهايتهم على يد أصحاب الأرض، بعدما يظن السكان الأصليون أو الهنود أن هؤلاء القوم جاءوا لغزوهم، ومن ثم طردهم عن أراضيهم.

وكلما جاء قوم إلى تلك الأرض المكتشفة حديثًا، آنذاك، يتم فعل الشىء نفسه معهم، ولا يتركون منهم إلا شخصًا وحيدًا، حتى يعلم هذا الشخص ويتعرف ويقترب من القبيلة، ويعرف أنهم ليسوا همجًا، أو آكلى لحوم بشرية، أو أشخاصًا بلا أخلاق ولا دين، وبعدما يعرف ذلك يتركونه ليسير نحو منبع النهر، إلا أن بطل الرواية هو الوحيد من بين هؤلاء الناجين من تطول فترة إقامته وسط أصحاب الأرض.

وفى فقرة واحدة من الرواية، يفض «ساير» النزاع المشتعل بين كلا العلاقتين، علاقة الإنسان بالوطن، وعلاقته بالطبيعة بشكل عام:

«كبرت معهم، ويمكننى أن أقول إنه مع مر السنين فقد حلّ التعاطف محل الرعب والنفور الذى أوحوا إلىّ به، فى البداية. إن هذا العراء الذى أساء معاملتهم- وقوامه الجوع والمطر والبرد والجفاف والفيضانات والأمراض والموت- موجود داخل عراء أكبر حكمهم بصرامة وقسوة».

بالطبع هذا المقطع القصير شديد الدلالة يعيدنا إلى النقطة التى انطلقنا منها، وهى الطريقة البديعة التى يستطيع بها «ساير» أن يربط ما هو خاص أو خاص جدًا بالعام. الطبيعة فى مواجهة الإنسان، فكرة مرعبة أن يقف الإنسان وحيدًا ضد مخاطر الطبيعة، هذا ما نواجهه بالفعل فى عصرنا الحاضر، فعلى الرغم من التقدم العلمى المشهود، لم يزل الإنسان، ومن ثم المجتمعات، تتصدى للخطر الذى تشكله الطبيعة.

فيبدو هنا العالم أجمع بكل سكانه وكأنهم على حد تعبير الكاتب: «كفرقى فى زورق يحاولون الحفاظ على انضباطهم فوقه، وسط إعصار يضربهم فى عز الليل داخل بحر مجهول»، ليطرح من خلالهم، بل يكونوا هم سببًا فى فض هذا الالتباس بين الإنسان بشكل عام، والمفاهيم والمعانى وعلامات الاستفهام الكبرى التى تحيط به. فحتى الرقص فى هذه الأرض له دلالة عند الراوى، فنراه يقول بأقل عدد من الكلمات:

«بدا الأمر وكأنهم يرقصون على إيقاع لم يكف عن التحكم فيهم، وهو إيقاع صامت استشعر هؤلاء الرجال وجوده. كان إيقاعًا منيعًا وغائبًا وحاضرًا. حقيقيًا، لكنه ملتبس، كوجود الرب».

فمثلًا إذا ما نظرنا إلى سؤال فلسفى هام كالأخلاق، وجدنا أن بطل الرواية أيضًا شكل مفهومًا جديدًا للأخلاق خلال فترة إقامته بين الهنود، حيث عرف أن هناك قوانين أخلاقية- ربما تلك التى تولد مع الإنسان فى فطرته- هى التى تحكم هؤلاء الهنود، وكيف يمكن هذا المجتمع أن يجمع بين الأضداد.. الأخلاق والانحلال، ويحافظون على هذا لأقصى درجة، وكأن الإنسان نفسه وليس المجتمع فقط بداخله كل هذه التناقضات.

يُشكل أيضًا «ساير» مفاهيم جديدة تجاه الزمن والذاكرة، فالشىء الذى يواجه الإنسان أيضًا، بعد الطبيعة التى سبق وتحدثنا عنها، هو الزمن، تلك الدوامة التى تكاد أن تبتلع الإنسان، فى فقرات شديدة القصر يتأمل الكاتب الزمن، يشرح الفرق بين الماضى والحاضر والعدم، حيث يبدو أن هذا هو الثالوث الذى يشكل ليس فقط عالم الرواية، ليصل لنتيجة مفادها أن: «ما من حياة بشرية أطول من ثوانى الإدراك الأخيرة التى تسبق الموت».

وحتى هذه النتائج الفلسفية التى يصل إليها «ساير»، هو يقول- على لسان الراوى- إنه لا يقتنع بها، ففى الجزء الأخير من السردية، حين يحاول إيجاد مفهوم محدد للمعرفة، نراه يقول إن فهمنا الخاص للأشياء ونظرتنا لها هو ما يشكل معرفتنا، وبالتالى يعتبر أن المعرفة نفسها «وهم»، لأن ما من إنسان سيستطيع أن ينفذ إلى صلب الحقيقة.

فى النهاية «المولود من ذى قبل» واحدة من أهم وأفضل الروايات، نظرًا لما تحمله من قيمة فلسفية رهيبة، وُضعت فى قالب جمالى محكم، حاول الكاتب أن يصل صوت من لم يصل صوتهم- ليس الهنود فقط ولكن الإنسان أيضًا- فالهنود كانوا يتركون شخصًا واحدًا، لا لشىء إلا لكى يحكى عنهم.

والرواية كلها تقام على هذا الاستدعاء للذاكرة، حيث يروى البطل تفاصيل ما جرى له، وما شاهده، وحتى هذه الذاكرة هو لا يثق بها، ولكن هذه الرواية أو الاستدعاء لا ينتج فقط التأريخ للتجربة أو المكان، بل يشهد الميلاد الجديد الذى حدث للراوى نفسه، لأنه شكل مفاهيم جديدة حول كل شىء، بعدما هبط على هذه الأرض، أو هذا الوطن.

إنه نص مدهش، استطاع المترجم محمد الفولى نقل روحه كما أراد كاتبه خوان خوسيه ساير، بأن يأتى النص- رغم ضجيج أسئلته- هادئًا كالموسيقى، أو كجدول الماء الذى يحمل الناجين، لكى نصبح نحن أيضًا رواة لسيرة هذه الأرض، وكل هذه الأسئلة هى ما شكلت النص الروائى والسردية التى لم تكتب إلا لتبحث عن الإنسان، وسط هذا الضباب الملتبس.

الكاتب الأرجنتينى خوان ساير يقدم مفاهيم جديدة عن الأخلاق وتجاه الزمن والذاكرة

سجن «اللايك» و«الشير»

«أزمة السرد».. الإنسان من «قصص حلقة النار» إلى «عبودية الديجيتال»

انطلاقًا من أن القصص التى نسردها هى ما تخلق المجتمع وتصنع الروابط الجامعة بين أفراده، يقيم الفيلسوف الكورى الألمانى بيونج تشول هان، فى كتابه الصادر حديثًا «أزمة السرد»، مقاربة بين حالتين، الأولى كانت فى المجتمعات القديمة، حيث يجتمع البشر حول النار لرواية القصص لبعضهم البعض، والثانية تتعلق بالمجتمعات الحديثة الراهنة، مجتمع المعلومات المعاصر، الذى صار فيه كل شىء اعتباطيًا وعشوائيًا، وتحول الشكل القديم من سرد إلى بيع القصص.

ويشير «هان»، فى كتابه، إلى أنه «فى حين أن القصص تخلق المجتمع، فإن رواية القصص فى مجتمع المعلومات الراهن لا تنتج سوى مجتمع عابر، هو مجتمع المستهلكين، فلا يمكن لأى قدر من رواية القصص أن يعيد خلق النار التى اجتمع حولها البشر ليحكوا قصصًا لبعضهم البعض، لقد انتهت تلك النار منذ فترة طويلة، وصارت الشاشات الرقمية التى تفرّق بين الناس ولا تجمعهم بديلًا لها».

حنان عقيل

1 أزمة مجتمع المعلومات

يعمل تشول هان، أحد أكثر المنظرين الثقافيين إدراكًا فى المجتمع المعاصر، على تشريح أزمة مجتمع المعلومات المعاصر من منظور «السرد»، فرغم أن الوقت الراهن يشهد تضخمًا فى رواية القصص عبر منصات التواصل المختلفة، فإن هذا الشكل من السرد لا يُعبر عن مجتمعات مستقرة، وإنما عن ظواهر مرضية تسم عصرنا.

فى المراجعة التى نشرتها صحيفة «الجارديان» للكتاب، يجرى الكاتب مقاربة بينه وبين فيلم «أنواليسا لـتشارلى كوفمان»، ففى فيلم الرسوم المتحركة يتشابه الجميع إلى حد تبدو أصواتهم ووجوههم هى ذاتها، وفى هذا الكتاب تحضر المأساة الكوميدية تلك، باعتبارها واقعًا وليس خيالًا، لأن الإنسانية المعاصرة تعتمد على الرموز ذاتها فى سرد القصص، تلك الرموز التى تفرضها قواعد العصر المشبع بالمعلومات.

يقول كاتب المقال إن «جحيم الدُمى الذى رسمه كوفمان ليس قصة خيالية بالنسبة للفيلسوف الكورى الألمانى بيونج تشول هان، ولكنه يجسد حقائق عصرنا المشبع بالمعلومات والهواتف الذكية والمزود بتقنية «شات جى بى تى»، مضيفًا: «بالنسبة إلى هان، لقد تحول الإنسان العاقل (هوموسابين) إلى فونو العاقل (فونوسابين)».

2 الأخ الأكبر

فى كتبه السابقة، يلح «هان» على أن الجميع اليوم صاروا «إخوة كبارًا»، فى إشارة إلى «الأخ الأكبر»، فى الرواية الشهيرة «١٩٨٤» لجورج أورويل، فالهواتف الذكية باتت أقرب إلى «كراسى اعتراف» يلجأ إليها الجميع برضا تام.

كتب «هان» فى كتابه «السياسة النفسية»، الصادر عام ٢٠١٧، أن السُلطة تعمل بشكل أكثر فاعلية عندما تفوض المراقبة إلى الأفراد أنفسهم، فلم يعد إيلون ماسك أو مارك زوكربيرج بحاجة إلى فئران التجارب وغرف التعذيب والدعاية على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع، تلك الوسائل التى أبقت «الأخ الأكبر» فى السلطة، وإنما هما فقط بحاجة إلى رضا الفرد عن اضطهاده وظلمه لنفسه.

3 الشاشة الرقمية

فى هذا الكتاب الجديد، يصف «هان» الآثار الضارة لهذا الانحطاط على رواية القصص. كان سرد القصص يربطنا بشكل جماعى حول نار المخيم، لقد ربطتنا القصص بماضينا وساعدتنا فى تخيل مستقبل ملىء بالأمل، ولكن اليوم حلت الشاشة الرقمية محل تلك النار، ما جعلنا أفرادًا نقدم نسخًا مصطنعة من أنفسنا لأقراننا الذين لا نراهم، ونصمم مظهرنا وحياتنا وآراءنا لتناسب المعايير السائدة.

يكتب «هان»: «هذا الشكل الذكى من الهيمنة يطلب منا باستمرار أن ننقل آراءنا واحتياجاتنا وتفضيلاتنا، وأن نحكى حياتنا، وأن ننشر الرسائل ونشاركها ونعجب بها. فبعد أن كنا نسرد القصص، صرنا اليوم نبيعها لنحظى بالإعجاب ولنتوافق مع المعايير السائدة».

يناقش المؤلف فكرة تحول البشر إلى أجهزة مُستغَلة من قبل رأس المال، بعد أن أصبحوا مجرد «مجموعات بيانات» يمكن التحكم فيها واستغلالها، ما جعل أيلون ماسك واحدًا من أغنى الرجال فى العالم.

يوضح «هان» أن البشر يسردون عبر منصات التواصل الاجتماعى قصصًا مثيرة للاهتمام حول اللياقة البدنية، ويعمدون إلى تزيين ما فعلوه فى إجازاتهم، من خلال صور «السيلفى» واللقطات المثيرة للوجبة التى تناولوها، ومع كل تلك القصص، فقد اختفى شىء ما، فرديتنا وإنسانيتنا، قدرتنا على سرد روايات مقنعة، بدلًا من التمثيل والادعاء.

ومع ذلك، فإن الإنسان العاقل ليس مجرد كاذب يقدم نفسه بما هو ليس عليه، وإنما أصبح أيضًا عالقًا فى الرغبة التعويضية بالكشف عن كل شىء عن نفسه، من أجل قول الحقيقة، من أجل الشفافية غير المحدودة.

ويتابع المؤلف أننا نتبع النصائح الجهنمية لـ«عملاق التكنولوجيا»، فى رواية «الدائرة» للكاتب ديف إيجرز، المنشورة عام ٢٠١٣: «الأسرار هى أكاذيب، المشاركة تعنى الاهتمام، الخصوصية سرقة».. هذه الشعارات هى وصايا «فونو العاقل».

بيونج تشول هان

الشاشات الرقمية حولتنا إلى أفراد نقدم «نسخًا مصطنعة» من أنفسنا لـ«أقران لا نراهم»

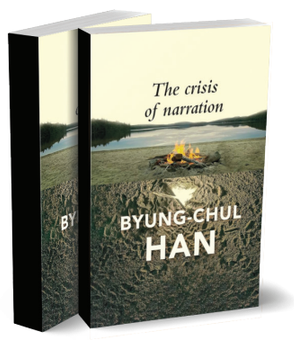

4 استهلاك القصص ومنصات البث

علاوة على ذلك، يتحدث المؤلف عن استهلاك القصص وليس سردها فقط، فمنصات البث مثل «نتفليكس» وغيرها تصنع محتوى يمكن استهلاكه بسهولة، مع سرد يتبع أنماطًا محددة مسبقًا، لحثنا على الإفراط فى المشاهدة، ما يقود، حسب «هان»، إلى «تسمين» المشاهدين مثل الماشية المستهلِكة، فالشراهة فى المشاهدة هى نموذج لطريقة الإدراك العامة فى عصر الرأسمالية المتأخرة.

يتحدث «هان»، أيضًا، عن القصص المبثوثة عبر «إنستجرام»، إذ تشدد إحدى الدورات التدريبية عبر الإنترنت على أن ثمة قصصًا نموذجية تلائم المنصة تتمحور حول أين تذهب، وما تأكله وتشربه، ومَن تراه، وما هو أكثر ما لا ينسى، فهذه المواد تقدم لمحات مدتها ثوانٍ من حياة الأشخاص، وهنا تبرز تفاهة رواية القصص، فكلما كانت القصص خفيفة وصغيرة وعابرة، صارت الأنجح والأكثر ملاءمة.

قلم ناقد

«قلب الظلام».. وأكذوبة العالم الحر

د. يسرى عبدالله

فى البدء كان «مارلو» عند جوزيف كونراد، بحارًا عجوزًا يخوض غمار تجربة مدهشة فى أدغال إفريقيا، يعاين عالمًا جديدًا فى رواية «قلب الظلام» للروائى البولندى البريطانى الشهير، الذى قدم تحفة أدبية خالدة تعد من كلاسيكيات الأدب العالمى من جهة، وعملًا فريدًا دافعًا للكتابة الروائية إلى أفق جديد حينها من جهة ثانية. فالرواية التى نشرت مُسلسلة فى العام ١٨٩٩، ثم استوت فى مؤلف واحد فى بدايات القرن العشرين «١٩٠٢»، اتكأت على جغرافيا سردية واسعة امتدت من نهر التايمز إلى نهر الكونغو.

تتناسل الحكايات من رحم ما يرويه السارد الرئيسى عبر بطله المركزى تشارلز مارلو على متن السفينة «نيللى»، فى تدفق حكائى يكشف عن مصادر تجارة العاج، والناهضة على قتل الأفيال الإفريقية، حيث تمثل حكايات القبطان مارلو لزملائه من البحارة ذلك الإطار السردى للعمل الفنى.

وتتعدد وظائف السرد فى «قلب الظلام»، بدءًا من السرد الخبرى الذى ينبئنا عن هذه الرحلة القلقة لاستعادة تاجر العاج الأوروبى «السيد كورتز»، بعد أن شاع خبر مرضه، وأصبحت عودته للعلاج فى أوروبا حتمية، فالسيد كورتز يحظى بمكانة لافتة فى الشركة الأوروبية المهيمنة على تجارة العاج.

يستخدم جوزيف كونراد تكنيك عين الكاميرا camera eye، حيث نرى العالم عبر عينى بطله مارلو، الذى يعاين عالمًا مختلفًا عما عاشه فى أوروبا، لتتعزز المفارقة الدرامية؛ جوهر «قلب الظلام» بين عالمين: أحدهما متحضر ومتقدم، والآخر همجى ومتخلف، غير أن هذه المفارقة الظاهرة كانت تخفى داخلها جوهرًا استعماريًا محضًا، يمثله على نحو أكثر دقة «السيد كورتز» تاجر العاج، والرامز إلى أسطورة التفوق النوعى المزعومة للرجل الأبيض، والذى يحمله مجموعات من العبيد فى مشاهد دالة داخل الرواية عبر موكب تنفتح أمامه الطرق، وتتوقف المشاجرات الدائمة بين أبناء المكان، لقد أوقفنا جوزيف كونراد أمام عالم لا إنسانى، تختصره الكلمات الأخيرة التى تأتى على لسان كورتز قبل وفاته: «الرعب.. الرعب.. الرعب».

وهى الكلمات التى لم يرد مارلو أن يذكرها لحبيبة كورتز، التى سألته عن آخر الرسائل التى نطق بها، ليخبرها مارلو، المرتبك الرقيق معًا، بأن كورتز قد نطق باسمها حبًا.

تنهض الرواية أيضًا على توظيف الحوارات الخارجية بين الشخصيات، والتى تأخذ سمة الخطاب كما نرى فى المقطع التالى: «وكما تعلمون، إنى أمقت وأحتقر ولا أتحمل أى كذب، ليس لأنى أكثر استقامة، لكن ببساطة لأن الكذب يرعبنى. ثمة مسحة من موت، طعم من الفناء فى الكذب، وهذا ما أمقته وأحتقره فى العالم وهو نفسه ما أود نسيانه، لأنه يجعلنى تعيسًا ومريضًا كما يسببه تناول طعام عفن فاسد».

وقد يعبّر خطاب الشخصية الروائية أحيانًا عن مكنونها، وما تخبئه: «لا.. لا أحب العمل، لا أحد يحب العمل، لكنى أحب ما فى داخل العمل. الفرصة بأن تجد نفسك، تحقيق ذاتك الشخصية، لنفسك، وليس للآخرين، ما يمكن ألا يعرفه أى شخص آخر. يمكن أن يروا مجرد العرض فقط، لكن ليس باستطاعتهم أن يخبروا ماذا يعنى».

يترك تاجر العاج تقريره عن القمع الوحشى مع مارلو، وهو التقرير الذى ينتظره ممثل الشركة لا لدواع إنسانية، ولكن لأسباب براجماتية خالصة تتعلق بمعرفة أماكن العاج.

وتكشف الرواية فى جانب أصيل منها عن علاقة المستعمِر بالمستعمَر، عن جدلية السادة والعبيد، فكورتز نفسه قد أصبح مقدسًا لدى القبيلة التى تتعاون معه، وتعمل تحت إمرته، إن هذا المنحى يعد تعبيرًا عن تلك الثنائية الشهيرة عن الاستعمار والقابلية للاستعمار من جهة والتى طرحها مالك بن نبى، وفى بعدها الأكثر عمقًا فإنها، ومن جهة ثانية، تتماس مع ما أورده المفكر الفلسطينى العالمى «إدوارد سعيد» فى كتابه «الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء» الذى حوى ضمن ما حوى نقدًا لخطاب الاستعمار، ومعاينة لفكرة التنميطات الجاهزة التى يريد الغرب تدشينها فى الذاكرة الجمعية للآخرين، وهى الفكرة التى اكتست بطابع محدد فيما أسماه إدوارد «شرقنة الشرق»، حيث الشرق كما يريده الغرب، وكما يغرسه فى المخيلة العامة للشرقيين أنفسهم.

حوى خطاب إدوارد سعيد نقدًا للأدب الكولونيالى، وأصبح صنيعه الفكرى من الأسس التى انبنت عليها دراسات ما بعد الاستعمار.

وربما تأتى القيمة الجمالية والفكرية لرواية «قلب الظلام» من حيث كونها أيضًا كاشفة لتلك التمايزات، وهذا ما جعل سعيد يعلن بوضوح بأن جوزيف كونراد: «يجعلنا نحس بأنه يحاول أن يخرج من الدائرة التى وضع نفسه فيها، ليصل بنا إلى واقع ملموس خارج الوصف البشع للاستعمار الذى ينشغل به ذلك الواقع، الذى يمكن فى الوقت نفسه أن يكون مناهضًا للاستعمار ذاته».

لقد كان لافتًا أن كونراد يتعامل مع معتقدات الأفارقة وطقوسهم وأفراحهم بأنها ليست أكثر من صخب بلا معنى، وهى نظرة استعلائية، افتقدت إلى محاولة تأمل السياق الاجتماعى والميثولوجى الذى تحيا فيه القبائل الموغلة فى واقع قديم، وربما كانت التوصيفات النفسية التى أحاطت بمسارات السرد فى الرواية هى ما منحتها جدارتها مع الغموض المدهش الذى أحاط بالرحلة ككل، فتاجر العاج الأبيض كان واعيًا بسيكولوجية الأفارقة المحيطين به، وكان يومئ ويأتى بحركات وإشارات تجعلهم فى حال من الخضوع لتلك القوة المتوهمة التى أضحت لديهم من خوارق الطبيعة، وقد مثلها كورتز، وعبّر عنها السرد بديناميكية هائلة: «يجب أن نأخذهم بالقوة كالآلهة».

لم يكن نص جوزيف كونراد كتلة واحدة، وكانت تجربته الروائية «العميل السرى»، على سبيل المثال، مغايرة عما صنعه من قبل، فقد خرج فيها بكتابته من أجواء حميمة وإنسانية، ومفعمة بالقسوة والاستغلال فى الآن نفسه، بطلها بحاره العجوز دائمًا مارلو، وإذا كان البحث عن «العاج» فى قلب الظلام محاولة لاستكشاف الإنسان المقموع بفعل العنصرية والتمييز، فإن العميل السرى لم يكن سوى شخص يضع نفسه فى خدمة فكرة غوغائية أيًا كانت، تستولى عليه، وتحيله إلى مهووس بها، فيفعل أى شىء فى سبيلها، فالبطل المركزى فى الرواية «أدولف فيرلوك»، ينخرط فى جماعة فوضوية، وحينما تقوم إحدى المنظمات الإرهابية بتفجير مرصد جرينتش يسعى للتأثير غير العادل فى سير التحقيقات التى تجريها السلطات حول الانفجار، أما زوجته الوديعة التى تستنفرها تناقضات زوجها، وشبكة العلاقات الاجتماعية المحيطة بها وبأخيها المريض، فتبدو جميعها كاشفة عن عالم ثرى فنيًا ودلاليًا، لكنه يظل على المستوى الإنسانى مأزومًا بامتياز، يقوده الشر والتوظيف المنهج للبشر واستخراج أحطّ ما فيهم.

وبعد.. تسعى الرواية إلى معاينة فكرة الإنسان، إلى البحث عن ذلك الداخل الثرى، وتلمس العصب العارى داخله، ومساءلة الجاهز والنمطى، واستكشاف مناطق مجهولة فى الذات والعالم معًا، وهذا عين ما فعله جوزيف كونراد بجدارة، وشغف معًا.

تكشف الرواية فى جانب أصيل منها عن علاقة المُستعمِر بالمُستعمَر.. عن جدلية السادة والعبيد

هبط يوسف بك وهبى من سيارة أجرة قديمة مزدحمة بمجموعة من البشر الذين يرتدون ملابس التمثيل، وكان هو يرتدى ملابس بيومى أفندى بعد أن شاخ وتقدم به العمر، هبط بصعوبة من بين الركاب الذين يجهلونه تمامًا، بينما كنت أقف فى شارع عماد الدين الذى كان ما زال يحتفظ بكامل بهائه وعمارته المسرحية فى بداية القرن العشرين، أمسكت بيده وهو يهبط فوضع يده على كتفى، كان جسده الذى تضاءل يكاد يتلاشى فى السترة الطويلة الفضفاضة، ولا يزال محتفظًا بكامل هيئته لهذه الشخصية، الطربوش والعصا، والنظرة الطيبة التى تفيض بالمحبة والرضا، وقال لى مباشرة ودون مقدمات: لا تصدّق سمير العصفورى! كان مرهقًا وحزينًا، وأشار إلى مقهى لم أنتبه لوجوده فى الجهة المقابلة لمسرح الريحانى، رفع عصاه ناحية شخص يجلس إلى جوار النافذة ويصوب عيناه ناحية السماء فى جزء معتم من المشهد رغم أننا كنا فى وضح النهار، وقال لى: أبلغ صديقك أننا لا نجرجر الأكفان فنحن صنّاع النهضة المسرحية إذا كان لا يعلم! وكان يقصد الناقد فاروق عبدالقادر، لم أتكلم كنت فقط أستمع، استيقظت ولم أحكِ هذا الحلم لأحد، لكننى حاولت أن أعرف، لماذا اجتمع الثلاثة فى حلم واحد، ولماذا اقتحموا منامى؟

جرجس شكرى

فى عيد ميلاده الـ87

اللا منتمى

لماذا انحاز سمير العصفورى للمسرح الشعبى؟

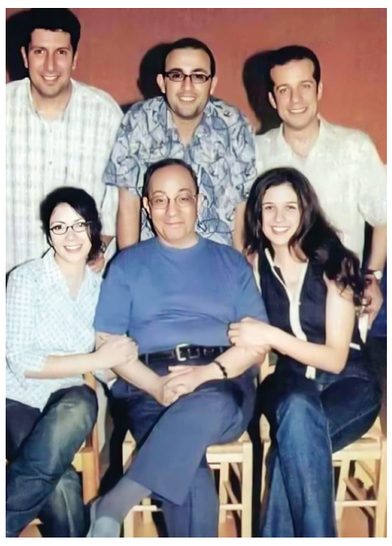

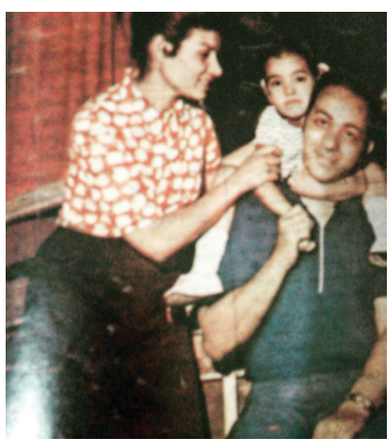

حدث ذلك تقريبًا عام ٢٠١٤ وكانت تدور بينى وبين سمير العصفورى مناقشات يومية تمتد بالساعات حول أزمة المسرح المصرى، وفجأة قال لى إنه سوف يعتزل الإخراج!- وبالطبع لم تكن المرة الأولى- فلا فائدة هذا ما قاله لى وأكمل: هؤلاء لا يريدون المسرح، صدقنى إنهم يكرهون المسرح، وكان يقصد المسئولين أو بالتحديد من يديرون العملية المسرحية فى مصر/ مسرح الدولة، وقبل سنوات من هذا الحلم أيضًا دار نقاش حاد بينى وبين الراحل فاروق عبدالقادر حول ما كتبه عن يوسف بك وهبى عام ١٩٦٨ حين قدم مجموعة من عروضه فى مسرح الجمهورية، حيث كتب مقالًا شديد اللهجة انتقد فيه هذا النوع من المسرح وصاحبه، وفى نهايته وجه رسالة إلى عميد المسرح العربى: «يا عزيزى يوسف بك وهبى بأعوامك الثمانين، وطربوشك المائل إلى اليمين، تبعث الصور القديمة فى غيبة البديل الحقيقى، وإذا فشلنا فى أن نقدم فكرًا وفنًا جديدين، فلا يجوز أن نلوم أحدًا إذا استبدت الصور القديمة، وخرجت الموتى تجرجر الأكفان». وكان يقصد بالموتى يوسف بك وأعماله! وفى محاولة فهم هذا الحلم سألت نفسى لماذا لم يقم بهذا الدور حمدى غيث الفنان الذى قدم العصفورى إلى عالم المسرح كمخرج محترف، حتى وإن كان بين العصفورى ويوسف وهبى حكايات ومواقف لا تخلو من دلالة، ولماذا استدعى عقلى الباطن يوسف وهبى ليمنع سمير العصفورى من الاعتزال فى الحلم؟ أعرف أنه كما حكى لى أى العصفورى حاول اقتحام عرين الأسد والتعرف على يوسف بك إعجابًا وتقديرًا، وبعد عدة لقاءات عابرة، حيث جمع بينهما المسرح مع المخرج كمال يس فى مسرحية «نور الظلام» وحكى لى أيضًا عن دعوته إلى مسرحية «زنزانة المجانين» فى مسرح الطليعة، ولكن هذا لم يكن كافيًا لبعث يوسف بك فى ملابس بيومى أفندى الساعاتى ليتدخل فى حياة سمير العصفورى المسرحية! فهل لأن قناعتى الشخصية منذ أن عرفته وأنا أشاهده صاحب مسرح وفرقة فى شارع عماد الدين أو هكذا كان يليق به فى عشرينيات القرن الماضى ليقدم مسرحية فى الشهر على الأقل، ربما كان هذا مبررًا للحلم! لقد حدثنى كثيرًا عن يوسف وهبى وهذا الجيل، ومن يتأمل حياة العصفورى ومشواره المسرحى يشعر بأنه ينتمى إلى حقبة الرواد الأوائل، فهو امتداد لهذه النهضة وكان يليق به أن يعمل مع عزيز عيد الذى أدى دوره فى مسلسل تليفزيونى فيما بعد، فهو من الجيل الذى قدم مسرحًا للشعب حتى إذا استعار أحدهم نصًا أجنبيًا أشبعه تمصيرًا ليظن مشاهده أنه ولد وكتب فى مصر، حيث الروح المصرية تسيطر على المسرح، والأعمال فى بنائها العميق تشكيل جمالى مؤقت فى الزمان والمكان والموضوع، يتحقق من خلالها حضور إنسانى يفيد أخلاقيًا واجتماعيًا، ليجسد فى النهاية الفعل الجماعى الشعبى، ورغم انتمائه إلى جيل الستينيات أو السبعينيات الذى اهتم معظمه بتقديم النظريات والمدارس المسرحية الحديثة على المسرح!

فمنذ أن عرفته وأنا لا أستطيع أن أشاهده بمفرده فى الحياة أو على خشبة المسرح، فدائمًا ما ستجد خلفه وإلى جواره وأمامه حشد من المسرحيين لا يفارقهم ولا يفارقونه وكأنه يصافح كل يوم طابورًا طويلًا يبدأ من جورج أبيض وعزيز عيد، ويمر بيوسف وهبى ونجيب الريحانى ووصولًا إلى حمدى غيث ونبيل الألفى وسعد أردش وكرم مطاوع، فقد عاصر وتأثر بكل التيارات الفنية المسرحية التى تعرض لها المسرح المصرى سواء فى النصف الأول من القرن العشرين، أو مرحلة ما بعد يوليو ١٩٥٢ وما يعرف بنهضة الستينيات، فلم يكن كغيره حبيس قالب مسرحى واحد أو مدرسة واحدة، حفظ أسلوبًا وآمن به وارتاح إليه وانتهى الأمر مثل أجيال عديدة ظهرت فى سبعينيات القرن الماضى! واستمرت فى العقود الأربعة الأخيرة تجتر ما حفظته من مناهج أو نظريات فارغة وتقدم مسرحًا للمقاعد الخالية أيضًا وفى أحسن الأحوال للمسئولين ولجان التحكيم! لكن سمير العصفورى ابن المدرسة المسرحية المصرية التى تأثرت منذ نشأتها بكل التيارات الغربية وحاولت أن تجد لنفسها مكانًا فى عالم المسرح من خلال هضم واستيعاب هذه المدارس والبحث عن مسرح مصرى أصيل ذى طابع شعبى يستفيد من فنون الفرجة، ومن التيارات المسرحية الحديثة، ويطرح أسئلة الواقع وأرى أنه «اللا منتمى» الذى لم يقف أو يحبس نفسه فى أسلوب أو اتجاه، إذ قدم بريخت ويونسكو ودورينمات وأحمد شوقى وبيرم التونسى وتشيكوف وت.س إليوت، ثورنتون وايلدر، بيراندللو وصلاح عبدالصبور وميخائيل رومان ولوركا، وشوقى عبدالحكيم ونجيب محفوظ، وقدم أعماله فى مسرح الدولة سواء مسرح التليفزيون أو هيئة المسرح أو الثقافة الجماهيرية، ومسرح القطاع الخاص، وفى كل الأحوال يعتبر نفسه صاحب العرض تأليفًا وإخراجًا وتمثيلًا، فهو شريك فى كل مفردات العرض المسرحى، الكتابة والتمثيل والغناء، ولكن لا يشارك أحد رأس العصفورى فى فكره ورؤيته، إذ يصف نفسه: «أنا رجل أقرأ الحكايات التى يكتبها الآخرون وأعيد قراءتها وأرويها أمام الناس مستخدمًا كل الحيل الفنية التى تجعل الحكاية جميلة ومدهشة»، والعصفورى صاحب حيل عظيمة وقدرات لا يعرفها ولا يمتلكها سواه، وقد استمد هذه الحيل من حياة حافلة بالدراسة فى مصر وفرنسا ومن العمل والتلمذة على يد كبار المسرحيين ومن القراءة المستفيضة والدائمة فى شتى مفردات العرض المسرحى، فهو ينظر إلى هذا الفن على أنه «حرفة وليس قيمة إضافية زائدة للحضارة»، وقد توقفت أمام هذا التوصيف كثيرًا فهو يدل على شخصيته المسرحية، فالمسرح بالنسبة له حياة بكل معناها أو قل بمعناها العميق، والجمهور يذهب إلى المسرح لا ليشاهد نفسه فقط بل ليعيش جزءًا من حياته اليومية، ودائمًا ما يمزج العصفورى فى رؤيته للمسرح بين حملة الشواكيش والمقشات الذين يعملون فى المسرح جنبًا إلى جنب مع حملة الفكر وفلسفة المسرح، وهذا ما جعله يقدم المسرح للجمهور وليس للمقاعد الفارغة، فزمن العرض جزء مستقطع من الحياة اليومية، وليس من المدارس والنظريات التى يطبقها البعض كحمار يحمل أسفارًا. لقد تعلم المسرح فى قاعة الدرس فى معهد الفنون المسرحية وذهب إلى بلاد المسرح ليشاهد عروض الكوميدى فرانسيز والأبديون ومسرح المدينة «سارة برنار سابقًا» والأوبرا كوميك وكل مسارح قصور الثقافة الباريسية، ومن قبل ومن بعد مارس فن المسرح فى المدرسة فى بورسعيد ثم فى جامعة عين شمس فى كلية الآداب قسم اللغة العربية ليدرس اللغة العربية وآدابها على يد د. عبدالقادر القط ومهدى علام والمعيد فى ذلك الوقت عزالدين إسماعيل، وقبل أن يدرس أرسطو وشكسبير ويتعرف على يونسكو وبيكت وسارتر، سافر إلى أسلافه العرب ودرس أبوتمام والبحترى والمتنبى والشعراء الصعاليك وسيبويه وألفية ابن مالك والنحو والصرف، وربما حفظ سينية البحترى ونونية ابن زيدون ومعلقة عمرو بن كلثوم أو حتى أبياتًا من هذا التراث وصولًا إلى الأدب الحديث وشعراء المهجر، جبران خليل جبران وإيليا أبوماضى، وذلك إلى جانب هاملت وعطيل ومكبث وثورنتون وايلدر ودورينمات مع بيرم التونسى وأحمد شوقى، والمخرج المسرحى سمير العصفورى مزيج من كل هؤلاء أو قل ناتج هذه الثقافات المتعددة بكل أطيافها! فحين يقدم ياعنتر ليسرى الجندى يقدم شخصية من التراث العربى من شعراء الجاهلية برؤية معاصرة تجسد شخصية هذا المخرج.. وحين يقدم الإخوة كارامازوف لدوستويفسكى تتحول إلى أولاد على بمبة وهبط الملاك فى بابل لدورينمات تصبح سلطان زمانه، وهكذا فى كل أعماله وجميع مراحله الفنية.

سافر إلى فرنسا ليكمل دراسته وعاد ليقدم مسرحًا مصريًا بكل أطيافه

فى سيرته الذاتية «المسرح وأنا» يحكى صفحات عن طفولته التى سوف تحدد شخصيته فيما بعد، فقد نشأ ونما وعيه مع إنزال صورة الملك فاروق من على الحوائط ووضعها فى المخازن أو التخلص منها، وبمعنى أدق التخلص من حقبة تاريخية بكل مفرداتها ليس فقط السياسية بل الثقافية والاجتماعية! وصعود نجم الحركة المباركة كما كان يسميها توفيق الحكيم أو ثورة يوليو فيما بعد بكل أحداثها وأفكارها فهو ابن هذه الحركة، الابن المخلص، اقتحم العدوان الثلاثى مدينته بورسعيد ودراسته الجامعية أيضًا، فهو من الجيل الذى آمن بالمسرح ودوره تحت وابل من قصف ثلاث دول بالمدفعية لمصر، آمن بدور المسرح على ضوء الشموع أثناء الحرب، لقد عرف المسرح فى المدرسة ثم فى الجامعة، مارس الإخراج والتمثيل وقدم العديد من المسرحيات، وقبل أن يلتحق بمعهد الفنون المسرحية كان قد عمل مخرجًا مسرحيًا ودرس اللغة العربية، ثم سافر إلى فرنسا ليكمل دراسته وعاد ليقدم مسرحًا مصريًا بكل أطيافه بدءًا من كلاسيكيات المسرح العالمى وصولًا إلى المسرح الاستعراضى بطولة الراقصة فيفى عبده ومرورًا بكل الاتجاهات والأساليب المعاصرة والقديمة، الشعبية وما بعد الحداثية.

وسوف يظل سمير العصفورى- ٢٧ فبراير ١٩٣٧- أحد أهم مخرجى المسرح ليس فقط المصرى بل والعربى عن جدارة منذ يعقوب صنوع وعزيز عيد وحتى وقتنا هذا، ليس لأنه قدم عروضًا مسرحية مدهشة على المستوى التقنى، ليس لأنه درس وتعلم وقرأ كما يجب وتتلمذ على يد كبار المسرحيين من جيل الأساتذة، وليس فقط لأنه لا يؤمن بالفهلوة والبلطجة والنفاق وهى طرق يستخدمها البعض فى الإخراج والتأليف والتمثيل والكتابة، بل درس وتعلم جيدًا وسافر إلى أوروبا وعاد أكثر وعيًا بقيمة المسرح المصرى، ليس لأنه برع فى المسرح العالمى والمسرح الشعبى المصرى ومسرح القطاع الخاص، وقدم التراجيديا والميلودراما والعبث والكوميديا والمسرح الاستعراضى، بالإضافة إلى كل هذا استطاع سمير العصفورى منذ أعماله الأولى أن يقرأ بعمق الواقع المصرى، وأن يجسّد على خشبة المسرح وينقل ليس فقط قضايا الواقع ولكن إيقاع اللحظة الراهنة، فحين يدخل المشاهد إلى عروضه لا يشعر باختلاف كبير بين زمن العرض والزمن الذى يعيشه فى يومه العادى خارج المسرح، فكل المفردات على مستوى الصورة والحركة والحوار تؤكد على هذا الإيقاع، وأذكر أننى سألته مرة عن أسباب اللجوء إلى التراث والمسرح الشعبى بعد عودته من البعثة الدراسية فى فرنسا ولماذا قدم شوقى عبدالحكيم وبيرم التونسى ويسرى الجندى، وكان قد قدم قبل السفر مجموعة من روائع المسرح العالمى، الدرس ليونسكو وروموالوس العظيم لدورينمات والخاطبة لثورنتون وايلدر، وجسر أرتا لجورج ثيوثاكا، فقال لى: بعد العودة من لحظة تاريخية وهى معايشة ثورة الطلاب فى فرنسا ٦٨، وخاصة فيما يتعلق بالمسرح الذى كان له تأثير كبير ليس فقط فى فرنسا بل فى العالم كان لا بد أن أعيد النظر فى أشياء كثيرة، وأضاف: كنت فى لقاء مع سعدالله ونوس فى ضيافة وحيد النقاش فى باريس وكان هناك مجموعة من العرب، وسألنى ونوس لماذا تقدم مسرح العبث، أين قضايا الواقع العربى، أين القضية الفلسطينية، وشعرت بأن الأسئلة ليست غوغائية، بل تنم عن وعى سياسى، وكان وحيد النقاش منحازًا لى، نعم همى لم يكن تقديم قضايا الواقع كما وصفها ونوس، لم أكن منحازًا للهموم الواقعية، كان همى تدمير ما هو موروث من أشكال لم تعد صالحة لزماننا، وإعادة بناء ما يناسب الواقع، ودار الحديث حول مسرح عربى، ومن يومها وأنا أفكر وكانت النتيجة ما قدمته.. وكانت النتيجة المغامرة غير المحسوبة التى يخوضها فى كل عرض مسرحى.

أقول له فى عيد ميلاده السابع والثمانين:

«إذا كان عزيز عيد قد وضع قواعد للإخراج المسرحى وهو أول من حدد ورسم دور المخرج المسرحى وأهميته فى العرض فى بداية القرن العشرين، فإن سمير العصفورى بلور فكرة المخرج المسرحى المصرى، فثمة هوية للإخراج المسرحى المصرى تبلورت على يد سمير العصفورى وفى أعماله وإن كان آخرون من قبله مهدوا الطريق الذى سار عليه، ففى كل أعماله سواء فى المسرح العالمى، أو العروض القائمة على نصوص مسرحية مصرية أو أعمال القطاع الخاص التى لا تعتمد كثيرًا على النص، ثمة هوية واضحة للعرض المسرحى المصرى الذى يستفيد من كل الظواهر التراثية وأيضًا المدارس الغربية الحديثة».

سوف يظل سمير العصفورى أحد أهم مخرجى المسرح ليس فقط المصرى بل والعربى عن جدارة منذ يعقوب صنوع وعزيز عيد وحتى وقتنا هذا

ما تبقى من الشيوعية وهتلر فى شوارع براغ

مدينة الأسرار والقلاع

2

قصة براغ بدأت من أسطورة، بطلتها هى الدوقة التشيكية فى القرن الثامن ليبوش وزوجها بريميسل، مؤسس سلالة بريميسليد، تقول الأسطورة إن ليبوش وقف على منحدر صخرى فوق نهر فلتافا وتنبأت قائلة: «أرى مدينة عظيمة سوف يمس مجدها النجوم»، وأمرت ببناء قلعة وبلدة تسمى براغ فى الموقع.

لم تبخل على براغ بشىء.. منحتى صورًا من كل العصور والأزمنة فى أسبوع واحد فقط، تتنقل بسرعة من عصر لعصر، حتى أسرع من آلة الزمن، أول ما رأيت فى براغ كانت العربات التاريخية التى تجرها الخيول.. تسير فى الشوارع، وفى الطريق إلى البلدة القديمة رأيت عرضًا بملابس تنتمى إلى العصر البوهيمى! سألت أحد التشيكيين: هل اليوم هى ذكرى لحدث ما؟ أجاب: لا.. هذه عروض مستمرة، هكذا نتذكر تاريخ مدينتنا، وهكذا نعرف السياح عليها.

كان صادقًا، لكن على الرغم من العروض، لا تزال براغ مدينة تخبئ أسرارًا، لكنها تعرض التاريخ، لا يمكن للمدينة أن تخفى ما عاصرته وشهدته، حتى لو كانت غامضة، فالشوارع والبنايات والجسور تحكى.. تحكى بدون توقف.

براغ مدينة سكانها، ليس لزوارها، من زار العواصم الكبيرة فى العالم مثل روما ونيويورك وباريس وبرشلونة سيفهم معنى أن تكون المدينة مُحتلة من الضيوف والمهاجرين والسياح واللاجئين، براغ لا، براغ هى مدينة أهلها، ربما فى البلدة القديمة، تشعر بأنها مدينة للزوار عندما ترى الأفواج من السياح تشعر بأنها احتلت، لكن فى أحياء المدينة الأخرى وشوارعها وأزقتها سترى التشيكيين كثيرًا. ستعرفهم بدون جهد، ومهما كنت طويلًا، فهم أطول منك. أقصر تشيكى يتجاوز 190 سم.

سارة شريف

1 القلعة التى تحولت إلى مدينة

اكتشاف براغ صعب، الخيوط متشابكة، كل ما تراه عيونك اليوم مرتبط بشكل أو بآخر بشىء ما حدث فى الماضى.

بدأت براغ كقلعة، من المستوطنة المحصنة التى كانت موجودة فى الموقع منذ عام ٨٠٠، حيث يعود تاريخ البناء الأول تحت قلعة براغ إلى عام ٨٨٥، ثم تم إنشاء حصن براغ البارز الآخر، وهو حصن بريميسليد فيسيهراد، فى القرن العاشر، أى بعد حوالى ٧٠ عامًا من تأسيس قلعة براغ.

وأصبحت المنطقة مقرًا للدوقات، ومن ثم مقرًا لملوك بوهيميا، ثم أصبحت براغ مقرًا مهمًا للتجارة حيث استقر بها التجار من جميع أنحاء أوروبا، بما فى ذلك العديد من اليهود، كما ذكر ذلك التاجر والمسافر اليهودى الإسبانى أبراهام بن يعقوب فى عام ٩٦٥.

توسيع المدينة فيما حول القلعة جاء بالتدريج، فى عام ١٢٥٧، فى عهد الملك أوتوكار الثانى، تم تأسيس مالا سترانا «الحى الأصغر» الذى كان يقع على الضفة المقابلة لـStaré Mesto «المدينة القديمة».

ازدهرت براغ فى عهد تشارلز الرابع، الإمبراطور الرومانى المقدس وملك بوهيميا من أسرة لوكسمبورج الجديدة، فى القرن الرابع عشر «١٣٤٦-١٣٧٨». بصفته ملك بوهيميا والإمبراطور الرومانى المقدس، قام بتحويل براغ إلى عاصمة إمبراطورية، أمر تشارلز الرابع ببناء منطقة المدينة الجديدة التى تسمى «نوفى ميستو» المجاورة للمدينة القديمة ووضع التصميم بنفسه، كما تم بناء كاتدرائية القديس فيتوس القوطية، داخل أكبر ساحات قلعة براغ، فى موقع القاعة المستديرة الرومانية هناك، وهنا يمكن لمس براغ الأولى.

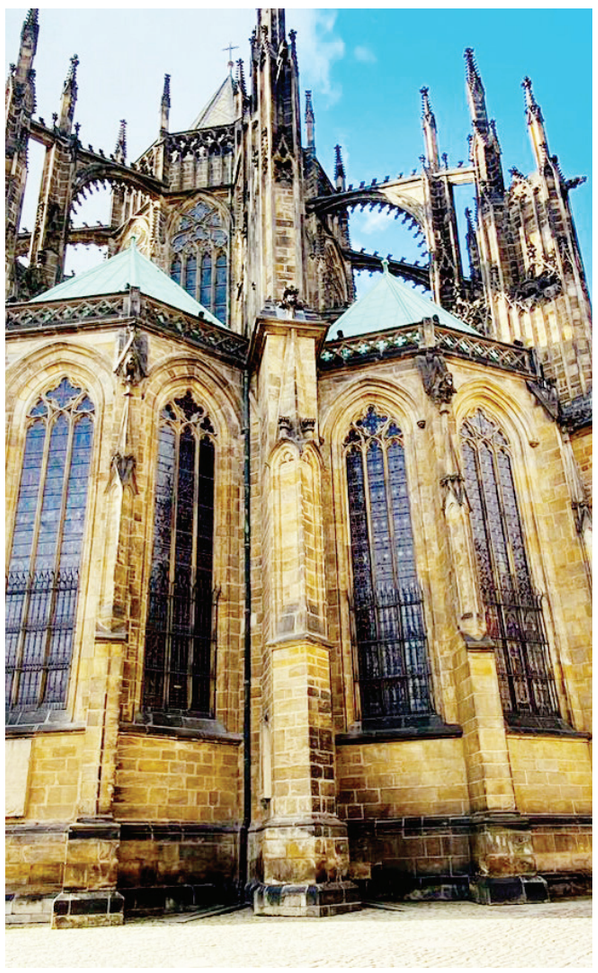

2 عاصمة الممالك

ادعى المؤرخ اليهودى ديفيد سولومون غانز أن المدينة تأسست باسم Boihaem فى عام ١٣٠٦ قبل الميلاد على يد الملك القديم بويا، وفى حوالى القرن الخامس والرابع قبل الميلاد، ظهرت قبيلة سلتيك فى المنطقة، وأنشأت لاحقًا مستوطنات، سميت المنطقة بوهيميا وهو ما يعنى «موطن شعب بوى».

حتى أصبحت براغ هى العاصمة التاريخية لمملكة بوهيميا، ومقر إقامة العديد من أباطرة الرومان المقدسين، أبرزهم تشارلز الرابع «حكم من ١٣٤٦ إلى ١٣٧٨» ورودولف الثانى «حكم من ١٥٧٥ إلى ١٦١١»، وكانت مدينة مهمة لملكية هابسبورج والإمبراطورية النمساوية المجرية.

لعبت المدينة أدوارًا رئيسية فى الإصلاحات البوهيمية والبروتستانتية، وحرب الثلاثين عامًا وفى تاريخ القرن العشرين باعتبارها عاصمة تشيكوسلوفاكيا بين الحربين العالميتين والعصر الشيوعى بعد الحرب، لم يكن أحد يتوقع أن نبؤة الدوقة ستصبح حقيقة، وستتحول براغ من مجرد مستوطنة إلى عاصمة دولة أوروبية حديثة، ولكن للحظة ستشعر بأنها لا تزال «مدينة بوهيميا» القديمة.

فى شوارع براغ، سترى اسم «بوهيميا» كثيرة على اللافتات والمحال، وسط البضائع وفى القطع التذكارية، والمعنى واضح، لا تزال براغ تعتبر نفسها عاصمة المملكة. كنا نعرف البوهيميين على أنهم الأشخاص الجامحون الذى يفعلون كل شىء بطريقتهم، لا يمكنك استبعاد هذا المعنى عن بوهيميا التى تراها فى براغ، فالتشيكيون هادئون، غير متطفلون، يفعلون ما يحلو لهم بالطريقة التى تحلو لهم. لا يزعجونك ومطلوب منك ألا تزعجهم.

3 مدينة الاضطرابات

لم تكن فقط، فى قلب «الممالك» كانت أيضًا فى قلب «تجارة أوروبا»، كانت بالمدينة دار سك العملة وكانت مركزًا تجاريًا للمصرفيين والتجار الألمان والإيطاليين. ومع ذلك، أصبح النظام الاجتماعى أكثر اضطرابًا بسبب القوة المتزايدة لنقابات الحرفيين «التى غالبًا ما تمزقها الصراعات الداخلية».

تم بناء جدار الجوع، وهو جدار تحصين كبير جنوب «البلدة الصغيرة» ومنطقة القلعة، أثناء المجاعة فى ستينيات القرن الرابع عشر، حيث أمر ببنائه تشارلز الرابع كوسيلة لتوفير فرص العمل والغذاء للعمال وأسرهم.

توفى تشارلز الرابع عام ١٣٧٨. وفى عهد ابنه الملك وينسيسلاوس الرابع «١٣٧٨-١٤١٩»، أعقب ذلك فترة من الاضطرابات الشديدة، والتى لم تكن بسبب الاقتصاد بل الدين أيضًا، خلال عيد الفصح عام ١٣٨٩، أعلن أعضاء رجال الدين فى براغ عن أن اليهود دنسوا القربان «الرقاقة الإفخارستية» وشجع رجال الدين على نهب وحرق الحى اليهودى، قُتل ما يقرب من جميع السكان اليهود فى براغ «٣٠٠٠ شخص»، فى الحى اليهودى ستسمع تلك الحكاية، ولكنك فى الوقت نفسه سترى كم تقدر براغ تاريخ «يهودها».

كانت المدينة أيضًا، فى قلب إصلاحات الكنيسة، ففى عام ١٤٠٠، كان عدد سكان براغ ٩٥,٠٠٠ نسمة، مما يجعلها ثالث أكبر مدينة فى أوروبا «بعد باريس والبندقية»، وبدأت المدينة حينذاك تخطو خطواتها فى طريق إصلاحات الكنيسة عندما ألقى جان هوس، عالم لاهوت ورئيس جامعة تشارلز، وعظًا فى براغ لما أسماه إصلاحات جذرية للكنيسة الفاسدة، وبعد أن شعرت قيادات بأنه أصبح خطيرًا جدًا على المؤسسة السياسية والدينية، تم استدعاء هوس إلى مجلس كونستانس، وتم تقديمه للمحاكمة بتهمة الهرطقة، وتم حرقه فى كونستانز عام ١٤١٥، وبعد أربع سنوات، شهدت براغ أول عملية إلقاء من النوافذ، عندما تمرد الناس بعد وفاة هوس، حيث عرفت المدينة طريق الانقسامات.

فى عام ١٦١٨، أثارت عملية الرمى الثانية الشهيرة فى براغ حرب الثلاثين عامًا، وهى فترة قاسية بشكل خاص بالنسبة لبراغ وبوهيميا. تم خلع فرديناند الثانى ملك هابسبورج، واستولى فريدريك الخامس على مكانه كملك على بوهيميا، تم تحويل براغ قسرًا إلى الكاثوليكية الرومانية، ثم دخلت المدينة الحرب على إثر هجوم شنه ناخبو ساكسونيا «١٦٣١». فى عام ١٦٨٩، دمر حريق كبير مدينة براغ، لكن هذا أدى إلى تجديد المدينة وإعادة بنائها، وفى الفترة من ١٧١٣ إلى ١٧١٤، ضرب الطاعون مدينة براغ.

4 مقر الحرب على الشيوعية

التشيكيون ينتقضون بطبيعتهم، ويرفضون ما لا يريدونه بقوة، عندما انتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة الإمبراطورية النمساوية المجرية وإنشاء تشيكوسلوفاكيا، تم اختيار براغ كعاصمتها وقلعة براغ كمقر للرئيس توماش جاريج ماساريك. فى ذلك الوقت كانت براغ عاصمة أوروبية حقيقية تتمتع بصناعة متطورة للغاية، فى ١٥ مارس ١٩٣٩، أمر هتلر الجيش الألمانى بدخول براغ، وفى اجتماع ميونخ اعتقد الحلفاء أنه إذا تم منح هتلر تشيكوسلوفاكيا فسيتوقف عن غزو باقى الدول.

ومن قلعة براغ أعلن هتلر بوهيميا ومورافيا محمية ألمانية، وكانت حينذاك تضم عددًا كبيرًا من السكان اليهود التشيكيين والألمان «ومعظمهم من السكان الأصليين الناطقين باللغة الألمانية»، وبعد دخول هتلر تم ترحيل معظم اليهود وقتلهم على يد الألمان.

فى عام ١٩٤٢، شهدت براغ اغتيال أحد أقوى الرجال فى ألمانيا النازية- راينهارد هايدريش- خلال عملية الأنثروبويد، التى أنجزها الأبطال الوطنيون التشيكوسلوفاكيون جوزيف جابسيك ويان كوبيش، وأمر هتلر بأعمال انتقامية دموية.

فى ٥ مايو ١٩٤٥، قبل يومين من استسلام ألمانيا، حدثت انتفاضة فى التشيك ضد ألمانيا، حيث قُتل عدة آلاف من التشيك خلال أربعة أيام من القتال الدموى فى الشوارع، وعند فجر يوم ٩ مايو، استولى جيش الصدمة الثالث التابع للجيش الأحمر على المدينة دون معارضة تقريبًا. الأغلبية «حوالى ٥٠,٠٠٠ شخص» من السكان الألمان فى براغ إما فروا أو طُردوا وتم تحرير براغ.

وبعد ذلك أصبحت براغ مدينة فى بلد خاضع للسيطرة العسكرية والاقتصادية والسياسية للاتحاد السوفيتى، وبدأت براغ رحلة أخرى فى مقاومة الشيوعية التى عرفت فيما بعد بربيع براغ، والذى كان يهدف إلى تجديد المؤسسات السياسية بطريقة ديمقراطية.

وهو ما دفع الاتحاد السوفيتى لقمع هذه الإصلاحات من خلال غزو تشيكوسلوفاكيا والعاصمة براغ فى ٢١ أغسطس ١٩٦٨. وقد أدى الغزو بواسطة المشاة والدبابات إلى قمع أى إصلاحات بشكل فعال.

لكن براغ انتفضت لاحقًا عدة مرات، حتى عام ١٩٨٩ عندما صدّت شرطة مكافحة الشغب مظاهرة طلابية سلمية، اكتظت شوارع براغ بالثورة المخملية، واستفادت عاصمة تشيكوسلوفاكيا إلى حد كبير من المزاج الجديد، حتى سقوط الستار الحديدى، ثم انقسمت تشيكوسلوفاكيا إلى دولتين «التشيك» و«سلوفاكيا».

من يسر فى براغ فسيجد نفسه محاصرًا بتلك الأحداث، الجدران ترسم الجرافيتى وتتذكر، الميادين التى شهدت الاضطرابات تحكى القصص، المسيرات التى تحيى الذكرى تتحرك، المدينة تتذكر، وستذكرك فى كل فرصة تسنح لها، كيف تحولت براغ من أسطورة إلى حقيقة، وكيف صمدت أمام كل فرصة لهدمها.

مثلما ترى «بوهيميا» فى مكان، سترى أيضًا «بقايا التاريخ الشيوعى» فى شوارع براغ، وبينما «الفخر» هو ما يربط براغ ببوهيميا، فإن «الرفض» هو ما يربط براغ بـ«الشيوعية».

وقفت لأكثر من ساعة فى ميدان «وينسلست»، حيث ثار الشعب ضد الشيوعية، وعندما رأيت صور الاحتجاجات العنيفة، لم أصدق أن هذا الميدان الواسع الأنيق شهد أقسى عاصفة احتجاجات عرفتها براغ.

> فى عام 1942 شهدت براغ اغتيال أحد أقوى الرجال فى ألمانيا النازية «راينهارد هايدريش» خلال عملية الأنثروبويد

السويس بين المقاومة وفقر الإبداع

المدينة التى تطل على أهم مجرى ملاحى، التى فُرض عليها العدوان، المدينة التى اختارت المقاومة، ولعل خيار المقاومة وما تبعه هو الذى شكل ملامح الإبداع، وأثر بالإيجاب والسلب على المنتج الإبداعى، وقد فرض ملامح خاصة لتجربة الكتابة بجناحيها النثرى والشعرى، ولعل خير مثال هو تشكل النموذج لدى جناحى الكتابة قبل وبعد نكسة ٦٧ «الراوى- غزالى»، وقد كانا التعبير الحقيقى والمؤسس للتجربة فى هذه الحقبة.

1 محمد الراوى وكتابة الوعى

الراوى واحد من الروائيين الذين يحتلون مكانًا فى الصف الثانى لجيل الستينيات، ولعل عزلة الأقاليم عن المركز الثقافى فى تلك الفترة عطلت مشروع الراوى، وأسس الراوى لكتابة؛ المدينة هى متنها فى أغلب رواياته ومجموعاته القصصية، لكنها كتابة تتبنى بُعدًا فلسفيًا، ذلك أنه كان وجوديًا، وأسس الراوى بعد العودة من التهجير ندوة الكلمة الجديدة التى ضمت كثيرين من رفاق الكتابة الروائية، منهم «على المنجى، محمد عطا»، ولعلها لم تنتج غير عدد قليل من المبدعين «أمينة زيدان، سناء فرج» وتوقفت التجربة، وظل الراوى شيخًا وصاحب طريقة كبيرة لم تُفسح المجال لإنتاج مشاريع روائية كبيرة فى الأجيال التى تلتها، غير أن جيلًا من الشباب الآن يحاول إنتاج كتابة بجهد فردى، ودون دور للمؤسسات الثقافية التى باتت معطلة، ومن الأسماء التى تحاول أن تنتج كتابة جديدة «ماريان أنور، مريم سمير، إيمان الوكيل، محمد أيوب، طارق الأزنجى».

2 خندق غزالى

الظرف التاريخى «حرب الاستنزاف» ظهر جليًا فى حركة الشعر فى السويس، فرض شعر المقاومة نفسه باعتباره المعبر عن الحدث الوطنى، وبالطبع اختار العامية المصرية كلغة للتعبير وتوارت الفصحى، وأصبح قاموسه محصورًا فى مفردات قليلة ترتبط بحالة الحرب والصمود والمقاومة، بل إنه تخلى فى كثير من الأحيان عن فنيات الشعر لصالح الخطاب و«الشعارية»، أزاح حتى التجارب الإنسانية، ومنها تجربة الشاعر عطية عليان، وكان الكابتن غزالى هو المُعبِّر الحقيقى عن هذه التجربة، لكنها تجربة اتسمت بالإقليمية ولم تحفر فى العقل الجمعى مكانًا خاصًا، وكانت هناك تجارب أخرى مثل تجربة الشاعر كامل عيد رمضان كتعبير عن المقاومة؛ وإن كانت تجنح إلى الإنسانية وهموم الذات فى أحيان كثيرة، ومن الغريب ومن الفهم المغلوط للأصالة والهوية، لا تزال كتابات كثيرة تنتهج نفس النهج فى محاولة لاستنساخ تجربة انتهى ظرفها، حيث تفشت ظاهرة كتابة الزجل باعتباره قصيدة عامية ودون أى جماليات فنية وجهل بالفروق بين أشكال الشعر.

3 الانتصار للشعر

مع جيل الثمانينيات بدأت بعض التجارب الحقيقية والمشاريع فى كتابة تحاول أن تنتصر للشعر؛ أمثال كتابات «محمود جمعة، محمد التمساح، أحمد أبوسمرة، حاتم مرعى، مجدى عطية»، ولحقت بهم كتابات لشعراء التسعينيات، ومنهم «محمد عبدالمعبود، أمير لبيب، إبراهيم أبوسمرة» هذا بالنسبة للعامية، لكن الأمر مختلف بالنسبة للفصحى، حيث لم تنجز مشاريع شعرية فى جيل الثمانينيات إلا لشاعر واحد هو الراحل درويش مصطفى، والشاعر سيد عبدالرحيم الذى توقف عن الكتابة، وأحمد عايد كتسعينى، وبعض التجارب الشابة.

السويس على مستوى الكتابات النقدية فقيرة جدًا، وكان لذلك أثر كبير على المنتج الإبداعى فى المدينة، حتى من تصدوا لقراءة الأعمال كانوا غير مؤهلين وبغير موهبة؛ أستثنى من هؤلاء صالح السيد وإبراهيم عاطف كباحثين لهما منتج من القراءات النقدية لكنها لا تلتفت إلى كتابات السويس.

المؤسسات الثقافية أسهمت بشكل كبير فى فقر المنتج الإبداعى، بل إنها عبر سلاسل الكتب الصادرة عنها منحت الكثير من الكتابات صفة إبداعية، ورغم عدد المنتديات والصالونات الكثيرة فى السويس إلا أنها أصبحت كجزر لا تعبر إلا عن أصحابها، ولم تسهم فى تشكيل حركة كتابة حقيقية.

إبراهيم جمال الدين

مريم سمير

إشاعة

أبوالهول تكلم.. كانت هذه هى الإشاعة التى سمعتها منذ ساعة والتى غطت مصر كلها ولم أصدقها.. كيف أصدقها وأنا كلاجئ تحت قدمى أبوالهول انتظر منه الكلام ولم يتكلم، فكيف يفعلها الآن وكيف يتكلم مع غيرى، أتراه نسى الأيام الطويلة التى كنت أجلس فيها عند قدميه، والساعات التى كنت أتحدث فيها إليه بدون رد، حتى حسبنى العمال والسياح من المجاذيب أو من المدمنين الذين ذهبت المخدرات بعقولهم..

لم يفهمنى سوى سائح عجوز بوجه أحمر سلقته الشمس؛ فجأة انحنى علىّ وأنا جالس وربت على كتفى وقال بإنجليزية بريطانية: لن يتكلم فلا تتعب نفسك، لن يتكلم مهما انتظرت.

ألقيت إليه بنظره تحد ولم أرد، وها أنا الآن أسمع هذه الإشاعة التى تكاد تخلع قلبى من مكانه ولا أصدق.. أصحيح تكلم؟ ومع من وماذا قال؟.

أسئلة كثيرة حملتنى حتى وصلت إلى مكانه، كان كما هو يجلس باسترخاء بجانب الأهرامات، وينظر بضيق إلى البشر المتجمعين تحت قدميه، لم أكن وحدى من سمع الإشاعة، لذا جاءت جموع من البشر لكى تراه وتقف على هذه المعجزة؛ كلام أبوالهول..

لكنه لم يتكلم بل إنه حتى لم يتحرك فيه شىء، وأنا أقدر واحد على هذا القول؛ لأنى رأيته كثيرا حتى حفظت ملامح وجهه بكل ما فيه، من أصغر ندبة على جبهته حتى أنفه وذقنه المكسورتين..

وقفت وأنا أشارك أبوالهول نفس الضيق من هؤلاء البشر المختلفين فى كل شىء لكنهم مجتمعون عليه. جلست غير بعيد فى ظل حجر وركزت نظرى على شفتيه؛ أتراه يتكلم حقًا.. أتراه يفعلها؟..

كان كل تفكيرى يدور فى هذا الفلك طوال اليوم، ولم ألاحظ أن الشمس كلما تحركت نحو المغيب اختفى عدد من الناس، وعندما وصلت الشمس لمغربها كان لم يبق سواى فى الساحة الممتدة تحت قدميه، جالسًا فى مكانى لم أتحرك، وفتى صغير السن وحبيبته التى قالت: كنت أعتقد أن هذا اليوم سيكون رومانسيًا، لكنى لم أحصل منه سوى على صداع فى رأسى.. هيا بنا.

انسحب الاثنان مكللين بخيبة الأمل، وهنا نظر أبوالهول إليهما بعينين تملؤهما السخرية. صرخت لكى يصل صوتى إليه: أنت لم تتكلم أليس كذلك؟ وجه إلى ابتسامة ساخرة ولم يعقب.

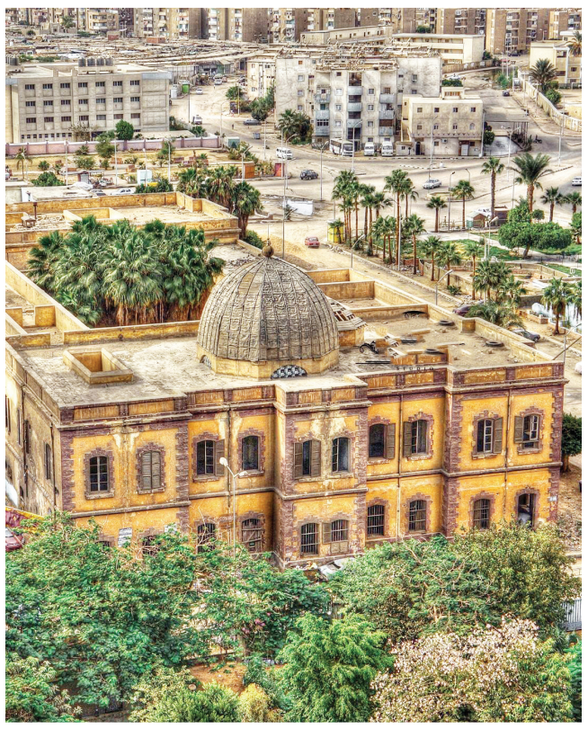

طارق الأزنجى

فى المقهى الذى أشيشُ فيه

فى المقهى الذى أشيشُ فيه كل يوم،
أرى رجالًا يمرحون بصدق،
وآخرون تغتالهم الوحدة
ويؤنسهم جمر الشيشة ورائحة المعسل الرائقة.

فى المقهى الذى أشيشُ فيه كل يوم،
أعثر على جزء هارب من ذاتى،
تطفئ نيرانه
سحبات الأنفاس المتتالية،
وينتشى بأثر المعسل المُهدئ.

فى المقهى الذى أشيشُ فيه كل يوم،
وجدت ظل عمى الميت،
ذلك الرجل الذى
كان يخلط المعسل بالحب كل ليلةٍ
ويدخن من الأحجار أربع،
بيد أنه فى يومٍ بارد
شعرَ بالكرم تجاهى
فرصَّ لى أنا الفتى
حجرًا منهم
ودخن ثلاثًا وحكى لى
قصة حياته المليئة بالخيبات المتتالية.

فى المقهى الذى أشيشُ فيه كل يوم،
التقيت بصديقى الغائب
مصادفة،
أخذنا السمر ولم نُفِق من سكرة اللقاء
حتى غيَّر لنا النادلُ حجرين
وصب لنا كوبى شاي مُنعنع
وجلس فى ركن من مقهاه يبكى،
لا لشيء
إلا لأن المعسل قد نفد
ولم يجد من يهديه نفسًا.

فى المقهى الذى أشيشُ فيه كل يوم،
يعلو السباب
لأن أحد رواده يقرُص على الزهر
فيأتى بشيش فى كل رمية،
أمَّا صديقه عثر الحظ
يقرص هو الآخر
ولا يأتيه سوى يك الدو،
يا إلهى أنجهِ من العثرة
فلا مفر له من الأحزان
سوى هذه الطاولة.

فى المقهى الذى أشيشُ فيه كل يوم،
جلس أحدُ المشايخ الذى
أخذته العزة بالوعظ،
فألقى كلمةً لم يسمعها أحد
فلقد علت كركرات الشيشة،
لكن حدث وأن خفت نحيبُ الفتى الحزين
فى ركنٍ من المقهى
وأنصت للشيخ حتى أطفأ الجمر
وأذَّن للصلاة
ولم أره منذ يومها سوى فى حال النُّساك.

فى المقهى الذى أشيشُ فيه كلَّ يوم،
لا نرى القمر
ولا أثرًا لنجم الشمال،
لكن دخان الشيشة يخلق سرابًا بديعًا
وجمالًا يسلب عقول الجالسين،
يجلس الناس جماعات
يتبادلون النميمة وينتشون بالغيبة
وتحلو لهم السبَّات
فيُنسى كلٌ منهم رفيقه
تعب اليوم وسماجة رب العمل
وحزنٍ بلا حبيبة
وألم دون دواء
وصلاةٍ بلا قبول
فلقد نبذونا
واستأثر الواعظ والفتى بالأجرِ كله.

محمد أيوب عبدالمنعم

قصص قصيرة جدًا

رءوس

بدأت راحتى الأسبوعية بصلاة الفجر فى المسجد، ثم ذهبت للشاطئ البعيد عن بيتى باحثًا عن حالة هدوء ولو لدقائق، بعد عدة ساعات انتبهت أن الصمت قد طال، قمتُ استطلع فرأيت المارة بلا رءوس.. فزعت وقررت العودة وأثناء السير وجدتُ محلًا ضخمًا به جسد؛ يجلس أمام مكتب كبير وتلفاز يعرض مباراة كرة قدم مسجلة، لكنه بلا رأس أيضًا، رغم خوفى وقفت واقتربت كى أجد تفسيرًا لما أرى، فوجدت آلاف الرءوس على أرفف كأنها بضاعة للبيع.. وكان رأسى بينها.

اختفاء

اختفت الزهور من كل ربوع مدينتى، فبحثت عنها كثيرًا ولم أجد شيئًا أو سببًا مقنعًا لاختفائها، وعندما ذهبت للجهات المختصة أشكو لهم الوضع، وجدت نفسى مُساقًا لمستشفى الأمراض العقلية.

السعادة

بحثت عن السعادة الحقيقية فى صندوق كبير يحوى شرائط كاسيت، وفى مشاهدة أفلام سينمائية قديمة وجديدة، وفى مطالعة صور قديمة، فى رؤية قريتى من أعلى برج الحمام، فى أمواج البحر، وفى ساحات الأضرحة، لكنى لم أجدها إطلاقًا..

ذهبت يائسًا أشترى سجائر، وبدأت التدخين لأول مرة، أعجبنى الشعور فكررت ذلك لأيام متتالية حتى وجدت المارة يبتسمون فابتسمت.

اقتراح

طلبت تشريعًا جديدًا لعقوبة التبول فى الشوارع، فوجدت تصفيقًا حارًا من كل الحضور، فتراجعت عن اقتراحى..!

استفهام

بصعوبة بالغة نجحت فى لقاء السيدة أم كلثوم، ورغم حالة البهاء سألتها: ما هى أصدق أغنية؟

لم أتوقع تلك النظرة، ثم وجدت نفسى خارج المسرح..!

مغنى

سألنى أبى: ماذا تريد أن تعمل؟

فقلت: مغنى.

فانفجرت أسارير وجهه وقبلنى..!

بكاء

كان الحزن يحاصرنى، وكل شىء يتآمر ضدى، فقلت لأمى: ماذا أفعل؟

قالت: عليك بالبكاء..!

ومن وقتها أحاول البكاء دون جدوى..!

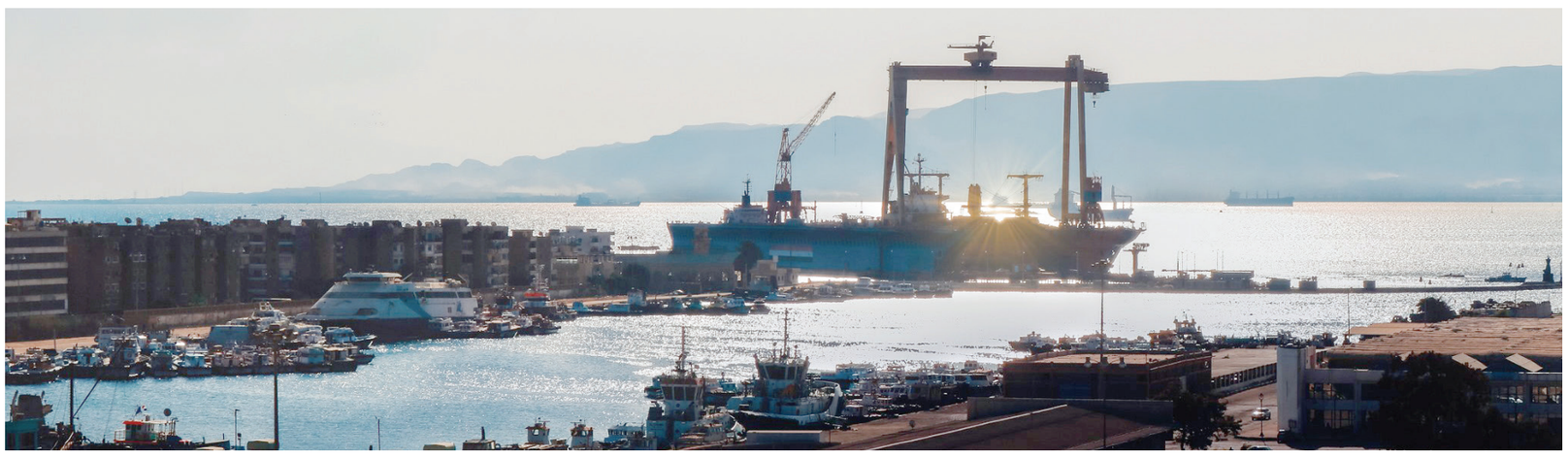

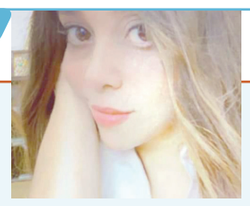

مارِيان أنور

يرقص عريًا

أمام غرفة الإنعاش خلف النافذة الزجاجية أشاهده مستلقيًا على السرير وحوله كم هائل من الأجهزة والأنابيب، أترقب أنفاسه.. يكاد يتنفس بصعوبة بالغة.

رجل مسن أكل المرض جسده.

كيف لجابر عبدالكريم الرجل الغليظ القلب أن يصبح لا حول ولا قوة، الآن تحت رحمة قُمْع على وجه ليتنفس، وجهاز يستشعر نبضات قلبه!

لم أحبك يومًا لكنني لم أكرهك؛ ليس لأنك لا تستحق الكره والبغض، لكنَّها صلة الرحم.

ها أنا الرجل ذو الشأن والمركز المرموق أمام المجتمع، ومن الداخل الطفل المزق البأس..

هل تعلم يا جابر، ما فعلت بى أم تجهل.. أظن بأنك تتذكرُهُ جيدًا!

هل تتذكر خضرا عبدالسميع الفتاة الصغيرة التى نزعتها من أهلها، وفرضت سطوتك عليها؛ «لم تكن أمى تستحق كل هذا»، لم يغب عن ذاكرتى شىء، فعند اختلائى بنفسى تلاحقنى كأنك شبح يطاردنى.

لا أزال أتذكر دموعها وأنين قلبها بعد تعنيفها، وضربها بقسوة.. تتوسل لك باكية:

– أبوس إيدك يا جابر، اعتقنى لوجه الله.

لماذا كل هذا الجبروت؟ فهى المرأة النبيلة الوديعة التى شملتنا بعطفها، وشعرت معها بحنان لا ينضب.. أعطتنى الأمان كأب فكل ما أنا عليه هو فضلها، ولكن لا جدوى فالكل يُنسب لاسمك بالنهاية.

هل تتذكر وهى تعانى المرض اللعين تصرخ تطلب الرحمة؟

لقد كنت طفلًا بلا حيلة ليس بوسعه سوى أن يربت على كتفيها ويحتضنها..

– آه يا أمى حضنك عالمى، مرَّ العمر وما زلت أستشعره بداخلى.

أسمع أنين وجعك يا خضرا

كان بإمكانك أن تعيشى ويموت هذا المستبد الذى سلبنى حياتى فعشت بلا روح..

لا أريد يا جابر أن أكون مثلك.

لا بأس ها هو القدر يأخذ حقك يا خضرا على أكمل وجه، على يد المرأة التى استبدلها بك

لم يعلم بأنهُ لا يمكن استبدالك على الإطلاق.

دمرتهُ.. كان أشبه بجماد أمامها.

حدثتنى يومًا وقالت:

– أنا أكره أمك؛ ليس لأنها ضرتى، بل لأنها هى من جعلت جابر فرعونًا بطيبتها، وطاعتها غير المبررة، فقضى عليها أبوك هو من اعترف بهذا.. تزوجها؛ حتى يستولى على أطيان جدك.

امرأة قوية يا خضرا يتملكها الشر استولت على كل ما يملك، وهربت.

بإمكان الرجل أن يقتل زوجته بقسوته وجحوده أما عن أبنائه.. هيا تكلم دافع ماذا تقول يا جابر؟

أما زلت تشير إلى نفسك قائلًا أنا الرجل الذى تعرَّى جُده الكبير من ملابسه، ورقص احتفاءً بمجيئه للدنيا ذكرًا وسط حشد من بنات عائلته، لا أظنك يا جابر غافلًا؛ حينما أتيت أزفُّ إليك نجاحى صفعتنى على وجهى بلا رحمة لمجرد أنك تكسر قلب خضرا!

هيا دافع عن نفسك، فبقاؤك أو رحيلك لا يعنينى؛ كلاهما واحد.. لا تعتقد بأننى تكفلت بعلاجك لأجل العطف عليكَ، بل فعلتُها لكى لا يقال إن ابن خضرا عاق.

فأنت رحلت منذُ مرضت ورحلت أمى.

توقف جهاز النبض وتجمع حشد من المرضين والأطباء حوله.

ذرفت دمعةً من عينى.. قمت بمسحها مبتسمًا، واستدرت راحلًا..!

أحمد عايد

عتابٌ لغزالٍ شاردٍ

أشكوك منك إليك
يا امرأة تدوِّخنى وراءَ خيالها.
قدماىَ متعبتان.. صوتى فارغٌ إلّا من اسمِك وحدَهُ.
فى دمى شعراءٌ لا يتورَّعون عن انتحالِك. لم يفزْ أحدٌ سواىَ. أنا المَلىءُ بطيفِك القاسى، وموعد حلمِك الناسى.. كأنَّ فمى قرابينُ اللغات، وخادم الأشواق والكلمات. فى عينى طريقٌ لا يزالُ مواعِدى أنّا سنلقىٰ ما نريدُ من الهوىٰ.

تلك المسافةُ شاهدٌ أنى أحبُّك، أنَّ أغنيةَ المساءِ علىٰ انتظارِ حارقِ فى شرفتى، أنَّ الوسائدَ تعرِف الدفءَ المخبَّأَ فى الشتاء، وأنَّ آباء اليتامىٰ.. ربما الأحياء دون حبيبةٍ، أنَّ الهوىٰ درسٌ طويلٌ فى التصبُّر والوقوف علىٰ المحطة واحتساب الاحتمالات الكثيرة، أنَّ ما نرجوه يمكن أن نحقِّقَهُ.
اسألى تلك المسافةَ.. وحدَها الخطواتُ تعرفُ ما نخبِّئُهُ عن الأصحاب، تدرك أننا مرضىٰ اشتياقٍ طائشٍ، تسمع ما نغنى لوعةً، وترىٰ توَقُّفنا مرارًا فى أماكن مَن نحبُّ.
وما تعلمْنا من النسيان والسلوان محض خرافةٍ، مَن سوف ينسىٰ نظرة المحبوب حين يراهُ؟ مَن ينسىٰ اشتباك أصابع فى زحمة الطرقات؟ مَن ينسىٰ دموع الخوف من غدنا المسلَّح بالفراق؟ ومَن سينسىٰ بلسم الأحضان عند تكدُّس الأحزان؟ مَن ينسىٰ وعودًا عن مكانٍ يجمع الحُبَّين؟
مَن؟!
غيبٌ يمارسُ لعبةً مكرورةً.
لا.. ليس مهتمًا بأشخاص بأعينهم.. ينفذ خطة النقصان فى الإنسان. لا شيءٌ سيكمل سيرَهُ. لا شيءَ يجبر كسرَهُ.
نقصانُنا وعدٌ بإكمالٍ نؤجِّلُهُ غدًا.
فَزعون من نوم الوحيد علىٰ السرير،
من اضطراب غدائنا، ومن السكوت المستمرّ، ومن ضياع الوقت دون حكايةٍ أو نكتةٍ أو قبلةٍ، ومن اشتعال خيالنا، ومن انسكاب حنائنا.
ماذا جنينا من تباعدنا؟!
دموعًا للوسائد،
آهةً فى خلوةٍ،
وجعًا إضافيًا لنا فى عزلةٍ!
كل الأحبة يربحون
ولو تكلل حبهم بخطيئةٍ.
عمرًا أنادى باسمِك..
الأشياءُ تصمتُ
علَّ صوتىَ بالغٌ أذنيكِ
علَّ قصيدتى ستعيدنا أحبابًا.

درويش مصطفى

آهةٌ آيلةٌ للسَّقوط

وحيثُ إن التشريع الدولى للأفئدة ينصُّ على حق
المعرفة، قررتُ أن أضيف مادة جديدة، وأحذف
مادتَين:
أ- يُضاف إلى قلوب العالم قلب الشجرة.
ب- تُحذف كلمة المعرفة وتستبدل بالخيال.
ج- تُحذف كلمة الأفئدة، وعوضًا عنها الصادقون!
يُعمل بهذا التشريع اعتبارًا من العام الأول لميلاد حزنك!

أنتِ شتلات نبضى
أزرعها بين قاف
وميم ريثما أحصد
نهارات تليق
بالنيل!

معلقة على حائط الرماد الفصولُ، ماذا سيفعل
المريدون حين يلقون ضحكاتهم بسلة
المهملات؟
هل غادر المقهى الشحاذون وولى الأمر
عند حافة
القلب يسكن آهاتِه
بقلبين ممتزجين بالبن المُسهد قبل
الميلاد
يوقظ الهدوء لاعنًا أكاذيب متبرجة
ولا تزال
ظامئة؟ الحكمة تداعب الأحاسيس
برقصة. لم تكفِ
مراوضة الظهيرة والعدم جوارنا
يرسل آهات مزعجة
للأحبة فيبكى النيل
على مرعى المداد فتختلط الثقافات
بطمى نابض
والبكائيات مبتذلة تطالب بأسهمها
فى الأداء
العلنى نصف حريتها قهر وبوحها
حرية ناقصة
والمشكاة مجردة من شهوة الضوء وأنت
مجرد حائط
تبقّى من أطلاله
«هل رأى الحب سكارى مثلنا»؟!
هاتردد كام مرة كلامك
وتصدق نفسك من تانى
وهاتحلف إنك ماشى خلاص
وبإنك عايش وحدانى
بتكابر..
كداب وأنانى.
صدّقت ليه نفسك
وعشمت فى الكدبة؟
نفسك عارفة
إنك جانى
وهاترجع تندم ع الأيام
اللى انت خسرتها مجانى.

هذا الصباح
يُشبه تمامًا وشها البسّام
هذا النهار
يشبه آلامك
لما كنت زمان بتتعب
لأجل ما تشوف ضحكها
هذا الغروب
آخر لُقا قررت فيه تهرب بعيد
هذا السهر
أول عذاب
أدركت وقته إنك وحيد.

لساها ساكنة فى الوريد والدم
بس انا بتطاردك فى أحلامك
وتعذبك زكريا بتفيض على
روحك
كل العيون ضحكها
كل الخطاوى طريق مشيتو
فيه
كل الكلام اسمها
كل النغم صوتها
كل البشر هى
الذكرى مش راحماك
ولا لحظة منسية..

ماكانش أبدًا شىء غريب
ترفض رجوعها لسجنك
العاتم
ضدين بيتقابلوا
ضلين بنفس الجسم
كانت دموعها يوم رحيلك منّها
تشبه دموعك
لما شوفت فى عينها لمعة لحد
تانى بعيد
كانت قساوتك وقتها
مصدر قساوة ردها دلوقت.

هى
هاتقابل حد جديد
متفهم الآهة
متفهم التنهيد
مهتم جدًا بارتباكها وضعفها
مهتم يعرف بى أسرار فرحها
هاتعيش معاه
تفاصيل كانت تتمنى فى يوم
تعيشها معاك
هايكون هناك
وقت أمّا تحتاجله
هايكون.. وهاتكونله
ضلّين بيتقابلوا
بيتسندوا.. بيتحدوا

وانت
هاتعانى أعراض انسحاب
أيام
بطعم البن والنيكوتين
ضلك وحيد مسنود على
ضلك
أو م الجايز
تلقىَ اللى تحبَّك مرة كمان
بس افتكر إن قانون الكون
إن الخاين حتمًا يتخان.

أمير لبيب

ضلّين

حاتم مرعى

علبة مجوهرات

مزيكا علبة المجوهرات بتفرض إيقاعها
والأوضة اللى بتفضى م المرايات المضحكة
هاتعريك دلوقتى
وتفرج الزوار على دموعك السريعة
مين اللى هايطبطب عليك
مين اللى بيعيط معاك
مين اللى لسه بيضحك
البنت اللى دايمًا بتغيب
والواد اللى بيحبها
فى كل تفاصيلها القديمة
وهوَّ بيتكلم عنها فى أماكن مشبوهة
مع ناس مش مهمة
– مع اختلاف وجهات النظر–
مزيكا علبة المجوهرات مجرد
خلفية بسيطة
لاكتشاف الدنيا
وقصيدة النثر مش مناسبة
لصيف ٩٧
ولا خنقة قميصك بتحسسك
بالدهشة
الأوضه اللى بتتملى بدخان
غريب
هاتغطيك من تانى وتطبطب
عليك
وتعيط قبلك
على تفاهة مشاعرك
وكمية الدموع اللى بتأجلها
لأحزان مهمة
مزيكا علبة المجوهرات بتملا
الأوضة بدموع كتير
رقصة البنت الحزينة بتراهن
على عياطك
طب مين يقاوم بعدك
تفاصيل السؤال
والحدوتة القديمة
ومزيكا علبة المجوهرات
بتفك لك آخر زرار فى القميص..
وبتخنقك فعلًا.

محمد التمساح

أبويا زى الشمس

أبويا زى الشمس
كل حاجة فيه بتتكلم
بس من غير صوت
أبويا.. عمره ماخاف م الموت
كان لما القمر بيشوفه يضحك
ويهز دماغه ويستغرب
والأغرب إنه ساعات
كان ينزل جنبه ويتمشى
ف عز الضلمة
فى شوارع مليانة
بأشباح الموت والعفاريت
جه صاروخ
خد أبويا لفوق
قام هبده رماه
على سن رصيف
ولأن أبويا مكانش إيمانه ضعيف
عكّز على رجله التانية وقام
يتلفت ع القمر اللى بيتمشى
معاه
مشافوش
راح بص لفوق
ولقاه شغال بعنيه
بص وبحلق له
وقام قال له
أنا توبة يا عم
أنزلك تانى خلاص
العمر مش بعزقة
ابتسم أبويا.. وبص لقدام
لقى نص مارينه
بتنده على رجله المكسورة
وأخدها أبويا
من الزرب لبيتنا ف ست ساعات
يتأمل فى بيوت البغدادلى
المكفية
على كراكيب الأرواح
اللى نستها ف جسم أصحابها
أبويا
لم عيونه ف أجفانها
ف جامع سيدى الخضر
وبعد صلاة الفجر
روح أبويا ينام.. معرفش
قام طالع فى البلكونة
يلاغى الشوارع
ويضحك مع العفاريت والأشباح
ويشاور لهم
ولأنهم
حافظين ملامحه وريحته
وطلته
زقططوا.. واتنططوا
وفضلوا يغنوا ويرقصوا
ويزغرتوا
ولما اسم السويس جه على
لسانهم
وحننهم
كلضموا
وسهموا وعيطوا
وفضلوا يلعنوا
فى الحرب.. والغربة والهجرة
وإمبارح
وأنا رايح
أشقَّر على أبويا
فى الكشك بتاعه فى الخور
كان ساند على عكازه.. ومُغفَل
قام فتح عينه
وبص لى من فوقى لتحتى
وقال لى
خرجتنى من روحى
من أجمل حلم ساكننى
الله يسامحك يابنى
الله يسامحك.

حرف

الدستور الثقافى

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

رئيس مجلس الإدارة والتحرير محمد الباز

الأربعاء
28 فبراير 2024
18 شعبان 1445
20 أمشير 1740

علية الجعار مع ياسين التهامى

مال يبحث عن فردتى حذائه، أمسك بهما كمن وجد كنزًا على الأرض، فى ظل زحام الأقدام، أقدام المحبين الذين تراصوا فى 3 طوابير طويلة، يذكرون الله بطريقتهم، تهتز قلوبهم قبل أجسادهم، ويرددون: «حى حى»، فى إيقاع ضبطته المحبة وصوت الشيخ ياسين التهامى، الذى يقف بهيئته المعهودة وهو يقول فتأوب معه الجبال والطير: «أنا والقلب والأشعار عشنا يتامى نكتوى يأسًا وحزنا/ تعذب فى حنايا الصدر قلبى بكى من هول وحدته وأنَّ/ وراح الشعر يصرخ مستغيثًا فما رق الغرام له وحنَ/ سألت الله قلبا يحتوينا يبدل يأسنا حبًا وأمنًا/ أفقت من الدعاء وجدت قلبى سعيدًا مستقرًا مطمئنًا/ وعاد النبض للقلب المعنَى ووقع للهوى لحن فغنى.....» إلخ الأبيات المعروفة.

قلت لصاحبنا الذى نجح فى انتعال حذائه، بعد «وصلة ذِكر»: هل تعرف من صاحب هذه الأبيات، التى أصبحت مطلبًا أساسيًا لمحبى «الشيخ ياسين»، كلما صعد إلى المسرح وقال فأروى الظمآن؟

قال مترددًا: «ابن الفارض؟»، سكتُّ، زادت حيرته وقال بتردد أكبر: «محيى الدين بن عربى؟».

وضعت يدى على كتفه، وسرت به خارج ساحة الذِكر، وصوت «التهامى» فى الخلفية يخفت تدريجيًا حتى غاب، نظرت إليه وقلت: هذه الأبيات، وغيرها الكثير من روائع «الشيخ ياسين» وغيره، صاحبتها شاعرة وليس شاعرًا، من مدينة طنطا لا بلاد الأندلس، شهدت زمن «الألفية الثالثة»، لا تنتمى لعصور الأوائل، ورحلت عن دنيانا فى 2003.

قال: زدنى، فقلت: أزدك!

كرم منصور

علية الجعار

بنت طنطا التى تلقت الشعر على يد السيدة زينب!

1
ولدت بجوار «شيخ العرب».. وأحمد رامى قدم ديوانها الأول

فى السابع عشر من شهر أكتوبر عام ١٩٣٥ كان ميلاد الشاعرة علية الجعار، هناك بجانب «شيخ العرب» السيد أحمد البدوى، فى مدينة طنطا بمحافظة الغربية. فى سن صغيرة أبدت اهتمامًا كبيرًا باللغة العربية، فحرص والدها- وكان أستاذًا للشريعة- على تدريس مبادئ اللغة لابنته، ما أثر تأثيرًا كبيرًا على مسيرتها الشعرية.

فى هذه الفترة حفظت الكثير من الشعر، وقرأت أمهات كتب الأدب، التحقت بكلية الحقوق جامعة القاهرة، وتخرجت فيها عام ١٩٦٠، لتشتغل بالمحاماة حتى ١٩٦٣، قبل أن تلتحق بالعمل فى التليفزيون، وتتدرج فى المناصب وصولًا إلى مدير عام الشئون القانونية بدرجة وكيل وزارة.

تحمل سيرة علية الجعار عضوية مجالس إدارات أكثر من جهة، بداية من اتحاد الكتاب، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ورابطة الأدب الإسلامى العالمية، إلى جانب عضوية نقابة المحامين، فضلًا عن تمثيل مصر فى مؤتمرات المحامين العرب، ومهرجان «المربد» الشعرى لعدة سنوات.

يضم بستان الشاعرة الكبيرة ٦ دواوين هى: «إنى أحب» ١٩٦٨، الذى قدمه الشاعر الكبير أحمد رامى، و«اتحدى بهواك الدنيا» ١٩٧٧، الذى يضم مراثى للملك فيصل، ومديح للرئيس الراحل أنور السادات، ثم «غريب أنت يا قلبي» ١٩٨٣، و«ابنة الإسلام» ١٩٨٧، و«على أعتاب الرضا» ١٩٩٣، و«مهاجرون بلا أنصار» عام ٢٠٠٠.. علاوة على تأليف الكثير من الأغانى الدينية، وكتابة العديد من السهرات التليفزيونية والتمثيليات فى مناسبات دينية مختلفة.

2
أبدعت 7 من أشهر قصائد التهامى

أنشد الشيخ ياسين التهامى عدة قصائد من كلمات الشاعرة علية الجعار، تعتبر من أبرز ما قدمه لعالم الإنشاد والمديح النبوى، أولها ما يعرف بين محبيه باسم «أنين القلوب»، التى يقول فيها: «جذبتنى فى بحر حبكم نظرة/ غيّبت عقلى فى أعمق سكره/ قيدت قلبى الذى أسلم للمقدور أمره/ مسنى سحرُ من الحب ومن يبطل سحره؟.....».

سحرنا «ابن التهامى» أيضًا من كلمات الشاعرة الكبيرة بقصيدة «الحُبُّ منك إليك»، التى تقول فيها: «الحب منك إليك أنت خلقته ووهبتنى قلبًا يحس ويخفق/ أهوى الوجود جميعه أرنو له فيهزنى حسن بديع مشرق/ هذا الوجود بصمته وجلاله ببديع حسنك يا إلهى ينطق....».

قل لى إنك لم تسمعه من قبل فى رائعته «يا مُلهمى»؟! نعم من صاغ هذه الكلمات التى ستقسم على الله أن من كتبها هو الحلاج أو واحد من كبار شعراء الصوفية، كانت الشاعرة علية الجعار: «أيا مُلهمى مَنْ أنتَ أنتَ تعرفُ منْ أنَا أنا فيكَ أحيا منذُ بدئكَ كانَ/ ولاشىء يَفصل بيننا فغرامُنا فيه اختلطنا مُهجةً وكيانا/ أنا إن قُلت أنت فإننى أنتَ الذى أعنى وأقصد بالنداء إيانا/ غُيبتُ عنكَ لفترة ورأيتنى فعرفتُ أنّ لقاءنَا قَد حانَ/ الحُب وَحدنا فصرنَا نبضةً يمضى بهَا عبرَ الحياة كلانَا».

القصيدة الرابعة هى «طينتى»، التى ينقل فيها قلب ولسان «الشيخ ياسين» عن قلب الشاعرة الكبيرة: « كم وكم تحلق فى سماء الوهم روحى وتغرق فى بحور الشعر عشقًا/ أعود لواقعى فتثور نفسى وأبكى ظلم أيامى وأشقى/ تعربد طينتى فأكاد أهوى وإيمانى يطهرنى فأرقى/ وتهدأ ثورتى وتطيب نفسى فحب الله رب الناس أبقى».

خامس قصائد «سلسال الحب» بين «ثنائى العشق الإلهى» هى «أنا والقلب». قاطعنى صاحبنا قائلًا: «أنا والقلب والأشعار عشنا يتامى نكتوى يأسًا وحزنًا».. هذه التى بدأنا بها هذا الحديث، قلت: أصبت!

أما السادسة لـ«كتاب الله»، وهى مأخوذة من ديوان «على أعتاب الرضا»، وتقول فيها عن الذكر المُنزَل: «قمة الصدق والحقيقة فيه منذ بدء الوجود والأكوان/ لم يبدله حاقد أو دعى لم تغيره كرة الأزمان/ لم يزل شامخًا كريمًا عظيمًا طاهر الحرف كامل البنيان/ جاء من عالم الخلود ليبقى كيف شاءت إرادة الرحمن».

بينما القصيدة السابعة هى «غريب أنت»، وهو اسم أحد دواوينها أيضًا، وتقول فيها: «غريب أنت ياقلبى فى دنيا الزيف والأوهام/ وحيد أنت ياقلبى وحولك لُجة وظلام/ تسافر مطلقًا حرًا تجوب الكون كالأنسام/ وتنشر عالمًا بكرًا بلا حقد ولا آثام/ تلقى من رحاب النور فيض الطهر والإلهام/ يلفك من حنان الله ذل عامر فتصبه على خير وفى سلام».

ومن القصائد الشهيرة الأخرى التى يعرفها «أهل المدد» لعلية الجعار، قصيدة «على أعتاب الحسين»، التى أنشدها إبراهيم البدراوى، وتقول فى مطلعها: «أتانى الشعر بسامَ المُحَيَّا وأهدانى القوافى والرَّوِيَّا/ توضأ من سنا الإيمان حتى تبدّى فى خيالى لؤلؤيا/ ورحت أصوغ من أسمى المعانى نشيدًا صادق النجوى شجيًا/ وجئتك سيدى أشدو وأشدو يعلو فى المدى صوتى قويًا/ وقد أوقفت بالأعتاب قلبى حسينى الهوى صبًا وفيًا/ فَمُرْ تُفتح له الأبواب وصلًا وأطفئ شوقه وأنظر إليًا/ فإن حزت الرضا أرضيت ربى فحبك سيدى فرض عليا».

3
كانت تعزف على العود والبيانو وعبدالوهاب نصحها بالغناء

تحظى الشاعرة علية الجعار بشهرة كبيرة بين الأوساط الشيعية، فى ظل قصائدها التى صاغتها فى حب «آل البيت»، ولا تزال تُغنى وتُنشد حتى الآن بينهم فى عدة دول عربية، خاصة العراق.

وتُعرف الشاعرة المصرية بقصة مشهورة بين الأوساط الشيعية، وكذلك محبى آل البيت فى مصر، تقول إن علية الجعار كانت فى زيارة إلى مقام السيدة زينب، وبينما هى فى حضرتها وجدت نفسها تكتب: «إنى أحبك أنتِ»، بعدها توقف المدد الربانى، قلبت كل الحروف فى قلبها ودماغها، لكن الوحى تمرد، أبى أن يجرى على لسانها كما كل مرة.

رجعت شاعرتنا إلى بيتها، وفى ليلتها نامت، ونعم- كما أسمعك تقول الآن- أتتها السيدة زينب فى المنام، وقالت لها أكملِ يا علية: «إنى أحبك أنتِ يا بنت أكرم بنتِ/ يازهرة قد تسامت فى نور أطهر بيتِ/ مصر بكم قد أضاءت لم بها قد سكنتِ/ فأقبلينى ياكريمة يا سعد من قد قبلتِ/ أدخلينى فى حماكِ يافوز من قد حميتِ».

وأضافت: «يا بَضعة من على وللبتول انتسبتِ/ فى ظل طه نشأتِ ومن يديه ارتويتِ/ النور بالنور يُسقى والخير بالخير يأتِ/ يا بنت بنت حبيبى وسيدى يا ستى/ أقبلتُ نحوك أسعى إليك لما أشرتِ/ لأملأ الأفق شدوًا يعلو به اليوم صوتى/ فاستقبلينى خذينى منى إلى حيث كنتِ/ وفى رضاك أغمرينى يا عز من حميتِ/ أنا بالباب أرجو فضلًا فهل لى منحتِ».. إلخ القصيدة المشهورة.

وأكد أحمد الكحلاوى، ابن المنشد الدينى الكبير محمد الكحلاوى، صحة هذه القصة، مبينًا أن الشاعرة الكبيرة هى من حكتها بنفسها، وحدثت لها خلال زيارة إلى «المشهد الزينبى»، رفقة إمام «المسجد الأحمدى» فى طنطا.

ورغم ما يمكن أن يُفهم من مسيرة علية الجعار من التزام دينى شديد، فضلًا عما تمتعت به من قوة شخصية لافتة للنظر فى عملها، تكشف الإعلامية هالة الجعار، ابنة شقيق الشاعرة الراحلة، جانبًا مهمًا من حياتها، وهو حرصها على تعليم بنات العائلة موسيقى ورقص «الفالس» و«التانجو».

وتضيف ابنة شقيق الشاعرة الكبيرة: «موسيقار الأجيال محمد عبدالوهاب نصحها بالغناء، فقد كانت تتمتع بصوت جميل جدًا، صوت مطربة متمكنة من أدواتها، كما أنه نصحها بالتمثيل، خاصة مع إجادتها هذا الفن أيضًا، إلى جانب عزفها على العود والبيانو»، واصفة إياها بأنها «فنانة شاملة» بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

كما اُشتهرت علية الجعار بقصة طريفة، تقول إنها سمعت بامرأة تحاول التقرب من زوجها وإغرائه، فكتبت لها رسالة تهديد ووعيد، أثبت فيها أن المرأة تظل مرأة، سواء كانت «لا تفك الخط»، أو «تتلقى الشعر من السيدة زينب»، جاء فيها: «أنا مَن تغارُ على فتى أحلامها وتودُ لو تطويه فى بَرديها/ ولقد علمتُ بأنَّ أخرى حاولَت إغراءهُ صُفعت على خديها/ يا وَيلها منّى إذا لاقيتها سَأدسُ إبهامَىَ فى عينيها/ وأعضّها مِن نَحرها فى قسوةٍ وأشدّ قِرْطًا مال مِن أُذنيها/ وسأنزع الشعر الذى اختالَت به ورَمَتهُ فى دلّ على كتفيها/ وبكلّ حقدى سوف ألوى جِيدها وأقيّد الحمقاء مِن قدميها/ وأُهيلُ كومًا مِن ترابٍ فوقها/ لتدوس أقدام الرجال عليها».

ضحك صاحبى، وكنا قد عدنا إلى «الليلة»، فوجدنا «التهامى» يسدل ستار الذكر ويختتم قصائده، فأخذنا نردد معه: «يا عالم بكل علوم يا سامع دعا المظلوم لا تجعل فى حضرتنا شقيًا ولا محروم»، فى انتظار «مدد» جديد وقصائد أخرى يطربنا بها، لشاعرة ألهمتها السيدة زينب.

محمد عبدالوهاب

عبدالوهاب قال عنها: تتمتع بصوت جميل جدًا.. صوت مطربة متمكنة من أدواتها

حكمة الأيام

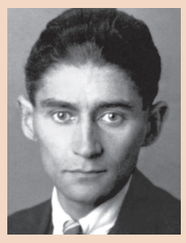

إن أسوأ ما فى الأمر ليس تبصر المرء بأخطائه الواضحة، بل تبصره بتلك الأعمال التى اعتبرها ذات مرة أعمالًا صالحة.

كافكا

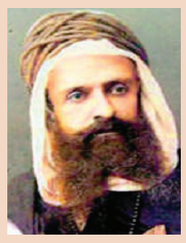

السذاجة المتناهية هى حالة نفسية قد تُهيمن علينا جميعًا عندما نخرج من دائرة المعرفة إلى دائرة المعتقد.

غوستاف لوبون

الجبل لا يُهدم وإن تفتت تبقى جذوره فى الباطن، الذكريات لا تفنى والتجارب لا تنتهى وإنما يتم كبتها فى الباطن حينما يرفضها العقل الواعى.

فرويد

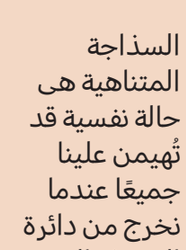

مهما كان الدين الذى نتبعه، فإن إظهار المحبة والإحسان واللطف المحب للآخرين من أفضل السبل للوصول للسلام الداخلى.

الدلاى لاما